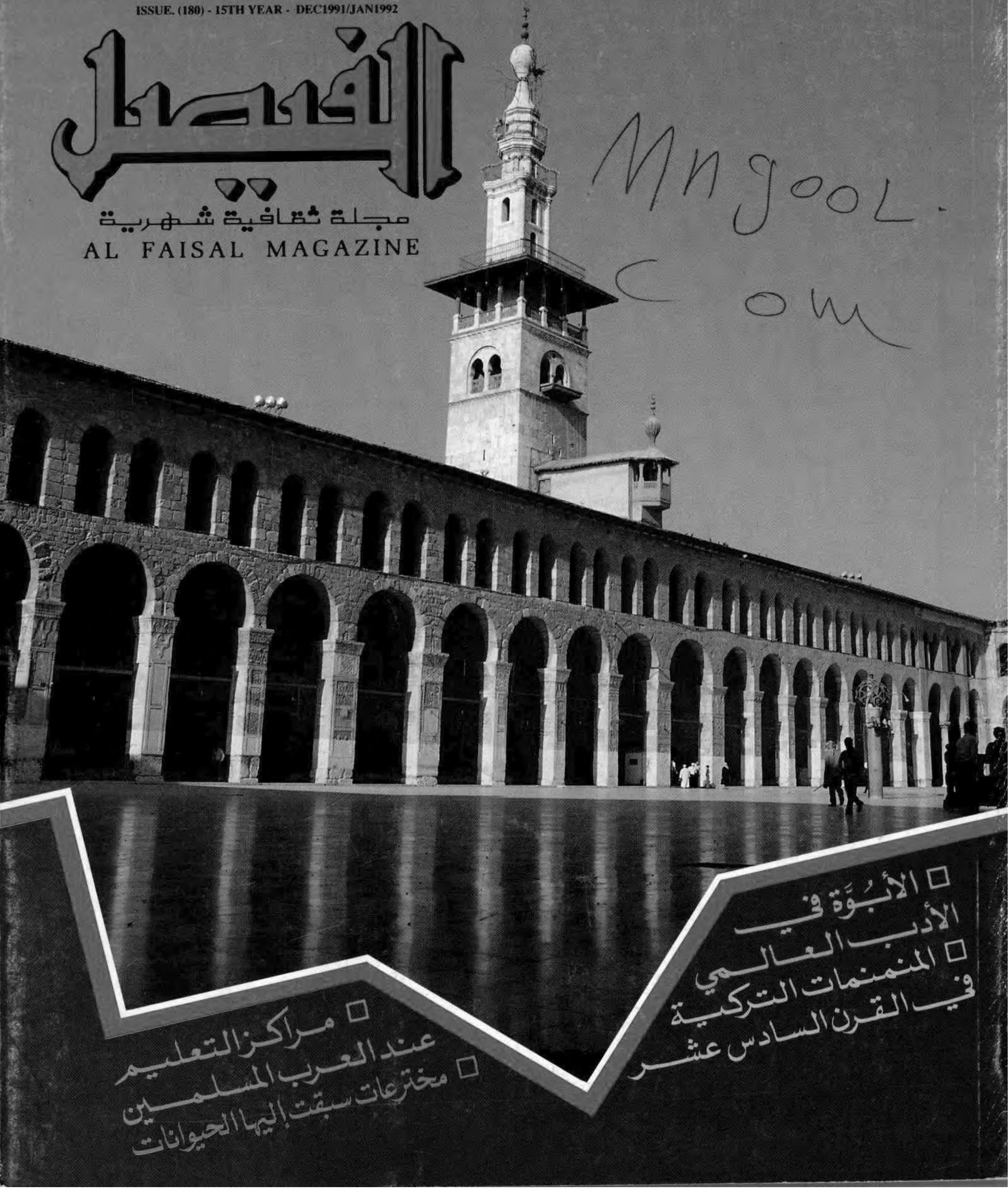
العدد (١٨٠) - جمادى الآخرة ١٤١٢هـ السنة (١٥)
كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩١م/كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢م
ISSUE. (180) - 15TH YEAR - DEC1991/JAN1992

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE



□ الأبوة في الأدب العالمي

□ المنمنمات التركية في القرن السادس عشر

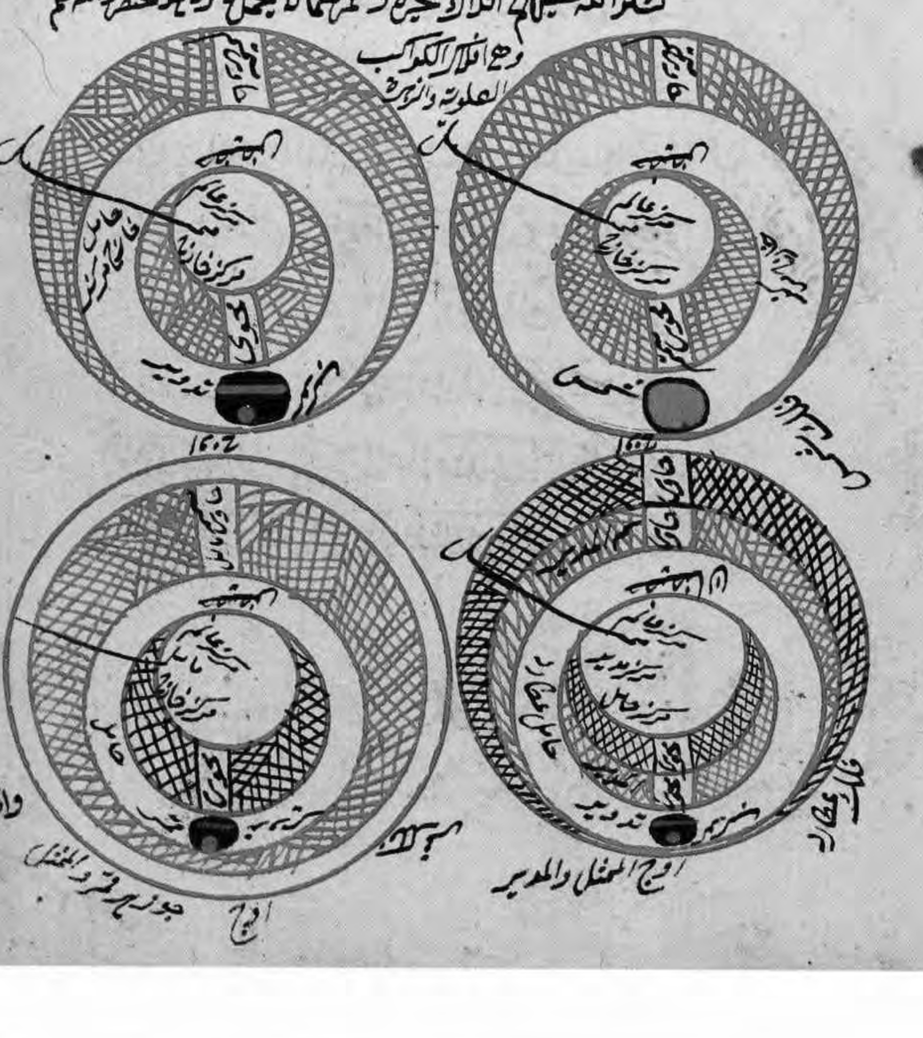
□ مراكز التعليم عند العرب المسلمين

□ مخترعات سبقت إليها الحيوانات

تبيع الرئيس ما يسمى خطا مارا بالاوج والحضيض
الافلاك كالمحدود لها والبعيد السطوح فيحدث مما مثلا
على الخط المذكور نصف دورة ومما يلي الدائرة يبين المماسين
وخارج المركز ومما يلي محيط الدائرة الصغيرة فيما بين المتوازيين
متمما ومن محيط الدائرة هي من الراس السطوح بين المتوازيين الغالية
تدويرا وبينه من تصوير بينه

افلاك احدها فلك عطارد والثاني فلك الزهرة والثالث فلك المريخ والرابع فلك المشتري والخامس فلك الزحل ٥٥٥

محيط نقطة متمايه والممثل لما عرفت والثاني يسمى المائل لكون
نقطة مائلة عن سطح منطقة البروج في جوف الجوزهر لكونه
في ثخنه والحامل في ثخن المائل على رسم المذكور في ساير الخوارج
والتدوير في الحامل والقمر في التدوير على الرسم المذكور وصور
هذه التداوير وهي اربع صور اولها لفلك الشمس وثانيها
للعلوية والزهرة وثالثها لعطارد ورابعها للقمر بتصور ما ذكرنا
من هيئات الافلاك على ما هو المشهور واما ما زاده المتاخرون
شكر الله سعيهم في افلاك المتحيرة والقمر فمما لا يحتمل ذكره في هذا المختصر والله اعلم



المشرف على التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

العدد (١٨٠) ـ جمادى الآخرة ١٤١٢هـ
السنة (١٥) ـ ديسمبر ١٩٩١م/يناير ١٩٩٢م
NO. (180) - 15TH YEAR - DEC1991/JAN1992

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE • PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

إلى كتّاب المجلة

١ ـ يرجى من كل كاتب أن تكون المادة التي يرسلها لمجلة « الفيصل » جديدة وفيها إضافة ، وأن تكون خاصة بها ، ولم يسبق نشرها في كتاب أو مجلة أو صحيفة ، أو إرسالها إلى أية جهة ناشرة .

٢ ـ ما تنشره المجلة من آراء الكتّاب لايعكس بالضرورة رأيها ، وإنما يتحمل مسؤوليتها الكاتب نفسه .

٣ ـ يرجى من الكتّاب أن تكون دراساتهم وأبحاثهم واستطلاعاتهم مدعمة بثبت المراجع والمصادر ، وفي حالة الترجمة الإشارة إلى اسم الكاتب وعنوان المادة المترجمة ومكان النشر والناشر وتاريخ النشر ورقم الطبعة .

٤ ـ ترجو المجلة من كتّابها أن تكون مناقشاتهم موضوعية علمية ومؤكدة بأسماء المراجع والمصادر ، وأن تكون بعيدة كل البعد عن التجريح الشخصي أو الخروج عن الموضوعية .

٥ ـ تسلسل نشر الموضوعات في المجلة لايعني أفضلية كاتب عن آخر ، لأن التسلسل تحكمه اعتبارات فنية .

٦ ـ حين ترد المجلة على كاتب ما بأن موضوعه (غير مناسب للنشر) ، فإن هذه العبارة لاتعني أنه (غير صالح للنشر) في غيرها ، وإنما تعني أنه غير مناسب للنشر في المجلة لعدم مناسبته لسياستها ومنهاجها وخططها العام .

٧ ـ تعترف المجلة بأن المكافأة المادية المرسلة لأي كاتب ليست مقياساً لقيمته العلمية أو لقيمة أثره المكتوب ، وإنما هي عبارة عن رمز تقدير وعرفان من المجلة لكتابها .

٨ ـ ما نشر أو لم ينشر من موضوعات لاتعاد لأصحابها .

ولكم الشكر سلفاً

الفيصل

• المراســـــــــلات :

مجلة « الفيصل » ص . ب : (٣) الرياض : ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية

هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦–٤٦٥٣٠٢٧ –تلكس : ٤٠٢٦٠٠ DRFATH SJ ـ فاكسملي : ٤٦٤٧٨٥١

• أسعار بيع النسخ في البلاد العربية :

المملكة العربية السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٠٠ فلس ـ الامارات العربية المتحدة ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٦٠٠ فلس ـ سلطنة عمان ٦٠٠ بسة ـ الأردن ٤٠٠ فلس ـ الجمهورية اليمنية ٦ ريالات ـ مصر ١٠٠ قرش ـ السودان ١٠٠ قرش ـ المغرب ٥ دراهم ـ تونس ٥٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ١٠ ليرات ـ ليبيا ٨٠٠ درهم .

• أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعودياً

ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة « الفيصل »

• الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

• ALL CORRESPONDENCE TO:
AL-FAISAL MAGAZINE P.O.BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA
Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ, Telefax: 4647851

• EUROPE - AMERICA - ASIA:
Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Pórtugal ESQ100 - Spain PTS150 - Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10
• ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:
Personal Subscription S.R. 150 Others S.R. 250
Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

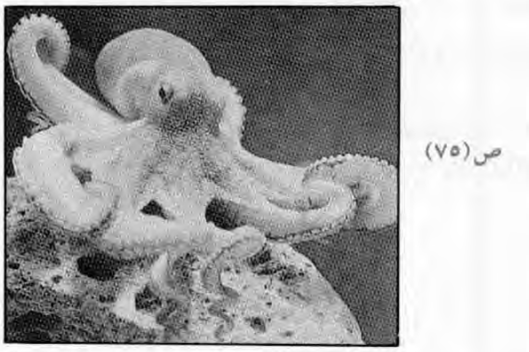
في هذا العدد



ص (٣٠)



ص (٤٦)



ص (٧٥)



ص (٩١)



ص (١٠٢)

إطلالة

الثقافة التي نريد

قد يتفق الكثيرون على أن ثقافة الفرد حصيلةٌ تنتج عن مكتسباته التراكمية الفكرية والوجدانية ــ والتي تتجمع من خلال القراءة والتفكير والتأمل والملاحظة والاستقراء ـ عندما يبلغ مستوى من النمو الفكري يؤهله لتوظيف جميع قدراته للوصول إلى أحكام مستقلة ومواقف واضحة نابعة عن قناعات وقرارات ذاتية تعبر عن مدى نضج تلك المكتسبات وانسجام مكوناتها.

فثقافة الفرد في جملتها ليست ـ كما يرتبط في أذهان بعضهم ـ حفظا للمعلومات واسترجاعا لها، يظهرها صاحبها من خلال قدرة كلامية أو حافظة شعرية كمؤشر على سعة اطلاعه وقراءاته مثلا، لكنها ـ أي الثقافة ــ أثر للنمو الفكري الشامل للفرد، وهي تؤكد تميّزه في كل جوانب حياته من خلال تكامل شخصيته، بمقوماتها العقلية والجسمية والروحية والوجدانية، فإذا فكّر المثقف كان تفكيره منطقيا شمولياً، وإذا عبّر عن شيء كان تعبيره عقلانيا متوازنا، وإذا تصرّف كان سلوكه متميزاً يعكس مستوى ثقافته ونوعها وشمولها.

وبهذا تكون الثقافة نتيجة نمو فكري متوازن في عناصره ـ أشبه ما يكون بنمو الجسم المتكامل لتوازن عناصره الغذائية ـ معتمد على مصادر معلومات متنوعة، ووسائل متعددة من أهمها القراءة عندما تؤدي وظيفتها كما ينبغي، حتى يتمكن المرء بفاعلية وكفاءة من الفهم والتحليل والتطبيق لما يدركه ويستوعبه.

والثقافة بهذا المفهوم كفيلة بأن توجه الطاقات الفردية لبناء أفراد المجتمع الذي تؤثر ثقافاتهم في ثقافة الأمّة بل وتصوغها وتضفي عليها خصوصيتها وتميزها ولن تكون أثرا في الذات الفردية فحسب. ويجزم المرء بأن التفكير الشمولي الذي يسمح بترتيب الأفكار، والتفريق بين الأصول والفروع، وتمييز المقلّد من الأصيل، والتصور الصحيح لوجود الإنسان ولما حوله، وفق ما أودع فيه الخالق سبحانه وتعالى من فطرة وعقل، والاعتدال الذي يكون وسطا بين الإفراط والتفريط، من أهم السمات التي تميّز الأفراد الذين يؤثرون في ثقافة مجتمعهم بفاعلية مجدية تثريها وتدفع بها إلى الأمام.

كما أن الثقافة بالمفهوم نفسه، هي التي تستطيع توظيف العلم توظيفا صحيحا موجها لاستثماره في منافع الإنسان، إذ إن العلم بلا وظيفة علم أبتر لا ينتج عنه استفادة عملية متكاملة بنّاءة، وأخذه دون ثقافة قادرة على توظيفه تجزئة للمعرفة الإنسانية، فالعلم والتعليم شيء والثقافة شيءٌ آخر. وكثيرا ما نجد في حياتنا اليومية، ماضيها وحاضرها، حالات تتباين فيها مواقف الناس رغم تساوي خلفياتهم العلمية. وما ذاك التباين إلا بسبب تفاوت الثقافات أو تباين مستوياتها.

إن هناك حاجة ماسة إلى وجود بنية ثقافية واضحة متفردة، تصوغ العقول وتسمو بالأفكار وتهذب النفوس، حتى نحافظ ـ نحن المسلمين ـ على ما كنا عليه من مستوى حضاري قوامه التناغم بين الفكر والمادة، بين العلم والعمل، بين التفكير والتدبير.

فماذا عن الوضع القائم في مجتمعاتنا العربية والإسلامية؟

وكيف يمكن أن يستعيد هذا الإنسان، أو هذا العقل، ثقته بنفسه؟

وكيف يحقق حضوره بين الأمم لئلا يكون عالة عليها؟

وهل هناك مفاتيح للخلاص وكيف يتم الحصول عليها؟

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



الأمير سلمان بن عبد العزيز



الأمير سلطان بن سلمان



الفريق أول محمد العمرو

السعودية

احتفال الأطفال المعوقين

افتتح صاحب السمو الملكي **الأمير سلمان بن عبد العزيز** أمير منطقة الرياض في العشرين من شهر جمادى الأولى المنصرم ١٤١٢هـ **معرض الفنون التشكيلية** الذي نظمته الجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأطفال المعوقين بمناسبة مرور خمس سنوات على افتتاح مشروعها الأول: مركز رعاية الأطفال المعوقين وتأهيلهم بالرياض.

ضم المعرض ثمانين عملاً تشكيلياً قدمها الفنانون السعوديون وخصصت نسبة من المبيعات لدعم أعمال الجمعية الإنسانية.

وأعلن صاحب السمو الملكي **الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز** رئيس مجلس إدارة الجمعية أنه يجري حالياً التحضير لاستضافة **المؤتمر السعودي الأول للأطفال المعوقين** المقرر إقامته بعد عام تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز.

كما تم خلال الاحتفال إعلان أسماء الشخصيات والجهات التي تقرر تكريمها لأعمالها الجليلة تجاه الجمعية والأطفال المعوقين، وهم: **الملك خالد بن عبد العزيز** طيب الله ثراه، وخادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز**، وصاحب السمو الملكي، **الأمير عبد الله بن عبد العزيز** ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، وصاحب السمو الملكي الأمير **سلمان بن عبد العزيز** أمير منطقة الرياض، **ومؤسسة الملك فيصل الخيرية**، ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية، والشيخ **عبد العزيز الشويعر**.

وقد منح الدكتور **غازي القصيبي** رئيس مجلس إدارة الجمعية السابق وصاحب فكرة إنشائها جائزة الجمعية تقديراً لدوره في تأسيسها ودعمها.

النشر العلمي في مكتبة الملك عبد العزيز

وضعت **مكتبة الملك عبد العزيز العامة** بالرياض نظاماً للتحرير والنشر العلمي المحكم، يشتمل على مجموعة من المعايير والقواعد التي تحكم الإنتاج الفكري المقدم للمكتبة لنشره.

هذا النظام جزء من خطة متكاملة للمكتبة ترمي إلى **خدمة التراث الإسلامي والعربي** وحمايته إلى جانب دعم مجموعاتها التراثية، وذلك من خلال تشجيع الأعمال العلمية التي تتناول علوم المسلمين والعرب عموما، والإنتاج العلمي في المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص.

ويذكر أن صاحب السمو الملكي **الأمير عبد الله بن عبد العزيز** ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني هو الرئيس الأعلى لمجلس إدارة المكتبة.

جمعية سعودية للمكتبات والمعلومات

ينتظر أن يعقد خلال شهر جمادى الآخرة الجاري ١٤١٢هـ الاجتماع الأول للجمعية السعودية للمكتبات والمعلومات برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض والمشرف العام على مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض.

وترعى إنشاء الجمعية مكتبة الملك فهد الوطنية، بهدف تطوير خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة، عبر الندوات واللقاءات والبحوث والدراسات.

ندوة: الجزيرة في العصر الأموي

تستضيف **جامعة الملك سعود** في الرياض خلال شهر شوال المقبل ١٤١٢هـ الندوة العالمية الرابعة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية التي تعقد تحت عنوان **الجزيرة العربية في العصر الأموي**.

يشرف على تنظيم الندوة قسما التاريخ والآثار والمتاحف بكلية الآداب، وقد تم توجيه الدعوات إلى المهتمين والمختصين بهذه الحقبة التاريخية من داخل المملكة وخارجها.

دورة لكتابة التاريخ العسكري

استضافت **كلية الملك خالد العسكرية** بالرياض ـ مؤخراً ـ دورة **«كتابة التاريخ العسكري»**.

وتهدف الدورة التي افتتحها الفريق أول **محمد بن عبد الله العمرو** رئيس الجهاز العسكري بالحرس الوطني إلى التعريف بتاريخ المملكة العربية السعودية العسكري في أدوارها الثلاثة وإبراز وثائقها، والتعريف بمشاركات الحرس الوطني في حرب تحرير الكويت والاعتناء بوثائقها، وزيادة اهتمام الباحثين بالتاريخ مع تعريفهم بأساليب كتابة التاريخ وفنياتها ومجالات الإبداع فيها، وإبراز أهمية الحاجة إلى كتابة تاريخ الحرس الوطني وإسهاماته المختلفة، العسكرية منها والثقافية.

مسابقة ثقافية لدول مجلس التعاون

تستضيف إدارة النشاطات الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب خلال الفترة من ١ ـ ٥ جمادى الآخرة الجاري ١٤١٢هـ المسابقة الثقافية السابعة لشباب دول مجلس التعاون.

يمثل المملكة العربية السعودية في هذه المسابقة الفريق الثقافي لنادي الهلال الرياضي.

دليل للجوائز بدول الخليج

صدر عن **مكتب التربية العربي لدول الخليج** ـ مؤخراً ـ **دليل للجوائز العلمية والثقافية والتربوية** بدول الخليج العربي.



د. علي بن محمد التويجري



أحمد عبد الغفور عطار

يتضمن الـدليل قـوائم بأسماء الجوائز التي تمنح في كل من **الإمارات**، **والمملكة العربيـة السعودية**، **والبحـرين**، **والكويت**، فضـلا عن جـائزة المكتب. كما يقـدم تعريفـات بالجهات المانحة للجـوائز، وأهدافها، ومجالاتها، وشروطها، وطـرق التقدم إليها، ومزاياها، وعنوان مراسلة الجهة المانحة.

قدم للدليل بكلمة الدكتور **علي بن محمد التويجري** المدير العام للمكتب.

حفريات جديدة في الفاو

بدأت بعثة آثارية من **جامعة الملك سعود** في الرياض التنقيب في أماكن جديدة من **منطقة الفاو** الغنية بالآثار.

وستواصل البعثة التي وصلت إلى المنطقة برئاسـة عميد الكلية الدكتور **عبد الرحمن الطيب الأنصاري** الاكتشافات التي قامت بها بعثـات الجامعة خلال السنوات القليلة الماضية.

دكتوراه عن العطار

تعد الباحثة **الشفاء عبد الله عقيل** حالياً رسالة دكتوراه بإشراف الدكتور **عبد المجيد قطامش** عن الأديب والبحاثة السعودي الراحل **أحمد عبد الغفور عطار**.

وكانت الباحثة قد حصلت على درجة الماجستير برسالة موضوعها **الرومانسية عند بعض الشعراء السعوديين**.

متحف جديد

تم افتتاح **متحف الأخدود الأثري**، أحدث المتاحف في المملكة العربية السعودية، الذي بلغت تكاليف إنشائه ١٨ مليون ريال.

يحتوي المتحف على مقتنيات نادرة، منهـا ما كان يستعمله **أصحاب الأخدود** في البناء، إضافة إلى أوانٍ وبعض الكتابات التاريخية.

كـلـمـة

سلبيات نظامنا التربوي

تعود معظم مشكلات مجتمعنا العربي في جـذورها إلى مشكلة الأمية. فهناك العادات القـديمة السلبيـة، والتقاليـد البـالية التي تعمل على تمزيـق مجتمعنا، إضـافة إلى انتشـار الأمراض وتفشي الأوبئة وارتفاع نسبة الوفيات، وتردي الوضع الصحي السيئ، كما أن نسبة العاطلين عن العمل تـرتفع بين خريجي المدارس والجامعـات على الرغم من الحاجـة الماسة إليهم لعدم وجود تنسيق بين مخرجات النظم التعليمية وخطط التنمية العامة، وترتفع أعداد المتسـربين من المدارس لحاجة الأهل إليهم في الريف للعمل في الحقـول، أو لعدم استيعاب المدارس لـلأعداد الهائلـة لمن هم في سن التعليم إضـافـة إلى أن مدارسـنـا تخلـو من عنصر التشويق والجاذبية، مما يجعلها تبدو في نظر التلاميذ كابوساً يتمنون الخلاص منه.

هذه المشكلات تسهم إلى حد كبير في تعميق هوة التخلف وتؤخرنا عن اللحاق بركب الدول المتقـدمة. ولكـي نتجاوز واقعنا المؤلم يجب أن ننظر إلى النظام التعليمـي السائد في أقطارنا بمـزيد من العناية والاهتمام، ونعمل على تطويره ليـلائم معطيات المجتمع المعاصر ويساير ركب الحضارة.

تتبع معظم الأقطار العربية النهج التقليدي في مدارسها، وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة المبذولة لتحسين طرق التعليم إلا أنها لا تبعـد عن كونها محاولات لتحسين الطريقة التقليدية. فالتلميذ يحس منذ دخوله إلى المدرسـة أنه انتقل إلى عالم آخر مغاير لبيئته وبعيد عن جو أسرته التي تـربى فيها، إضافة إلى انعدام عنصر التشويق في العمليـة التعليمية مما يضعف اهتمام الطفل بـالمادة التي يتعلمهـا، إضافـة إلى حشـو عقل الطفل بـالمعلومـات بطريقة التلقين غالباً دون أن تتاح له الفـرصة للعمل على اكتشافها، ثم هو مطالب بحفظ هذه الكمية الهائلة من المعلومات، لا لأنه بحاجة إليها في حياته العملية بل ليتقدم بها إلى الامتحان. وتعمل الجامعات على تكريس النهج التقليدي نفسه باستثناء حالات نادرة.

إننـا في سبيل تطويـر نظامنـا التعليمي يمكن أن نستفيـد من خبرات الدول الأخـرى وتجاربها بالاطلاع على أنظمتها السائدة وخصائص كل منها، وتطوير المناسب منها ليلائم واقعنا العربي. ففي **الولايات المتحدة** تعمد المدرسة إلى توفير مختلف نواحي النشاط للطفل وتقديم أنواع الخبرات المختلفـة إليه قبل أن تقدم له المعلومـات حتى يصبح عنده استعداد لتقبلهـا، وتساعـد هذه العمليـة على اكتشـاف ميول الطفل في وقت مبكـر وتظهر مـدى استعـداده نحو نـوع معين من الـدراسة، ومن ثـم تقدم لـه المادة الـدراسية بحيث تكـون مشكـلات المجتمع محور هــذه المادة. ويشترك التـلاميــذ بإشراف المعلم في إيجاد الحل مستخدمين مواد متشابهة كالفيزياء والعلوم والرياضيات للتوصل إلى حل المشكلة.

ولتوفير البيئة المدرسية المناسبة للتعرف على ميول الأطفال وتنميتها، عمدت **بريطانيا** إلى بناء مـدارسها على شكل غرف واسعـة محاطة بحـدائق جميلة تساعـد على تفتح حواس الطفل وتنمية مداركه عندما يتعرف على عـالم المدرسة الذي يماثل العالم الواقعي، وتستفيد المدرسة من حيـوية الطفل ونشاطـه لدفعـه إلى اكتساب المعرفـة وزيادة خبراته. وتسـاعـد **المدرسة الفرنسية** على تحقيق اتصال الطالب بالعلوم ومسـايرة التطور المتسارع للمعرفة عن طريق تشجيع روح البحث والاكتشـاف عنده، ومن هنا **فليس هناك انقطاع بين المدرسة والتطور العلمي والتقني**. وتشجع مناهج الدول المتقدمة على العمل الجماعي، حيث تدفع الطلاب إلى التعاون عن طريق اشتراكهم في مشروعات جماعية تراعي من خلالها قدرات كل منهم واستعداداته، وتعمل على إبراز مواهبهم. فقد نظمت **بريطانيا** صفوف مدارسها على شكل مجموعـات من التلاميذ تتفـاوت أعمارهم بين ٥ و ١٢ سنة، ويقوم التلاميـذ الكبار منهم بالعناية بالصغار تحت إشراف معلميهم، ومن هنا فإن الطفل يتعود على حب العمل الجماعي والتعاون منذ حداثة سنه.

ومن هنـا لا بـد لنا من مـواجهـة الـواقع وتحدي الظـروف المحيطة بنـا، عن طـريق التخلص من سلبيات النظام التقليدي في التعليم الـذي يساعد على الاتكال ويقف عقبة أمام استيعـاب التطور التقني، والتسارع المعرفي، وتطـوير نظامنا التربـوي مستفيدين من خبرات الدول الأخرى وتجاربها، **دون أن تتناسى قيمنا وتراثنا فنعمل على اختيار المناسب منه وتكييفه ليتـاسب هذا العصر، لنستفيـد منه لا لنتغنى به**. كما أن علينــا أن نعمل على تشجيع روح البحث والاكتشـاف عند الطـلاب وتعـويدهم على عـادات التفكير السليم واستيعاب المعارف المتطورة وتسهيل الاتصال بالواقع.

عبد اللطيف السعيد

سورية ـ حمص

مسابقة نادي جازان الثقافية

أعلن نادي جازان الأدبي عن مسابقته الثقافية الأولى للعام الحالي ١٤١٢هـ للأدباء السعوديين في مجالي القصة القصيرة والشعر.

اشترط النادي ألا يكون قد سبق نشر المشاركات في كتاب، إلى جانب شروط أخرى. وتحدد نهاية شهر شعبان القادم أقصى موعد لقبول المشاركات، ويمنح الفائز الأول خمسة آلاف ريال مع طبع إنتاجه، والثاني ثلاثة آلاف ريال مع إهدائه مجموعة من مطبوعات النادي، وله حق طبع مشاركته إذا شاء، على أن يشتري النادي منه عدداً من النسخ لا يقل عن مائتي نسخة، ويمنح الفائز الثالث ألفي ريال.

معرض لجراحات العالم الإسلامي

استضافت المنطقة الشرقية - مؤخراً - المعرض الثاني عن جراحات العالم الإسلامي.

نظمت المعرض الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في إطار اهتمامها بالمسلمين وقضاياهم المصيرية. وكان المعرض الأول قد أقيم تحت نفس العنوان في مدينة الرياض.

لقاءات منتظمة لنادي الشرقية الأدبي

خصص النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية كل يوم ثلاثاء خلال هذا الشهر والشهر المقبل للمحاضرات والمسامرات والملتقيات.

النادي سيستقبل خلال هذه الفترة النتاج الأدبي لأبناء المنطقة ليقوم النقاد والمتخصصون بتقويمها وفحصها.

معرض تشكيلي

أقيم في صالة الروشان بجدة معرض تشكيلي جماعي للفنانين السعوديين.

ضم المعرض أعمال ٥٨ فنانا يمثلون مختلف الاتجاهات الفنية.

كتب جديدة

● **دراسات في الصحافة المتخصصة** تأليف د. **غازي زين عوض الله** ود. **صلاح عبد اللطيف**، صدر عن **المؤسسة الإعلامية للطباعة** بجدة.

● **في البدء كان الرحيل**، المجموعة القصصية الأولى للقاصة **فوزية الجار الله**، صدرت عن **نادي القصة السعودي**.

● **الوثائق والأوراق التاريخية المخطوطة**: ترتيبها ووصفها تأليف ديفير جريسي، ترجمة د. **عبد الرحمن عبد الله الشيخ**، صدر عن **مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض**.

الإمارات

معرض الشارقة للكتاب

برعاية سمو حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي نُظّم مؤخراً **معرض الشارقة للكتاب**.

شارك في المعرض ناشرون يمثلون ١٦ دولة عربية و ١١ دولة أجنبية، واشتمل على ٥١ ألفا و ٣٠٠ عنوان عربي و ٢٩ ألفا و٩٧٢ عنواناً بلغات أخرى.

استرداد مجموعة أثرية

تمكن متحف الشارقة من **استرجاع إحدى عشرة قطعة أثرية** كان قد تم أخذها منذ فترة طويلة إلى متاحف بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

والقطع الأثرية المستردة عبارة عن قطع معدنية، بعضها عملات يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد.

البحرين

توثيق المنجزات الثقافية

تعتزم **وزارة الإعلام** البحرينية إصدار سِفْر متكامل يؤرخ ويوثق **منجزات التنمية الثقافية في البحرين** منذ عام ١٩٦١م حتى ١٩٩١م، بالإضافة إلى الجوانب التأسيسية السابقة.

أسندت الوزارة عملية إعداد هذا السِفْر إلى مجموعة من أبرز الباحثين في مختلف المجالات الثقافية والتاريخية والإعلامية، فضلاً عن الآثار والمتاحف.

وينتظر أن يشمل أيضا هذا العمل المرجعي **ببليوجرافيا** لكل ما كُتِبَ عن البحرين باللغة العربية واللغات الأجنبية، وما ترجم من كتب حول هذا الموضوع.

معرض للمخطوطات الإسلامية

افتتح فضيلة **الشيخ عبد الله** بن خالد **آل خليفة** وزير العمل والشؤون الإسلامية في البحرين **معرض المخطوطات الإسلامية** الذي نظمه **بيت القرآن الكريم** بالمنامة.


د. سليمان حزين


د. محمد السعدي فرهود


د. أحمد عمر هاشم


د. جمال ماضي أبو العزايم

ضم المعرض مجموعة من المخطوطات من بينها رسائل وقصائد نبوية، وأخرى تضم أسماء النبي عليه الصلاة والسلام.

اكتشافات أثرية

اكتشفت في موقع سار الأثري بالبحرين **أربعة تماثيل** مبنية من الحجارة الكلسية، ملامح الوجوه بها مختفية تماماً، وهيكل لامرأة حامل، وعثر على هيكل جنين قرب الحوض وبعض حبات خرز حول عنقها، إلى جانب هيكلين لامرأة ورجل في قبر واحد، وأربعة شواهد قبور مبنية من الحجارة الكلسية. ويعتقد أن هذه الشواهد إما وضعت لحراسة التلال أو تمثل أصناماً كانت تعبد آنذاك.

ومن الأشياء الأخرى التي عثر عليها بالموقع أيضا بقايا بيض دجاج وعظام يعتقد أنها لديك، وبعض الأواني الفخارية والجرار الصغيرة والعقود والخرز والأزرار، وقوارير زجاجية.

الكويت

من الكتب الجديدة

● **الثقافة العربية وأزمة الخليج** تأليف د. **فؤاد زكريا**، صدر عن **الشركة الكويتية للأبحاث**.

اليمن

منزل رامبو مركز للشعر

تقرر تحويل المنزل الذي أقام فيه الشاعر الفرنسي **رامبو** أثناء إقامته في عدن إلى **مركز عالمي للشعر**.

دشّن المنزل الذي يقع في منطقة السوق بوسط المدينة وزير الثقافة الفرنسي **جاك لانج** وزميله وزير الخارجية **رولان دوما**.

ووصف وزير الثقافة الفرنسي تدشين المنزل بأنه رمز للتعاون الثقافي بين فرنسا واليمن.

مصر

بنك لمعلومات السيرة والسنّة

قام **المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية** بإنشاء **بنك معلومات للسيرة والسنة النبوية الشريفة** يضم كافة المعلومات والمراجع والأبحاث والمخطوطات في هذا المجال.

يهدف البنك إلى توفير المصادر الإسلامية اللازمة لإعانة الباحثين في هذا المجال وخدمة الدعوة الإسلامية.

مبارك يفتتح متحف الفن المصري

افتتح الرئيس **محمد حسني مبارك** -مؤخراً- **متحف الفن المصري الحديث** الذي بلغت تكلفته سبعة ملايين جنيه وأقيم في مبنى أرض المعارض بجوار دار الأوبرا.

يعد المتحف أول بانوراما متكاملة تؤرخ لمسيرة الفن المصري، حيث تضم **١٣ ألف عمل فني** في جميع مجالات الفن التشكيلي تمثل المراحل المختلفة لتطور هذا الفن، بدءًا من جيل الرواد إلى أبرز الفنانين المعاصرين.

وتقدر قيمة هذه الأعمال بنحو مليار جنيه مصري، ولن تعرض جميعها مرة واحدة، وإنما على فترات بحيث يعرض في كل فترة **١٣٠٠ عمل** وستقام سلسلة من الندوات والمحاضرات في قاعة المتحف.

ترشيحات لجائزة الملك فيصل

رشح مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر خلال اجتماع عقده مجلس المجمع برئاسة الشيخ **جاد الحق علي جاد الحق** شيخ الجامع الأزهر، الشيخ **محمد خاطر** مفتي الديار المصرية الأسبق لنيل **جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام**، والدكتور **سليمان حزين** وزير الثقافة الأسبق لنيل **جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية**.

كما تم ترشيح الدكتور **محمد السعدي فرهود** رئيس جامعة الأزهر السابق لنيل **جائزة الدولة التقديرية في الأدب العربي**، والدكتور **أحمد عمر هاشم** نائب رئيس جامعة الأزهر لنيل **جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية**.

كما نوقشت خطة الأزهر لنشر الدعوة وتعليم اللغة العربية في المجتمعات الإسلامية خارج نطاق الدول الإسلامية.

مؤتمر عن الصحة النفسية

نظمت **دار الإفتاء المصرية** خلال شهر جمادى الأولى ١٤١٢هـ المنصرم المؤتمر العالمي الأول حول «الصحة النفسية والعنف».

شارك في المؤتمر علماء من مصر والمملكة العربية السعودية والبحرين وتونس وسورية والأردن والجزائر واليمن والولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب علماء من أوروبا وأفريقيا.

وأوضح الدكتور **جمال ماضي أبو العزايم** رئيس الجمعية العالمية للصحة النفسية ورئيس المؤتمر أن العلماء ناقشوا أبحاثا عن مشكلات الصراعات المختلفة ودور الصحة النفسية في حلها، وأبحاثا أخرى عن الشريعة الإسلامية ودورها في حل الصراعات والدروس المستفادة من صلح الحديبية والغلو في الدين وأثره في انتشار الصراعات.


عبد الوهاب عبد الواسع


فاروق شوشة


د. أحمد هيكل

وفاة أحمد زين

توفي مؤخرا الكاتب الصحافي **أحمد زين**، رئيس تحرير جريدة **«لواء الإسلام»** السابق، إثر جلطة في المخ.

وقد عمل الفقيد ـ رحمه الله ـ الذي ولد عام ١٩٢٦م في جريدة **«الأخبار»** منذ تخرجه في الجامعة الأمريكية قسم صحافة، وتدرج في المناصب الصحفية حتى وصل إلى منصب مدير تحرير **«الأخبار»**، وحين بلغ الستين عُيِّن رئيساً لتحرير جريدة **«لواء الإسلام»**.

تكريم شاعر قطري

أقامت **رابطة الأدب الحديث** بالقاهرة ندوة تكريماً للشاعر القطري **الشيخ مبارك بن سيف آل ثاني**.

شارك في الندوة نخبة من الشعراء والمفكرين والأدباء.

وقدم رئيس الرابطة الدكتور **محمد عبد المنعم خفاجي** شهادة تقدير إلى المحتفى به تقديراً لإسهاماته الشعرية.

معرض دولي لكتب الأطفال

يختتم في الثاني من شهر جمادى الآخرة الجاري ١٤١٢هـ، الموافق ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩١م **المعرض الدولي لكتب الأطفال في القاهرة**.

شارك في المعرض قرابة **٣٦٠ ناشراً** من **٢٨ دولة عربية وأجنبية** ونظمته الهيئة المصرية العامة للكتاب، وتخللت أيامه مسابقات لأدب الأطفال وعروض مسرحية وسينمائية، فضلاً عن ندوة عن ثقافة الطفل.

علاقة الأدب بالتاريخ

نظمت **كلية الآداب بجامعة عين شمس** في السابع عشر من شهر جمادى الأولى المنصرم ١٤١٢هـ ندوة حول **علاقة الأدب بالتاريخ**.

اشترك في الندوة عدد من أبرز أساتذة الجامعة وألقيت خلالها مجموعة من الأبحاث من بينها أبحاث عن روايات **نجيب محفوظ** التاريخية، وأثر الثورة الفرنسية على الأدب الفرنسي، وجدلية العلاقة بين النص الأدبي والنص التاريخي.

دراسة إعادة بناء فنار الإسكندرية

تجري هيئة الآثار في الإسكندرية حالياً دراسة للنظر في إعادة بناء **فنار الإسكندرية القديم**، الذي يعتبر أحد عجائب الدنيا السبع، ويعود تاريخ إنشائه إلى عام ٢٧٠ قبل الميلاد.

أهرامات للعامة

اكتشفت على بعد خمسة كيلومترات من أبي الهول وأهرامات الجيزة الثلاثة تسعة قبور تعلوها **أهرامات صغيرة يعود تاريخها إلى ما قبل ٤١٠٠ عام**، مبنية من اللبن.

وتكمن أهمية الكشف في كونه أول دليل على أن الأهرامات لم تكن تبنى للفراعنة فقط، وإنما أيضا للعامة.

الفائزون بجائزة مهرجان كفافيس

أعلنت أسماء الفائزين بجوائز **مهرجان كفافيس الثاني** الذي أقيم بدار الأوبرا وافتتحه وزير الثقافة المصري **فاروق حسني** بحضور سفير اليونان في القاهرة.

فاز بجائزة الشعر **فاروق شوشة**، وبجائزة الدراسات الأدبية والترجمة الدكتور **أحمد عثمان** لترجمته رواية نجيب محفوظ **بداية ونهاية** إلى اللغة اليونانية.

وتم خلال المهرجان تنظيم أمسية شعرية ألقيت خلالها أشعار كفافيس باللغتين العربية واليونانية، وتكريم بعض الشعراء وهم: **أحمد سويلم، ووفاء وجدي، وحسن طلب، وأحمد هريدي، وإسماعيل عقاب، ومحمد آدم**.

كتب جديدة

● **العناصر التراثية في الرواية العربية** تأليف د. مراد عبد الرحمن مراد، صدر عن دار **المعارف بالقاهرة**.

● **أقول لكم.. من الحب والفن والحياة** الكتاب السابع في سلسلة الأعمال الكاملة للشاعر الراحل **صلاح عبد الصبور**، صدر عن **الدار المصرية للكتاب**.

● **التحديات التي تواجه العالم الإسلامي** تأليف الأستاذ **عبد الوهاب عبد الواسع**، صدر عن دار الشعب بالقاهرة.

● **الفلسفة وقضايا العصر** تأليف جون بودر وميلتون جولد بنجر ترجمها إلى العربية الدكتور **أحمد حمدي محمود**، صدر ضمن **سلسلة الألف كتاب**.

● **ست الحسن والجمال** رواية للكاتب **فتحي غانم**، صدرت ضمن سلسلة **روايات الهلال**.

● **إشكالية القراءة وآليات التأويل** للناقد الدكتور **نصر حامد أبو زيد**، صدرت ضمن سلسلة **كتابات نقدية** عن **الهيئة العامة لقصور الثقافة**.

● **حفيف الخريف** ديوان جديد للشاعر الدكتور **أحمد هيكل** صدر عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب**.

● **حكاية ريم الجميلة** رواية جديدة **لمجيد طوبيا**، صدرت ضمن سلسلة **كتاب اليوم**.



د . علي شلش

الأردن

وفاة سعيد العيسى

توفي الشاعر سعيد العيسى عن عمر يناهز ٧٤ عاماً .

ولد سعيد العيسى في يافا عام ١٩١٧م وفيها تلقى تعليمه الابتدائي، ثم انتقل إلى رام الله ليتلقى التعليم الثانوي، وتخرج عام ١٩٧٧م في الجامعة الأمريكية في بيروت .

وهو إذاعي بارز وكاتب صحافي وشاعر معروف شارك بشعره في إثراء الكفاح الفلسطيني ودعمه، وصدر ديوانه الوحيد **همسات الأصيل** عام ١٩٨٩م .

متحف وطني

تقرر إنشاء متحف وطني يضم التحف الأثرية والأنثربولوجية والوثائق التاريخية المتعلقة بالتطور الاجتماعي للإنسان .

ومهمة المتحف هي تثقيف الزوار وتعريفهم بمنجزات الذين عايشوا الحضارات القديمة والتعرف على عاداتهم وثقافاتهم .

قدرت تكاليف المشروع الذي يستغرق إنجازه خمسة أعوام بنحو عشرة ملايين دينار أردني .

من الكتب جديدة

● **التراب المر**، رواية **لرياض سيف**، صدرت عن **دار الكرمل** في عمّان .

سورية

اكتشافات أثرية جديدة

أسفرت عمليات التنقيب في مناطق مختلفة من سورية عن **اكتشافات أثرية مهمة** تشمل منحوتات وقطعاً فخارية ولوحات فسيفسائية .

فعلى بعد نحو ٣٠٠ كم من دمشق، وبالتحديد في **أفاميا** قرب حلب اكتشفت **لوحة فسيفسائية** ترصف أرض دير كبير يرجع تاريخه إلى مطلع القرن الخامس الميلادي، وتحمل اللوحة نصوصاً تؤرخ للبناء ومَنْ قاموا ببنائه .

وعثر في **الحسكة** شمال شرقي سورية على ٥٨٨ **لوحة مسمارية** في ثلاث جرار فخارية في **تل ليلان**، وبجوارها جرن من البازلت مع مجموعة من الجرار الكبيرة، وتتحدث بعض اللوحات عن صناعة قديمة ويتضمن بعضها الآخر نصوصاً إدارية تحمل أسماء الأشهر والسنوات الجديدة .

كما أظهرت الحفريات في **تل ليلان** وجود العديد من الطبقات التي تعود إلى الألفين الثاني والثالث قبل الميلاد، وفيها أفران لصناعة الفخار، وقبور تحتوي على أسلحة برونزية وجرار فخارية صغيرة وخواتم ذهبية وبعض الحلي .

واكتشف في **حوض العاصي** قرب حمص مدفن أثري يعود إلى العصر البيزنطي بداخله جرة فارغة ومبخرة .

ويذكر أن هناك نحواً من **أربعين بعثة آثارية** تعمل في سورية .

لبنان

معرض للمعاجم والموسوعات

افتتح في صيدا ـ مؤخراً ـ **معرض للمعاجم والموسوعات** ضم ٥٠٠ عنوان في سبع لغات .

المعاجم والموسوعات المعروضة كانت باللغات العربية و الفارسية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية والإيطالية والألمانية .

كتب جديدة

● **السبايا** مجموعة قصصية للقاص **إلياس العطروني**، صدرت عن **جمعية أصدقاء الكاتب والكتاب** في بيروت .

● **الاتصال والإعلام في الوطن العربي** تأليف د. **راسم محمد الجمال**، صدر عن **مركز دراسات الوحدة العربية** في بيروت .

● **عقد من الحجارة** ديوان جديد للشاعر د. **غازي عبد الرحمن القصيبي**، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** في بيروت .

● **الجازية والدراويش** رواية الكاتب الجزائري **عبد الحميد بن هدوقة، ط٢** .

● **جحيم ذهبي** مجموعة قصصية للكاتبة **ليانة بدر** .

● **نجيب محفوظ : الطريق والصدى** تأليف د . علي شلش .

● **الجياد الهاربة** رواية الكاتب الياباني يوكيوميشيما، ترجمها إلى العربية **كامل يوسف** .

الكتب الأربعة الأخيرة صدرت عن **دار الآداب** في بيروت .

تونس

مهرجان التلفاز العربي الخامس

استضاف التلفاز التونسي ـ مؤخراً ـ المهرجان التلفازي العربي الخامس .

ناقش المهرجان أساليب تطوير البرامج التلفازية في العالم العربي وتحقيق تبادل المعلومات والبرامج ومواجهة تدفق البرامج التلفازية الأوروبية عبر الأقمار الصناعية إلى العالم العربي، مع بحث البدائل التي يمكن أن تنال اهتمام المشاهد العربي .


جمال الغيطاني

الردّادي يرأس لجنة إعلامية عربية

انتخب الدكتور **عائض الردّادي** من المملكة العربية السعودية رئيساً للجنة الدائمة للبرامج التابعة لاتحاد إذاعات الدول العربية لمدة عامين. وتم ذلك خلال الاجتماع الثاني والعشرين للجنة الذي عقدته - مؤخراً - في تونس العاصمة.

الدكتور الردّادي يشغل حالياً منصب المدير العام لإذاعة الرياض.

من الكتب الجديدة

● **الزيني بركات** رواية الكاتب **جمال الغيطاني**، صدرت طبعتها السادسة عن **دار الجنوب للنشر** في تونس.

الجزائر

الجزائريون نحتوا قبل الرومان

كشفت منحوتة عثر عليها آثاريون ألمان تعود إلى ما قبل العصر الروماني، عن أن الجزائريين قد عرفوا النحت قبل أن يعرفه الرومان على عكس ما هو شائع.

وقد عثر على المنحوتة التي نحتت في عهد الملك جوبا في منطقة **شرشال** على بعد مائة كيلومتر غرب الجزائر العاصمة.

جائزة نور الدين عبا

أعلنت - مؤخرا - أسماء الفائزين **بجوائز مؤسسة نور الدين عبا** للكتّاب باللغة الفرنسية.

حصل على جائزة كاتب ياسين الروائي **الطاهر جعوط** عن روايته **الحراس**، وفاز بجائزة مالك حداد في مجال الشعر الكاتب **دالمونسي** عن كتابه **عرس مجنون**، ومنحت **الجائزة الخاصة بلجنة التحكيم (أول رواية)** للروائية **مليكة المقدم** عن روايتها **الرجال الذين يمشون**.

المغرب

الجائزة الكبرى للفاسي

حصل المفكر المغربي **محمد الفاسي** على **الجائزة الكبرى للاستحقاق الفكري، تقديراً لجهوده في خدمة الفكر والثقافة وتطوير التعليم**.

ويعد محمد الفاسي أول من تولى وزارة التربية الوطنية بعد الاستقلال، ثم شغل منصب مدير جامعة محمد الخامس، وتولى بعدها وزارة التعليم الأصيل (الديني) ثم وزارة الشؤون الثقافية.

وهو كاتب ومفكر إسلامي، له مؤلفات علمية وأدبية وتاريخية تنحى منحى أصيلاً، وتذود عن الهوية والحضارة الإسلامية.

ندوة عن العالم الإسلامي وأوروبا الموحدة

استضافت مدينة الدار البيضاء ندوة حول **انعكاسات السوق الأوروبية الموحدة على العالم الإسلامي**، التي نظمها المركز الإسلامي لتنمية التجارة التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية بمشاركة خبراء متخصصين يمثلون منظمات دولية.

تركزت المناقشات على الانعكاسات المتوقع حدوثها على العالم الإسلامي عام ١٩٩٢م وهو العام الذي ستندمج فيه اقتصاديات دول السوق الأوروبية، حيث تشير الدراسات إلى أن حدوث ذلك سوف يؤدي إلى ميل الميزان التجاري بين أوروبا والعالم الإسلامي لصالح الأولى، مع تقنين هجرة اليد العاملة الإسلامية إلى أوروبا، وغير ذلك من الانعكاسات السلبية.

واقترحت الندوة حلولاً لهذه الآثار تتمثل في ضرورة توحيد مواقف الدول الإسلامية من السوق الأوروبية الموحدة، والتأكيد على الاندماج الجوهري بين أقطار العالم الإسلامي، والعمل على إصلاح اقتصاديات البلدان الإسلامية.

تنمية الصناعات التقليدية الإسلامية

اختتمت ندوة **آفاق تنمية الصناعات التقليدية في الدول الإسلامية** أعمالها في مدينة الرباط مؤخراً.

وكانت الندوة التي استمرت ثلاثة أيام قد نظمت بالتعاون بين مركز الأبحاث للتاريخ والفنون في إسطنبول التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي والمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية في جدة وجمعية رباط الفتح في المغرب.

صدرت في ختام الندوة عدة توصيات تدعو في مجملها إلى **الاهتمام - في مجال التعليم والتدريب - بتكوين الحرفيين المهرة**. ووضع برامج متخصصة تجمع بين التعليم العام والتكوين المهني والتقني، وتوفير الكتب والمواد السمعية والبصرية اللازمة لتعليم مختلف الفنون، ، وإيجاد **قنوات التعاون** وتبادل البرامج والخبرات بين الحرفيين، صيانةً للتراث الإسلامي وحفاظاً على الروح الخلاقة التي هي أساس الهوية الإسلامية، إضافة إلى إيجاد التكوين العام الذي تدخل فيه مواد التقنية والهندسة وتاريخ الفنون والرسم والمحاسبة.



د. عبد الله الحامد



م. حسن الشامي



إبراهيم صعابي

ومن أبرز التـوصيـات توصيـة **بإنشاء مراكـز للدراسـة والبحث تجمع بين الصانع التقليدي المبـدع والفنان والمهنـدس التقني**، والاهتمام بتـوعية الأطفـال في المدارس، وإعادة استعمال الأشكال والتصـاميم القديمة، **ودعم النشاطـات الحرفية في فلسطين المحتلـة، وتأسيس اتحاد الحرفيين والجمعيات المهنيـة** يهتم بإعـداد المهنيين وإمدادهم بمستلزمات الإنتاج، ومراقبة الجودة والتسويق.

أندونيسيا

مهرجان للثقافة الإسلامية

أقيم - مؤخـراً - في جاكرتا تحت رعايـة الرئيس الأندونيسي **سوهارتو مهرجان حول الثقافة الإسلامية**.

حضر حفل الافتتاح الـذي أقيم في جامع الاستقلال الكبير ملك ماليـزيا **أصلان شاه**، وسلطان بروناي **حسن بلقيه**، فضلاً عن مفتي بكين الأكبر **شن كسياكسي**.

يوغسلافيا

ندوة عن الثقافة الإسلامية في مقدونيا

عقدت - مؤخراً - في مدينة سكوبيا ندوة عن الثقافة الإسلامية في مقدونيا، نظمتها مكتبة عيسى بك.

تناولت بحوث الندوة تطور الثقافة والأدب والعمارة والفنون الإسلامية، والمؤسسات التعليمية والخيرية، والوضع الحالي للتراث الإسلامي.

أسبانيا

حوار أوروبي إسلامي جديد

أصدرت اللجنة البرلمانيـة الأوروبية - مؤخراً - توصية إلى اللجنة الـوزارية الخاصة

محاضرات وندوات

● **سموم القلب** عنوان محاضرة ألقاها في مقر **جمعية المبرة الخيرية بمكة المكرمة الشيخ سعيد بن مسفر القحطاني**.

● **مقدمات في علوم القرآن الكريم** عنوان محاضرة ألقاها في **جامع الأمير سلطان** بحي السويدي الغربي بالرياض الدكتور **صالح بن عبد العزيز آل الشيخ**.

● **حقيقة المنهج الإسلامي وواقع الأمة المعاصر** عنوان محاضرة ألقاها في **جامع الملك فيصل** بالخالدية في أبها الشيخ **محمد أحمد العسكري**.

● **حماية المصنّفات الأدبية وحقوق المؤلف** موضوع ندوة نظمها في الشارقة **اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات** بالتعاون مع كلية **الشريعة والقانون** بجامعة الإمارات، وشـارك فيها عدد من الأكاديميين والأدباء والمهتمين بالموضوع.

● **الطرق الحديثة في علاج الربـو الشعبي وحساسية الصدر** عنوان محاضرة ألقتها في **المستشفى السعودي الألماني** بجدة د. **أنيسة الحنفي**.

● **الهبوط من جبل المورجان** محاضرة ألقاها الكاتب الأمريكي **آرثر ميللر** عن مسرحيته التي تحمل نفس العنوان وذلك في **مسرح أوليفييه** بلندن.

● **فتاة الإسلام بين الحجـاب والسفور** عنوان محاضرة ألقـاها في **جمعية المبرة الخيرية** بمكة المكرمة الشيخ **أبو بكر الجزائري**.

● **الرعاية الصحيـة الأولية بين النظرية والتطبيق** عنـوان محاضرة ألقيت في **مستشفى الولادة والأطفال** بجدة.

● **رحلة إلى بـلاد الأفراح**، عنـوان محاضرة ألقاهـا في **مسجد الغضية** في منفوحـة بالرياض **الشيخ عبد الله بن حماد الرسي**.

● **أصالة البلاغة العربية** عنوان محاضرة ألقاها في **نادي القصيم الأدبي** ببريدة **الدكتور سعد أبو الرضا**.

● **تطوير مناهج اللغة العربية** عنوان محاضرة ألقاها في **النادي الأدبي** بالدمام **الدكتور عبد الله الحامد**.

● **الحركة الأدبية في جنوب المملكة العربية السعودية** عنوان محاضرة ألقاها في **نادي مكة الثقافي الأدبي** الأستاذ **حجاب بن يحيىٰ الحازمي**.

● **الحديث في تشخيص وعـلاج مرض السكـر** عنوان نـدوة نظمتها **مديرية الشؤون الصحية بمكة المكرمة**، وشارك فيهـا عدد من الإخصائيين بكلية الطب في جـامعة الملك سعود بالرياض.

● **كيف نكتب التاريخ؟** عنوان محاضرة ألقـاها في **النادي الأدبي بأبها** **الشيخ محمد قطب**.

● **الروبوت الصناعي** عنوان محاضرة ألقاها في **معهد الإدارة العامة** بالرياض المهندس حسن الشامي.

● نظم النـادي الأدبي الثقافي بجـدة أمسيـة قصصية، شـارك فيهـا كل من: **عبد العزيز الصقعبي، وخالد أحمد اليوسف، وعبده خال**. قدم الأمسية وأدار حوارها القاص والناقد **محمد علي قدس**.

● نظمت في الكـويت أمسية شعـرية للـدكتور **غازي عبد الـرحمن القصيبي**، قدم الأمسية التي أقيمت على **مسرح المعاهد الخاصة** وزير الإعلام الكويتي **الدكتور بدر جاسم اليعقوب**.

● **نظم نادي مكة الثقافي أمسية شعرية** شارك فيها الشاعران **إبراهيم صعابي وكريم النويمس**.


نجيب المانع

بالدول الأوروبية الأعضاء تدعو إلى إيجاد **قنوات للحوار بين أوروبا والبلدان الإسلامية** من أجل تعرف كل طرف على الآخر، وخاصة فيما يتعلق بالثقافة الإسلامية في أوروبا.

تأتي هذه التوصية استجابة للمبادرة التي قدمها المعهد الغربي للثقافة الإسلامية في مدريد عقب اللقاء الذي عقده في شهر مايو (آيار) الماضي ١٩٩١م مع البرلمان الأوروبي بالتعاون مع منظمة اليونسكو.

ويهدف الحوار إلى حل الإشكاليات التي تظهر من حين لآخر في العلاقات الإسلامية الأوروبية.

جائزة بلانيتا لمونوزز

حصل الكاتب الروائي **انطونيو مونوزز** على **جائزة بلانيتا الأدبية** عن روايته **الفارس البولندي أو مستقبل المهزومين**.

ويعد مونوزز من أبرز الكتّاب الأسبان، وهو يبلغ من العمر ٣٥ عاماً، وكان قد أصدر قبل ذلك عدة روايات أشهرها **الشتاء في لشبونة** التي فازت بجائزة النقد الأسباني والجائزة الوطنية للأدب.

وتعد جائزة بلانيتا التي تبلغ قيمتها ٢٥٠ ألف دولار من أرفع الجوائز الأدبية في اللغة الأسبانية.

من أحدث الكتب

● **أزمة المثقفين العرب**، تأليف **عبد الله العروي**، صدرت ترجمتها الأسبانية ضمن **سلسلة القبلة** عن **دار نشر ليبرتارياس**.

ألمانيا

مركز إسلامي في برلين

بدئ - مؤخراً - في اتخاذ الخطوات التنفيذية لإنشاء **مركز ثقافي إسلامي في مدينة برلين**.

ومن المنتظر أن يكون هذا المركز من أكبر المراكز الإسلامية في العالم، نظراً لوجود جالية إسلامية كبيرة في ألمانيا يصل تعدادها إلى ما يقارب **المليونين ونصف المليون مسلم** معظمهم من الأتراك والأكراد والعرب.

أسبوع ثقافي قطري

تستضيف مدينة برلين أسبوعاً ثقافياً قطرياً يتضمن العديد من النشاطات الثقافية والفنية.

وتعد قطر من أوائل دول العالم التي تقوم بنشاط من هذا النوع في برلين بعد توحيدها.

بريطانيا

وفاة نجيب المانع

توفي في لندن الكاتب السعودي **نجيب المانع** إثر نوبة قلبية عن عمر يناهز ٦٥ عاماً.

والمانع من مواليد الزبير في محافظة البصرة عام ١٩٢٦م، وكان خلال فترة الخمسينيات الميلادية من الوجوه الثقافية البارزة في العراق، ثم استعاد الجنسية السعودية.

وهو كاتب وروائي ومترجم، وصل عدد الكتب التي ترجمها إلى نحو ثلاثين كتاباً، من أبرزها ترجمته لرواية **جاتسبي العظيم** لفيتزجيرالد **ومذكرات رايسا جوربا تشوف و** المسلمون في الاتحاد السوفييتي. وله رواية وحيدة عنوانها **تماس المدن**.

جائزة بريطانية لنيجيري

حصل الروائي النيجيري **بن أوكري** على **جائزة الكاتب** إحدى أكبر الجوائز الأدبية البريطانية عن روايته **درب الموت جوعاً**.

ولد أوكري الذي يبلغ من العمر ٣١ عاماً في نيجيريا ثم انتقل عام ١٩٧٨م للإقامة في بريطانيا. وله - حتى الآن - ثلاث روايات.

ويذكر أن جائزة الكاتب تمنح للروائيين من دول الكومنولث وجنوب أفريقيا وأيرلندا.

من أحدث الكتب

● **الهوس الشرقي** تأليف **جون سويتمان**، صدر عن **مطبعة جامعة كمبردج**.

● **الديارات لأبي الفرج الأصبهاني**، تحقيق **جليل العطية**، صدر عن **دار رياض الريس للنشر**.

● **قصة زهرة** رواية للكاتبة **حنان الشيخ** نقلها إلى الإنجليزية بالتعاون مع المؤلفة **بيترفورد**، وصدرت عن **دار كوارتيت**.

فرنسا

أهمية الترجمة والمترجم

اجتمع أربعون كاتباً من ثلاثين بلداً في اللقاء الثقافي «جنون القراء»

الذي أقيم ـ مؤخراً ـ في باريس تحت شعار «الترجمة».

من أبرز المشاركين في هذا اللقاء: البريطاني **وليام بويد**، والسوفييتي **الكسندر زينوفييف**، والإيطالي **انطونيو تابوكي**، والألباني **إسماعيل كادارية**.

وتركز الموضوع على أهمية الترجمة كوسيلة تفاهم وتلاق بين الشعوب، وضرورة النظر إلى المترجم بنفس النظرة التي يحظى بها المؤلف.

لوحات في كهف داخل البحر

اكتشف أحد الغواصين المحترفين لوحات جدارية داخل كهف بحري قبالة الساحل بجنوب فرنسا يعتقد أنها ترجع إلى ما قبل ١٢ ألف عام على الأقل.

وذكر **روبرت تشينور كيان** مدير معامل الآثار ودراسات ما قبل التاريخ أنه من المعتقد أن الرسومات التي تم رسمها باستخدام الكربون والمنجنيز تعود إلى نحو عشرة آلاف عام قبل الميلاد، وربما يكون عمرها أقدم لكون بعض التابلوهات تحتوي على مناظر لأيدٍ مبتورة وهو موضوع كان مفضلاً خلال الفترات المبكرة من هذا التاريخ.

ومن المعتقد أن اللوحات رسمت في وقت كان المدخل المؤدي إلى الكهف فوق مستوى البحر، قبل أن يعلو منسوب البحر ويغطي المدخل والكهف.

قاموس فني

صدر في باريس قاموس يغطي جميع الحركات الفنية الكبرى في العالم خلال هذا القرن من التكعيبية إلى البوت آرت إلى الفن الذي يأخذ بالحد الأدنى من الأشياء.

يجمع القاموس ١٤٠٠ **فنان** من مختلف أنحاء العالم ومختلف الحركات الفنية في ٨٩٦ صفحة مزينة بنحو ٤٠٠ رسم.

إلا أن معديه لم يستطيعوا أن يحصروا كل الأسماء الكبرى، فجاء القاموس خالياً من بعض الأسماء التي لها وزن وتستحق أن تسجل.

وفاة مؤرخ الثورات

توفي في باريس المؤرخ والصحافي والكاتب **جورج سوريا** المعروف بلقب «مؤرخ الثورات» عن عمر يناهز ٧٧ عاماً.

ولد جورج سوريا في تونس عام ١٩١٤م، وفي سن العشرين انتقل إلى باريس، حيث صار صحفيا بنصيحة من **اندريه مالرو**، وتزامل مع الكاتب الأمريكي الشهير **ارنست همنجواي** حين عمل مراسلاً حربياً في أسبانيا خلال الفترة ما بين عامي ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩م ثم على الجبهة الروسية خلال الحرب العالمية الثانية، وبعد انتهاء الحرب

رسائل جامعية

● **الحركة الوطنية الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في **قسم التاريخ بجامعة الملك سعود في الرياض**، تقدمت بها **مها محمد سعود الرشيد**.

● **عضو هيئة التدريس بكلية التربية للبنات: أداؤها الأكاديمي والمهني**، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في **كلية البنات بجدة**، تقدمت بها **نورة عواد عبد الغفار**.

● **مفهوم الواقعية في أدب محمود البدوي القصصي**، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في **كلية الآداب بجامعة الإسكندرية**، تقدم بها **مصطفى عبد الشافي مصطفى**.

● **اتجاه الدرس البلاغي عند الثعالبي**، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في **كلية التربية للبنات بمكة المكرمة**، أعدتها **نادية إبراهيم محمد بخاري**.

● **تعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها**، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في **جامعة كلورادو الأمريكية**، تقدم بها **أيمن عبد الرحمن المغربي**.

● **دراسة المسائل النحوية والصرفية في كتاب الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي**، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في **كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض**، تقدم بها **حسن بن يحيى بن أحمد ضائحي**.

● **دراسات كيميائية لبعض النفايات الصناعية بمدينة الرياض** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في **كلية التربية للبنات في الرياض** تقدمت بها **سارة بنت رشيد العديلي**.

● **دراسة مسحية تحليلية مقارنة للضغوط النفسية وأنماط أنظمة الدعم الاجتماعي والتكيف لدى السودانيين العاملين في القطاعين العام والخاص** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في **كيندي الغربية في الولايات المتحدة الأمريكية**، أعدها **صلاح أحمد عبد العزيز**.

● **تحقيق دراسة سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير ابن كمال باشا** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في **الجامعة الإسلامية** في المدينة المنورة تقدم بها **يونس عبد الحي ما**.

● **أثر التنافس في مقابل التعاون على تحصيل النصوص الأدبية** عنوان رسالة ماجستير، نوقشت في **جامعة الأزهر** بالقاهرة، أعدها **محمد مصطفى الديب**.

● **علاج الحول باستخدام سم البتيولينم**، موضوع رسالة دكتوراة نوقشت في **كلية الطب بجامعة القاهرة** تقدم بها **فهد علي القحطاني**.

● **منهج المتكلمين والفلاسفة المنتسبين للإسلام في الاستدلال على وجود الله في ضوء الكتاب والسنة**، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في **جامعة أم القرى**، تقدم بها **يوسف محمد الأحمد**.

● **كيفية الاستفادة من تأثير البيئة في تخطيط البرامج الصحية الأساسية في المملكة العربية السعودية** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في **جامعة عين شمس في القاهرة**، أعدها **عبد الرحمن عبد العزيز التويصر**.

● **شعر جهاد الروم حتى نهاية القرن الرابع الهجري في موازين النقد الأدبي** عنوان رسالة دكوراه نوقشت في **كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض**، تقدم بها **عبد الله بن صالح العريني**.

● **نقد الشعر في مصر من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجري**، عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في **كلية الآداب بجامعة القاهرة**، تقدم بها **عوض علي مرسي الغباري**.

عمل مراسلاً لجريدة **سو سوار** (هذا المساء) اليسارية المتطرفة، وبدأ اهتمامه بالبلدان الشرقية، ذلك الاهتمام الذي تجلى في إدارته عام ١٩٥٢م الوكالة الأدبية والفنية للمبادلات الثقافية مع هذه البلدان، التي ساعده على النهوض بها كونه حاملاً درجة الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية.

من مؤلفاته: **تاريخ كومونة باريس، و الحرب والثورة في أسبانيا، و تاريخ الثورة الفرنسية**، وكانت له إسهاماته في مجال المسرح حيث شارك في كتابة اقتباسات مسرحية.

جائزة فيالات لريجان

منح الكاتب الكندي **ريجان دي شارم** جائزة الكسندر فيلات الأدبية الفرنسية التي تمنح لأفضل عمل أدبي بالفرنسية ينشر خارج فرنسا.

وتحصل ريجان على الجائزة عن روايته **دريفاي** التي وصفتها اللجنة المنظمة بأنها تتسم بالرشاقة والحيوية وتبعث السعادة في نفوس القراء.

وفاة أكبر صحفي سناً

توفي مؤخراً **جابريل جرولي** الذي يعد أكبر صحفيي فرنسا سناً عن عمر يناهز ١٠١ عام.

وكان جرولي صحفياً محلياً، ثم تولى منصب نائب رئيس تحرير صحيفة **ليكلير** الإقليمية، وله ستة كُتُب، كَتَبَ آخرها وهو في سن السابعة والتسعين.

معرض تشكيلي لفنانة هندية

استضافت صالة ماركيه دو فاسلو معرضاً للفنانة التشكيلية الهندية **سجاتا بجاج**، التي تعد من أبرز الفنانين التشكيليين في بلادها.

ضم المعرض مجموعة من أعمالها المنفذة وفق تقنية «المونوتيب» التي تعتمد على المزج بين تقنيات مختلفة: الحفر، والرسم، والتلوين، وينجزها الفنان على صفحة معدنية قبل إرسالها لآلة الطبع.

معرض لفنان لبناني

أقيم في جاليري سود بضواحي باريس معرض للفنان اللبناني **رؤوف الرفاعي** (٣٧ عاما).

يضم المعرض مجموعة من الأعمال الزيتية تنتمي في توجهاتها الأساسية إلى تيارات فنية حديثة مثل حركة كوبرا وغيرها.

أحدث الكتب

● **صاعداً الرماد** مجموعة شعرية بالفرنسية **للطاهر بن جلون** يقابلها النص العربي بترجمة **كاظم جهاد**، صدرت عن **منشورات لو سوي** في باريس.

● **قراءة في كتاب الحب** تأليف **عابد خزندار**، صدر في باريس.

إيطاليا

اكتشاف أول طبعة من القرآن

عثر في مكتبة دير للرهبان في مدينة فينيسيا على أول طبعة للقرآن الكريم يعود تاريخ طبعها إلى منتصف القرن السادس عشر الميلادي.

النسخة اكتشفتها باحثة إيطالية، وهي مطبوعة بواسطة آلة طباعة منقوشة خاصة بطباعة اللغة العربية، وقد تم تدبير هذه الآلة آنذاك بأمر من بابا روما الذي أمر أيضا بإحراق ما يُكتشف من نسخ للمصحف.

وتقع هذه النسخة في ٢٣٢ صفحة، وتوجد بها أخطاء مطبعية عديدة.

بيريز يفوز بجائزة الاتحاد اللاتيني

فاز الكاتب البرتغالي **خوسيه كارودوزو بيريز بجائزة الاتحاد اللاتيني الدولية للآداب**، التي تمنح سنويا إلى كاتب يؤلف بلغة منحدرة من اللاتينية مثل: الأسبانية، والفرنسية، والإيطالية، والرومانية، والبرتغالية.

تهدف الجائزة التي تمنح للسنة الثانية إلى تطوير الترجمة وتشجيع المواهب المعروفة في بلدانها ونشرها.

الولايات المتحدة

وثائق مخطوطات البحر الميت

صدر في نيويورك كتاب **نسخة طبق الأصل لمخطوطات البحر الميت** في مجلدين يضمان وثائق بالغة الأهمية، ٢٠٪ منها لم يسبق نشرها.

ويكشف الكتاب الذي قدمه ثلاثة باحثين أمريكيين مقتطفات غير


نورمان ميلر

منشورة من مخطوطات البحر الميت، توضح كذب ادعاءات الصهاينة الذين استولوا على هذه المخطوطات من متحف القدس العربية .

جائزة لفيلم سعودي

منح الفيلم التلفازي السعودي **الجزيرة العربية : رمال وبحار وسماء** ، المكون من ثلاث حلقات جائزة أحسن سلسلة محدودة في **مهرجان جاكسون هول لأفلام الحياة البرية** .

شارك في المهرجان الذي أقيم في مدينة جاكسون هول بولاية وايومنج ٢٩ فيلماً وصل منها ٢٥ فيلماً للنهائيات .

ويذكر أن مسلسل **الجزيرة العربية : رمال وبحار وسماء** قامت بتمويله شركة **سابك** السعودية بالتعاون مع شركة **موبيل أويل** الأمريكية، وقد سبق له الفوز بالجائزة الخاصة في مهرجان **وايلد سكرين ٩٠** في بريطانيا، والميدالية الذهبية في مسابقة البحر الأحمر في مهرجان أي . بي . مار السينمائي في سردينيا بإيطاليا .

التعليم على الطريقة الأمريكية

ابتكرت كلية بارد الأمريكية طريقة جديدة لتدريس الأدب المعاصر لطلبتها .

تتمثل هذه الطريقة في دعوة الأديب صاحب الرؤية المطروحة للدراسة إلى ندوة عامة للإجابة عن أسئلة الطلاب مقابل مكافأة رمزية .

وما تزال هذه الطريقة محل نقاش بين مؤيد لجدواها ومعارض .

من أحدث الكتب

- **شبح هارلوت** رواية للكاتب **نورمان ميلر**، صدرت عن **دار نشر راندوم في نيويورك** .

كندا

مؤتمر عن الحضارة الفرعونية

افتتح في أوتاوا أول مؤتمر عن الحضارة الفرعونية بحضور **عادل الصفتي** سفير مصر في كندا ومشاركة مائتي باحث .

شارك في تنظيم المؤتمر المعهد الكندي للحضارات القديمة، وجامعة أوتاوا، والمكتبة الوطنية الكندية، فضلاً عن المكتب الإعلامي المصري في أوتاوا .

الصين

الانضمام لاتفاقية حماية حقوق المؤلفين

بعد سنوات من التردد، قررت الصين الانضمام إلى **اتفاقية برن لحماية حقوق المؤلفين** والناشرين اعتباراً من العام ١٩٩٢م .

والصين التي تعرضت ـ ولا تزال تتعرض ـ لاتهامات الولايات المتحدة الأمريكية بانتهاك الحقوق الفكرية، كان من المتوقع وضعها إلى جانب الهند وتايلند في القائمة السوداء الأمريكية .

هونج كونج

كنز من العملات الأثرية

عثر عمال أثناء قيامهم بأعمال حفر لإقامة ناد جديد لليخوت على كنز من العملات الصينية يعود إلى ما قبل ١٤٠٠ عام .

تعود العملات التي يبلغ عددها نحو ٢٤٠٠ قطعة إلى عصر أسرتي **سوي وتانج** اللتين حكمتا الصين خلال الفترة ما بين عامي ٥٨١ و١٢٧٩م .

الاتحاد السوفييتي

اكتشاف عظمة فك!

اكتشف آثاريون ألمان في منطقة **القوقاز** السوفييتية عظمة فك بشري يرجع تاريخها إلى ماقبل ١,٨ مليون سنة .

أثبتت الأبحاث أن عظمة الفك التي ما تزال تحتفظ بالأسنان تخص امرأة في مقتبل العمر قدّر عمرها بما يتراوح بين ٢٠ ـ و٢٥ عاماً .

منغوليا

اكتشاف آثار خرتيت نادر

اكتشفت ــ مؤخراً ـ في منغوليا مستحاثات لعشرين حيواناً من وحيد القرن (الخرتيت) تعود إلى ما بين ٥ ـ ٨ ملايين سنة على عمق خمسة أمتار تحت الأرض .

ويعد النوع المكتشف **من أنواع الخرتيت النادرة** حيث لا يحمل قرناً وله عوضاً عن ذلك نابان طويلان حادان، وقد كان يُعتقد أنه يعيش فقط قرب مجاري الأنهار والبحيرات في المناطق الحارة .

مسابقة أرامكو السعودية السنوية الثالثة عشرة لرسوم الأطفال



يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية الثالثة عشرة لرسوم الأطفال، إسهامًا منها في تشجيع القدرات والمواهب الفنية لدى البنين والبنات في المملكة العربية السعودية

ملاحظة هامة: يرجى من المشاركين قراءة نظام وشروط المسابقة بعناية واتباعها بدقة حتى لا يؤدي الإخلال بها إلى استبعاد الرسوم من المسابقة كما حدث، مع الأسف، في بعض الأعوام الماضية.

نظام وشروط المسابقة

أولاً: للطفل كامل الحرّية في اختيار موضوع الرّسم أو المواد والخامات المستخدمة في تنفيذه.

ثانيًا: يحق لكل طفل لا يزيد عمره على ١٤ عامًا ويقيم حاليًا في المملكة أن يشترك في المسابقة.

ثالثًا: يتقدم المتسابق برسم واحد فقط، على أن يكون الرسم من عمله هو ودون أي تدخل أو مساعدة من الوالدين أو المدرسين أو غيرهم. كما يجب أن يكون الرسم عملاً أصليا غير منسوخ.

رابعا: يجب أن لا يقل حجم الرسم عن ٣٠سم × ٤٠سم ولا يزيد على ٦٥سم × ٨٥سم.

خامسا: يجب تثبيت بطاقة على ظهر الرسم تحمل المعلومات التالية طباعة أو بخط واضح:

أ - إسم الطفل كاملاً (ثلاثياً على الأقل بحيث يكتب اسم الطفل واسم أبيه ولقب العائلة).

ب - عمر الطفل وتاريخ ميلاده.

حـ - الصف الدراسي.

د - إسم المدرسة كاملاً، والمدينة التي تقع بها، وعنوانها البريدي ورقم هاتفها إن أمكن. (أو عنوان الطفل البريدي كاملاً إن لم يكن مسجلاً في مدرسة).

هـ - موضوع الرسم.

سادسًا: يجب أن يكون الرسم مرتبًا ونظيفًا قدر الإمكان مع عدم كتابة أية معلومات عن الطفل أو الرسم على الرسم نفسه.

سابعًا: يجب تغليف الرسم في مظروف أو مغلف من الورق المقوى للحفاظ عليه من التلف أثناء نقله بالبريد.

ثامنًا: جميع الرسوم التالفة أو المخالفة للشروط المذكورة سابقًا لن تدخل المسابقة.

تاسعًا: تعتبر جميع الرسوم المرسلة للمشاركة في المسابقة ملكًا لأرامكو السعودية. وتبقى هذه الرسوم في حوزة إدارة العلاقات العامة بالشركة التي تحتفظ بحق استخدام أي منها حسب ما تراه مناسبًا.

عاشرًا: آخر موعد لتسلم الرسوم هو يوم السبت المصادف ٢٥ رجب ١٤١٢هـ الموافق ١ فبراير ١٩٩٢م ولن يدخل المسابقة أي رسم يصل بعد هذا التاريخ ما لم يتم التأكد من أن سبب تأخر وصوله هو البريد وذلك عن طريق ختم البريد على المظروف.

حادي عشر: تشكل إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية لجنة تحكيم من ذوي الخبرة والمعرفة في الفنون لاختيار الفائزين في المسابقة، ويعتبر قرار هذه اللجنة نهائيًا.

ثاني عشر: لا يجوز اشتراك أبناء موظفي إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية، ولا أبناء أعضاء لجنة التحكيم في المسابقة.

ثالث عشر: بعد فرز النتائج يتم إعلان أسماء الفائزين في الصحف والمجلات السعودية، كما يتم الإبراق لكل فائز بالنتيجة على عنوانه.

رابع عشر: ترسل جميع الرسوم إلى العنوان التالي:
إدارة العلاقات العامة - الغرفة ٢٢١٦
أرامكو السعودية - مبنى الإدارة الشرقي
الظهران ٣١٣١١
على أن يكتب على المظروف "مسابقة أرامكو السعودية الثالثة عشرة لرسوم الأطفال"

الجوائز

تخصص الشركة للفائزين في هذه المسابقة مائة وخمسين جائزة قسمت إلى الفئات التالية:

- خمسون جائزة للذين تقل أعمارهم عن ٧ سنوات.
- خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١٠ سنوات.
- خمسون جائزة لمن تتراوح أعمارهم بين ١١ و ١٤ سنة.

يمكن توجيه الاستفسارات عن المسابقة إلى قسم النشر بإدارة العلاقات العامة على الهاتف ٨٧٥٥٩٣٥ أو الهاتف ٨٧٤٦٢١٢ في الظهران مع تمنياتنا للجميع بالتوفيق.

رحلات حول العالم (١٢)

بقلم الشيخ: حمد الجاسر

مخطوطة عربيَّة ومحاضرة بالفرنسية

● يتحدث الشيخ حمد الجاسر عن مؤتمر المستشرقين الذي دُعي إليه في باريس، وانتهى بنا في الحلقة الماضية إلى تأهّبه لسماع مُحَاضِر سيتحدث عن مخطوطة من كتاب «العِبَر» لابن خلدون فيها زيادات ـ تتعلّق بتاريخ البربر ـ عما في النسخة المطبوعة.

□□□

ذهبت مع **الدكتورين إبراهيم السامرائي ومحمد الشامخ** لاستماع المحاضرة المتعلقة بتاريخ ابن خلدون، فكانت بالفرنسية، وكان المحاضر يورد جملاً تافهة بالعربية ليست في صميم الموضوع، ولم أفهم إلا أن المخطوطة في إحدى مكتبات اصطنبول وأن **نصراً الهوريني** اطّلع عليها، وعلق في هوامشها تعليقات موجزة، فلم استطع البقاء طويلاً، فانسللت من القاعة.

يظهر أن المشرفين على تنظيم أمور المؤتمر ما كانوا يتوقعون أن يبلغ عدد المشاركين فيه ما بلغه، ولهذا حرصوا على تسجيل جُلّ ما وصل إليهم من محاضرات وأحاديث، رغب أصحابها عرضها، وما كانت كل المباحث المسجلة تلقى أثناء إقامة المؤتمر، فقد لا يتمكن كثير من أصحابها من الحضور، غير أن الذين حضروا هذه المرة كانوا من الكثرة بدرجة بلغت حدّ الفوضى. فقد حضر من **الهند** ما يقرب من أربعين، ومن **إيران** أكثر من عشرين، ومن مختلف البلدان من **الصين واليابان** ومن بلدان أخرى لا صلة لها بالاستشراق، وهؤلاء غير الذين لم توجه إليهم دعوات خاصة للحضور **فقد رغب القائمون بشؤون المؤتمر أن يحضره كل من يرغب ذلك، فكانوا يحثون المدعوين على بث الدعوة لحضوره من الأساتذة والطلاب، وكأنهم أحسوا بضعف مكانة المستشرقين في هذه الأزمنة فأرادوا أن يكون من مؤتمرهم هذا ما يلفت الأنظار إليهم.**

أما من البلاد العربية فالحاضرون قليلون، لا بالنسبة لكثرة غيرهم، بل بالنسبة لمختلف أقطارهم، ويظهر أن اللبنانيين كانوا أكثر من غيرهم وخاصة من **الجامعة اليسوعية**. وحضر المؤتمر من بلادنا **(المملكة العربية السعودية) من جامعة الرياض الدكتور عبدالرحمن الأنصاري عميد كلية الآداب والدكتور محمد بن عبدالرحمن الشامخ، والدكتور أحمد الضبيب والدكتور عبدالله العنقاوي، والدكتور مجاهد بن محمد محمود الصواف** (المدرس في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة). ومن **العراق** الأساتذة **الدكتور عبدالعزيز الدوري والدكتور فيصل السامر** عميد كلية الآداب، **والدكتور علي جواد الطاهر، والدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور علي الزبيدي**. أما من **مصر** فلم أعرف ممن حضر سوى **الدكتور إبراهيم بيومي مدكور**، الأمين العام لمجمع اللغة العربية، **والدكتور عبدالعزيز مرزوق، والأب قنواتي، والأستاذ أيمن فؤاد السيد**. ومن **الشام الدكتور حكمت هاشم**، وكيل وزارة الثقافة **والدكتور شكري فيصل**، أمين مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي). ولصلة المغرب العربي ـ بمختلف أقطاره ـ بفرنسا كان من غير المستغرب كثرة الذين حضروا المؤتمر من تلك البلاد.

في مساء هذا اليوم عقدت الجلسة الختامية العامة للمؤتمر في القاعة الكبرى في جامعة السربون في الساعة الثالثة، **أعلن فيها إقامته في العام القادم في أمريكا**.

ما كنت أتوقع بأن هذا المؤتمر الذي حضره آلاف من العلماء والباحثين، وبُذلت جهود كبيرة للإشراف على تنظيمه منذ فترة غير قصيرة من الوقت، يكون على ما شاهدته فيه من الفوضى، ولا أعني من حيث الاجتماعات، وتنظيم أوقات إلقاء والبحوث والدراسات، بل من حيث تفاهة ما ألقي فيه من بحوث، وخاصة في القسم المختص بالدراسات العربية والإسلامية، ويكفي مثلاً على ذلك أن أستاذاً في إحدى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية في (تكساس) يتلقف من أحد الطلاب كلمات عن لهجة لا تختص بأهل بلدة أو ناحية في نجد، إلا أن هذا الأستاذ يحضر إلى المؤتمر ليلقي بحثاً عن لهجة البلد التي ينتمي إليها ذلك الطالب، ثم أصخ سمعك أو افتح قلبك لتلك النتائج التي وصل إليها ذلك المحاضر عن خصائص لهجة تلك البلدة. ويأتي محاضر آخر ليعلن (اكتشاف) مخطوطة من «**تاريخ ابن خلدون**» ثم يثقل ويطيل على المستمعين وهو يقرأ نصوصاً من تلك المخطوطة ليس فيها ما يزيد على المطبوعة، بل منها ما يثبت أن أحد المشرفين على طبع ذلك التاريخ كان اطلع عليها.

قد يكون جهلي اللغة التي كانت البحوث تلقى بها من الأسباب التي لم تمكني من إدراك قيمة تلك البحوث، وأن الخلاصات التي كانت تُعرَّب لي عما يهمني أن أعرفه منها لم تكن وافية. وهذا ما أخذه عليَّ صاحبنا **الدكتور صلاح الدين المنجد** حينما كتب مقالاً عن هذا المؤتمر في **مجلة «الجديد» اللبنانية** في شهر أغسطس ١٩٧٣م فقال: (ولفت الأنظار حضور العالم السعودي الشيخ محمد (؟) الجاسر وهو لا يعرف أية لغة أجنبية، تمكنه من متابعة

الأبحاث) ، وحقاً ما قال غير أنني استعنت على متابعتها بمترجمين كانا معي ، ابنتي وكانت تجيد الإنجليزية ، والأخ المغربي الذي تحدثت عنه في أول الكلام ، وحرصت على هذه المتابعة لعلي أجد من بينها ما أستفيد به أو أقدمه لقراء مجلة «العرب» للاستفادة منه . ولئن مكنت صاحبنا الدكتور المنجد معرفة اللغة الفرنسية من الاتصال ببعض كبار المستشرقين الذين حضروا ذلك المؤتمر أمثال **برنارد لويس** ، **وروز نثال** وغيرهما فإنني لا آسى على أنني لم أتصل بأولئك الكبار ، ولكل غايته في الحياة ، ووجهة سيره فيها . وماذا يهمني من أبحاث مؤتمر يصفه الدكتور المنجد نفسه بقوله : **(كما لوحظ أن المستشرقين اليهود من جميع البلاد كان لهم أثر واضح، ونشاط ملموس في توجيه المؤتمر وفي إدارة أقسامه)** .

بينما عجز العلماء من العرب ـ والدكتور المنجد منهم ـ عن إقناع القائمين على أمور المؤتمر بأن تلقى الأبحاث المتعلقة بالدراسات العربية والإسلامية باللغة التي كانت أساساً لتلك الأبحاث ، إذ من المضحك حقاً أن يحاضر أستاذ عن موضوع لغويّ بحت ولكن بغير اللغة التي يتعلق بها ذلك الموضوع ، أو أن يصف مخطوطاً عربياً فيطلب منه أن يلقى الوصف لا كما كتبه عربياً بل بإحدى اللغات الأخرى ، إذا لم يكن يحسن الفرنسية ، أو الإنجليزية ، فيضطر لالقائه بلغة ليس بين الحاضرين من يفهمها سوى من يشرف على أمور هذا القسم .

لأدَع هذا إلى ناحية أهم من نواحي هذا المؤتمر وهي جهود المستشرقين في مجال الدراسات العربية . لا نُكرانَ ما لبعض فضلائهم من آثار معروفة نافعة في هذا المجال من أبرزها :

١ ـ توجيه الدراسات التاريخية والأدبية واللغة توجيهاً جديداً ورسم طرق لتلك الدراسات التي أمدَّت الثقافة العربية بحيوية وبثروة .

٢ ـ اتخاذ طريقة جديدة في إحياء التراث العربي تسهل للباحث الاستفادة منه بأسهل الطرق .

٣ ـ توجيه الباحثين من العرب إلى العناية بالتراث بصيانته، ووضع فهارس شاملة له، ثم إطلاعهم على ما تحويه خزائن الكتب في بلاد الغرب منه، ونشر دراسات وافية عن نوادر المخطوطات العربية .

٤ ـ عناية كثيرين منهم بدراسة تاريخ العرب من خلال آثارهم ، ومن ثمّ التنقيب عن تلك الآثار بقيامهم برحلات في أنحاء مختلفة من الجزيرة وغيرها من البلاد العربية وجمعهم قدراً كبيراً من تلك الآثار في متاحفهم ، ثم دراستها دراسة علمية ونشر تلك الدراسات ، وكتب الرحلات التي قاموا بها وهي تحوي آراء ومعلومات عن بلادنا على جانب كبير من الأهمية ، أما الدافع لكل ما تقدم فهي لا تخفى على أحد ، لقد كانت في أول الأمر من الوسائل التي أريد بها السيطرة على الشعوب بأي نوع من أنواع السيطرة ، سياسية أوفكرية أودينية ، ثم اتجه بعض أولئك المستشرقين ـ وقليلٌ ما هم ـ وجهة أخرى هي الوجهة العلمية الخالصة ، بعد أن تطورت الحياة ، وتغيّرت أساليبها وانتفضت الشعوب انتفاضة القوة والعلم ، وتفتحت آفاق المعرفة ، ووجد بين العرب أنفسهم من العلماء من لا يقل معرفة وسعة اطلاع عن كبار أولئك العلماء من المستشرقين بل يفوقهم بفهمه لكثير من أحوال أمته ، التي يستعصي فهمها على من لم يمتزج بها كل الامتزاج ، ومن هنا يصح القول بأن دور المستشرقين قد انتهى ، ولا يعني هذا إنكار ما لفضلائهم من الفضل وسعة العلم والتجرد من كل غاية تنحرف عنه .

وأما هذا المؤتمر فكما سبقت الإشارة إلى أن من أنفع ما يستفيده المرء من حضور المؤتمرات والاجتماعات الثقافية الاختلاط وتبادل الآراء بين الأفراد ، والالتقاء بمن حضروا تلك المؤتمرات ليحصل التعارف ، إلا أن اللقاءات بين الحاضرين في هذا المؤتمر ما كانت بالدرجة التي تحقق تلك الغايات ، فقد قسم الحاضرون أقساماً متعددة بحسب الموضوعات التي قرر المؤتمر بحثها ، في أمكنة متباعدة نوعاً ما ، وفي أوقات محدَّدة تستغرقها الاجتماعات لإلقاء البحوث أو مناقشتها صباحاً ومساء ، وكانت المساكن التي أعدّت لكبار المدعوين نائية عن مكان انعقاد المؤتمر مما جعل الالتقاء بهم صعباً وخاصة في أيام المؤتمر القليلة .

في مساء هذا اليوم ـ السبت ١٣٩٣/٦/٢١هـ ـ أنستُ بلقاء الأستاذين الجليلين **الدكتور علي جواد الطاهر والدكتور فيصل السامر** ، فأمضينا سويعات سعيدة ، انغمسنا خلالها في أغوار التاريخ حتى نسينا كل ما يحيط بنا من صخب الحياة ومظاهرها ، في مدينة هي في مباهجها ومفاتن الحياة فيها أبعد ما تكون عما نعمنا به من لذة وأنس بعالمنا الذي عشنا فيه تلك السويعات وحدنا .

عودة إلى باريس

في باريس[١] : كانت العودة إلى باريس ليلة الاثنين : ١٤ رجب ١٣٩٣هـ وفي الصباح عادت **ابنتي مُنا** إلى بيروت فمضى وجه النهار في تهيئة وسائل سفرها ، وآخرهُ في الاستراحة في الفندق الذي سكنّاه قبل السفر إلى لندن .

وفي صباح يوم الثلاثاء ١٥ رجب ١٣٩٣هـ (١٩٧٣/٨/٧م) بَكَّرْتُ في الذهاب إلى **(المكتبة الوطنية العامة)** سائراً إذ المسافة بينها ـ وهي تقع بقرب **(متحف اللوفر)** وبين الفندق في **(الحي اللاتيني)** قصيرة ، يقطعها الماشي في ثلثي ساعة ، غير أنني لم أتمكن من دخول قاعة المطالعة لعدم حصولي على بطاقة دخول ، لأنني لم أحضر جواز سفري ، فذهبت إلى (متحف اللوفر) فوجدته مغلقاً هذا اليوم .

فرجعت إلى **حديقة (لكسمبرج)** بقرب الفندق ، فأمضيت فيها نهار ذلك اليوم ، والمرء فيها لا يدركه الملل فهي تغصُّ بالناس من مختلف الأجناس ، وفيها أمكنة مهيأة للاستراحة بقرب نافورة كبيرة محاطة بالأشجار المزهرة المنسقة الترتيب ، وفيها ملاعب للأطفال وغيرهم ، وفي المساء يتهافت إليها الناس بعد انتهاء أعمالهم ، فيكونون حلقاً للعب **(الشطرنج) أو (الورق)** أوكرة اليد أو غيرذلك من مختلف أنواع اللعب . وعلى مقربة من هذه الحديقة تقع قهوة تدعى(Cafi audepart)تعتبر مجمعاً للعرب الذين يأتون إلى باريس ، قلَّ أن تخلو من أحد منهم ، وخاصة الطلاب ، فهي قريبة من **جامعة السربون** .



بودلير



جورج ساند

وفي الحديقة تماثيل كثيرة لمشاهير الفرنسيين من ملوك وعلماء وكُتّاب وفنانين وغيرهم . ولقد وقفت طويلاً بقرب تمثال **(جورج ساند George Sand)** حينما شاهدت حمامتين اتخذتا من رأس التمثال مكاناً لمناغاتهما ، يدوران حوله ، أما رأس **تمثال (شارل بدلير ـ ١٨٢١ / ١٨٨٧)** فقد ابيض من كثرة وقوع الطير فوقه ، وتلطيخه بذرقه ، وتمنيت أن أكون شاعراً لأعبر عما أحسست به من تفاهة ما تؤول إليه حياة الإنسان ، مهما علت منزلته ، وسما فكره .

في كل واد بنو سعد

توهمت ـ وخطأ ما توهمته ـ أن ما يقال عن نزاهة الغربيين في معاملاتهم كان حقاً ، ولكنني في المساء دخلت مطعماً حسن المظهر في **شارع (سان جرمان)** فطلبت عشاءً حدد ثمنه في قائمة الطعام بتسعة فرنكات وبإضافة ما يضاف عادة يبلغ ١٢ غير أن الندل (النذل) عبث بوريقة الحساب المطبوعة ، فأصبح المبلغ ١٦ فرنكاً . لا شك أن عمال المطاعم ومن في مستواهم لا يمثلون في معاملتهم جميع طبقات الشعب ، ولا تُعبر أخلاقهم تعبيراً كاملاً عن أخلاق من هم أعلى مستوى منهم اجتماعياً أوثقافياً ، ومع ذلك فإن الأحكام العامة التي يكثر إطلاقها على حسن معاملة الغربيين وتحضرهم ، لا تنطبق في الغالب إلا على أرقى الطبقات منهم .

قدمت للمكتبة بعض مطبوعاتي هدية ، فأتى إليَّ رئيس القسم شاكراً فأظهرت له الرغبة في تصوير بعض المخطوطات ، ولكنه أبدى لي صعوبة ذلك في الوقت الحاضر لكثرة طلبات التصوير من أساتذة الجامعات وغيرهم ، فكان أن انصرفت نفسي عن المكتبة ، وعدت منها بدون **(خفَّي حنُين)** !!.

زرت بعض معالم باريس الأثرية مثل **(غابات بولونيا) وميدان (الكونكرد) و(الحي السادس عشر)** حيث يعيش أكثر الفنانين . وأمكنة أخرى ذهبت إليها منقاداً لرغبة ابنتي ، فأنا لا أرتاح إلا لزيارة المكتبات والحدائق .

في ليلة الخميس ١٧ رجب ١٣٩٣هـ (٩/٨/١٩٧٣م) كان سفرنا أنا **وابنتي سلوا** من باريس بالقطار إلى اسبانيا في الساعة الثامنة إلا عشر دقائق ، وكانت الأجرة (١٥٢) فرنكاً في الدرجة الثانية ، وعند الوصول إلى محطة القطار طلبنا من أحد الحمالين حمل امتعتنا إلى داخلها إلى مكتب كتب فوقه إنه لمساعدة السائحين وأشار إلينا بالدخول فيه وبعد التحدث مع صاحبه قال : إنه لا يساعد إلا السائحين من الغربيين والمغاربة وحدهم من العرب ، فأبدينا رغبتنا بأن يساعدنا فكتب لنا تذكرتي السفر وطلبنا منه أن يحجز لنا كرسيين فكان أن وضع رقمهما في التذكرة ٢٥ و٢٦ في العربة رقم ٢٥ غير أننا بعد الركوب وجدنا المكانين غير خاليين ، ولم تجد محاولتنا لإزاحة من فيهما فاضطررنا للبحث عن مكانين ، ثم تبين لنا ـ فيما بعد ـ أنَّ تذكرتي الجالسين فوق الكرسيين تحملان رقميهما وأن الخطأ ليس منهما بل من أحد كاتبي التذاكر . وقد يكون خطأ غير مقصود ، غير أن هذا لا ينفي أن الناس هم الناس في كل مكان وزمان ، فالمرء لا يعدم في أية بقعة من بقاع الأرض من يحاول خديعته وغشه .

وليس صحيحاً ما يقال عن نزاهة الأوربيين وغيرهم ولا عن حسن معاملاتهم على الإطلاق . ومثل هذا يقال عن النظافة في تلك البلاد ، فقد دخلت أحد المطاعم الكبيرة المتوسطة في باريس أنا وابنتي فاحتجنا إلى الدفاع عما بين يدينا من سقوط إحدى الحشرات . وبينما كنا سائرين في أحد شوارع (لندن) على مقربة من سور حديقة صغيرة جفلت ابنتي عندما أبصرت فأرة تقفز أمامها ، مع كثرة القطط والكلاب في تلك المدينة .

وأذكر أننا كنا نتناول الغداء في مطعم فخم في أحد الفنادق في مدينة نيويورك ، فشاهدت الذباب يحاول الوقوع فوق الطعام ، ولما قلت لأحد الحاضرين وهو عربي ولكنه (مُتأمْرك) أكثر من الأمريكيين : كيف تصفون لنا هذه المدينة بأنها خالية من جميع الحشرات المؤذية ، وها هو الذباب يكاد يسقط في طعامنا ؟! فقال ـ ولم يكن مهذباً في جوابه ـ : لعله أتى معنا ! وفي استطاعته أن يقول : هذا نادر والنادر لا حكم له .

بين مجريط ودير الأسكوريال

كان المسير من باريس الساعة الثامنة من ليلة الخميس ، بالقطار والوصول إلى **(مجريط)** مدريد الساعة السادسة ليلة الجمعة (المسافة مسيرة ٢٢ ساعة) والإقامة فيها تسعة أيام كنت أتردد خلالها على **مكتبة (دير الأسكوريال)** التي زرتها مراراً قبل أعوام ، وكنت أذهب في القطار صباحاً وأعود مساء ، والمسافة بسير القطار تقارب الساعة . ومع أن تلك المكتبة قد نبشها الباحثون عن نوادر المخطوطات **كالدكتور صلاح المنجد والأستاذة رشاد عبد المطلب**

والأهواني وطاهر مكي وكل واحد منهم أبقى أثره في فهرس تلك المكتبة ، ومع ذلك فالمدقق الباحث قلَّ أن يعدم ما يفيده ، والقائمون على هذه المكتبة مهذبون ورقيقو الطباع ، يسهلون للمطالع أمره ، ويصورون ما يطلب تصويره أثناء اشتغاله في المطالعة ، بخلاف دور الكتب في لندن وباريس وروما وغيرها ، ففضلاً عن التثبت من المرء ، ومطالبته بإبراز جواز سفره ، لا يتسنى له الحصول على ما يريد تصويره إلا بعد وقت طويل .


د. صلاح المنجد


د.عبد العزيز الأهواني


د. طاهر مكي

●● **السبت ١٩ رجب ١٣٩٣هـ (١٩٧٣/٨/١١م):** بكرت هذا اليوم في الذهاب إلى **الاسكوريال** ومن محطة القطار أسرعت إلى الركوب في أحد القطارات قبل أن آخذ تذكرة ظاناً أن التذاكر تقطع داخل القطار ، ولهذا دفعت ثمنها مضاعفاً ، ووقعت في خطأ آخر هو أن المكتبة التي ذهبت لزيارتها تغلق الساعة الثانية عشرة ، ولا تفتح في المساء ، كان وصولي قرب وقت إغلاقها ، فلم يسمح لي بدخولها فأمضيت جزءاً من الوقت في زيارة بعض الأماكن الأثرية في داخل الدير ، وهو دير قديم بني بناء محكماً بالصخور العظيمة ، وفي أسفله سراديب وأقبية كانت مقبرة لعظماء أسبانيا ، رؤيتها تحدث في النفس كثيراً من الرهبة من مشاهدة الجثث المحنطة ، وأذكر في سنة ١٣٨٣هـ عندما زرته أنا و **أم محمد** لم تستطع الاستمرار في السير في تلك السراديب ومشاهدة جثث الموتى . وفي الدير أمكنة أخرى للزيارة ، ولهذا فالسائحون يفدون إليه مجموعات كثيرة . **وتعتبر مدينة الاسكوريال من أجمل المدن وأنظفها ، فهي واقعة في سفح جبل ، وتحيط بها الحدائق ، وفيها مطاعم نظيفة ، وأخرى شعبية .**

في طليطلة

لم أكن بحاجة إلى مشاهدة شيء من الأماكن الأثرية ، إذ زيارتي لهذه البلاد هي الثانية . غير أن **ابنتي سلوا** رغبت زيارة إحدى المدن الأثرية ، وطليطلة أقربها إلى **(مجريط)** مدريد. فالمسافة بينهما مسيرة ساعة ونصف الساعة بالقطار، **وطليطلة كانت من مراكز الثقافة الإسلامية في هذه البلاد، وفيها يقول أحمد شوقي :**

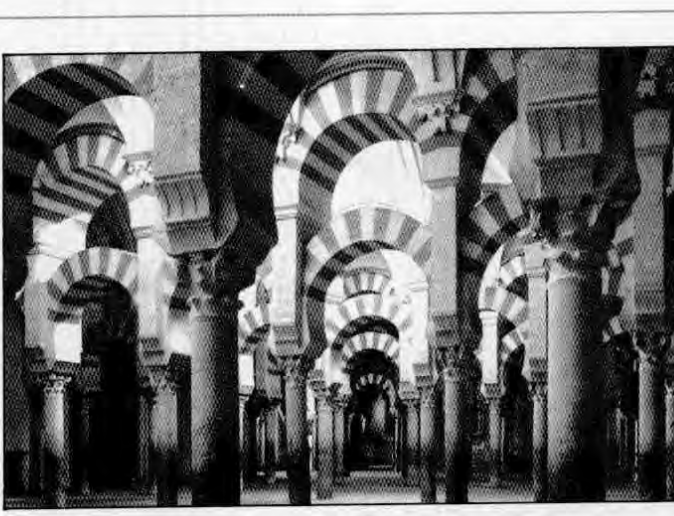
لولا دِمشقُ لما كانت طليطلة ... ولا زهت ببني العباس بَغْدانُ

أمضينا سحابة نهارنا في هذه المدينة الجميلة الواقعة على سفح مرتفع من الجبل ، مطلٍّ على نهر قوي الجريان ، وتحف بها الحدائق الواسعة الجميلة التي تزخر بالناس في آخر النهار ، وتقام فيها أسواق لبيع ما يحتاج إليه .

زرنا قصرها الأثري العظيم ، ثم **(المتحف الأرثولوجي)** ورأينا في أحد أقسامه أحجاراً وأواني من فخار وأخشاباً تزدان بالكتابات العربية التي يخيل لناظرها أنها زخارف ونقوش وليست كتابة ، ولهذا استعملها بعض البنائين في زخرفة بعض الأبنية ، ونقش النقاشون بعض نماذج منها في ألواح الرخام ، التي تبلط بها الأمكنة المعرضة للماء ، وأذكر أنني أثناء استحمامي في غرفة أسكنها في : (Hotel de L'Abbaye) في باريس استرعى نظري أن زخرفة الرخام تشبه الكتابة الكوفية المزركشة ، فحاولت قراءتها فقرأت : (تُمَدُّ بها أيدٍ قوا ... قواطع) وهو عجز بيت من الشعر ، لم أقم قراءته ، وكل حجر رخامي يحوي هذه الكلمات ، بشكل هندسي .

سألنا مدير المتحف ألا يوجد في هذه المدينة آثار إسلامية ؟ فقال : يوجد مسجد ، فطلبنا كتابة اسمه وموقعه فكتب :

Orgne dogite Mesquite del Coistode Lerenz. سرت على هدي هذه الكتابة مستعيناً بسؤال من يقابلني عند مفترق الأسواق ، حتى وصلت إلى زقاق ضيق منحدر ، بيوته قديمة ، وأكثرها غير مسكون فيما يخيل للناظر . وقبل انتهائه أشرفت على فضاء يطل على أسفل المدينة ، وأسفل منه أحد أبواب المدينة القديمة ، وفي جانب هذا الفضاء المرتفع نافورة مهجورة قد تكاثفت حولها الأعشاب ، ولا تزال تقذف بالماء ، وبقربها صخرة كبيرة منحوتة نحتاً مستديراً عميقاً كالبئر ، ظهر لي أنها خزَّان ماء ، وآثار حبال الجذب منه قد أثرت في جوانبه ، وفي جانب هذا الفضاء بناء مستدير غير مرتفع ، وكل المكان محاط بسور ليس مرتفعاً ، أبصر فوقه رجلاً صينياً أو يابانياً بيده قلم وورقة كبيرة كان يشتغل برسم هذا المكان المشرف على كثير من معالم هذا الجانب من المدينة وما حوله إلى مسافات بعيدة . سألته : أهذا هو المسجد ؟ فأجاب إيماءة فهمت منها أنه لا يدري ولكنه أعجب بموقعه فاشتغل برسمه ، دخلت المكان المسقَّف الذي قد **تراكمت فيه الأوساخ ومرَّ وقت طويل لم ينظف فيه ولم يدخله أحد، فاتضح لي أنه المسجد، وهو مبني بالحجر والقرميد (وقد قام على أربعة أعمدة بشكل قبتين** متصلتين وهو منفصل عما حوله من الأبنية) ولا تزال حديقته تَتَغَذّى الشجيراتَ النابتةَ فيها مما تقذفه النافورة من الماء ، ولعل تلك الشجيرات نبتت بدون تَعهد أو عناية إذ لا أثَر للإنسان في هذا المكان سوى مَنْ يَتَّخذُ منه مَحَلّاً للاستراحة ، ولا يأنف من رَمْي بعض الأوساخ فيه . حزَّ الألم في نفسي عند مشاهدة الإهمال في هذا الأثر الإسلامي ، وقد حدثت **الدكتور أحمد العبَّادي مدير المركز الإسلامي** في مجريط (مدريد) عنه ، كما حدثت غيره عن ضرورة العناية به .



جامع قرطبة - إسبانيا

●● **يوم الاثنين: ٢١ رجب ١٣٩٣هـ (١٩٧٣/٨/١٣م):** قطعت المسافة بالقطار - بل قطعها بي - بين مدريد والاسكوريال خلال ساعة وربع ، وقد وجدت في صالة المطالعة راهباً يرتدي ثياباً بيضاً ، وكأنه عرفني فقد استقبلني باشّاً ، وقدَّم لي الفهرس وورقة أكتب فيها أرقامَ ما أريد من الكتب ، وسرعانَ ما أحضِرَتْ لي ، وقد عرفت فيما بعد أنَّ ذلك الراهب يُدْعى (الأب لوفيانو لوزيانو) وقد كان لي خير عون أثناء تَرَدُّدِي على تلك المكتبة .

لم يعد لي أرب في المكتبة ، فقد أرهقتني كثرة المطالعة والنقل ، ولم يبق معي من النقود ما يزيد عن حاجتي في العلاج ، ولم أشاهد في الفهرس من أسماء الكتب التي اتطلع إلى معرفة محتوياتها ما يغريني بمراجعة المكتبة ، ولهذا قررت السفر إلى روما .

●● **الجمعة: ٢٥ رجب ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣/٨/١٧م):** كان لابُدَّ لي من زيارة سفارتنا ، وأن تكون الزيارة حال القدوم إلى مدينة مدريد ، للسلام على معالي **الأستاذ الشيخ ناصر المنقور** ، فالصِّلةُ بيننا أقوى من أن أتحدث عنها منذ أن كان طالباً في القاهرة سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) وكان يشرف على طبع **مجلة «اليمامة»** ويساعد في تحريرها . وصداقة ربع قرن ما كان أبو أحمد ممن يستهين بحقها ، يضاف إلى هذا ما يتصف به من شهامة ونبل مع جميع الناس ، فخشيت أن أنصرف بدافع من لطفه وكرمه فاشتغل عن التردد على مدينة الاسكوريال لزيارة مكتبتها أو أن يسهّل لي ذلك بطريقة تثقل كاهلي بفضل أعجز عن شكره ، ومن طبعي التخفيف عن نفسي فلا أكلفها حمل ما لا أطيق كفاءة ، وعن إخواني فلا أكون كلًّا عليهم ، ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

ذهبت إلى السفارة - وهي لا تبعد عن النزل الذي أسكن فيه كثيراً ، فكان استقبال كريم من أبي أحمد ، كعادته مع كل زائر ، وكان عتاب حينما علم بما أمضيته من أيام إقامتي في هذه المدينة ، فاعتذرت صادقاً كعذر **زهير بن أبي سُلمى** حينما كان يحاول التخلص من جود ممدوحه فيسلم على من في المجلس غيره ، قائلاً : **عموا صباحاً سوى هرم بن سنان وخيركم استثنيت)** !! ولا أطيل الحديث عما عرف من فضل أبي أحمد : **(فالصمت في بعض المواضع أبلغ)** .

●● **السبت: ٢٦ رجب ١٣٩٣هـ (١٩٧٣/٨/١٨م):** رغبت زيارة **(المركز الإسلامي الثقافي)** ويقع غير بعيد عن السفارة ، فذهبت إليه بعد اتصال هاتفي بمديره . **وهذا المركز أنشأته الحكومة المصرية للدراسات العربية الأسبانية ، ولتعليم اللغة العربية ، ولدراسة الآثار الإسلامية بالتعاون مع الأسبان** ، وله مجلة دورية تحوي أبحاثاً تاريخية ، ودراسات عن المخطوطات وعن الآثار ، باللغتين العربية والأسبانية ، وقد تنشر بعض الرسائل النادرة . وكانت تدعى **«مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية»** وتصدر منذ عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٥م) وتنشر أبحاثاً قيمة للمختصين بالدراسات الأندلسية ، ولا تزال توالي الصدور بعد أن غير اسمها باسم المركز .

استقبلني **الدكتور أحمد مختار العَبَّادِي مدير المعهد** ، وهو أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعتي الإسكندرية وبيروت العربية ، وبعد حديث ممتع حول ما يقوم به هذا المركز في سبيل نشر الثقافة العربية ، وإطلاعي على أجزاء من مجلته ومجموعة من منشوراته بالعربية والأسبانية ، كانت جولة في الدار ، وهي ملك للمركز ، ها هي ذي المكتبة التي يرتادها عدد غير قليل من الباحثين ، لا ينقصها سوى قلة محتوياتها من الكتب ، وهذا مكان مخصص لإقامة الصلوات ، أما الطابق الأسفل ففي قسمه الموالي للمدخل توجد غرفة كبيرة لتعليم اللغة العربية ، وفي قسمه الخلفي توجد المطبعة التي لا تزال من النوع القديم الذي يدار وتصفّ حروفه باليد ، والقائمون بإدارة شؤون هذا المركز الأستاذ الدكتور العبادي مديره ، ويساعده أحد الأساتذة ، وكاتب ، وعاملان اثنان للمطبعة على ما ظهر لي ، ولم أحاول البحث والاستقصاء في هذه الناحية - ورغم ما غمرني به الأستاذ الجليل من كرم النفس ، ورقّة الطبع ، والأدب الجمّ ، فقد أحسست بكثير من المرارة بعد زيارة هذا المركز ، ومشاهدة ما هو بحاجة إليه من اهتمام وعناية ، بصفته من مراكز الثقافة العربية الإسلامية لا في اسبانيا وحدها بل في أوروبا كلها ، إذ اسبانيا أهم قطر سياحي فيها . وكثير من رواده عندما يعلمون صلة العرب بهذا القطر في حاجة إلى أن يكون ما يعلمونه قائماً على أساس قويٍّ من المعرفة ، وأن يدركوا من حقائق الدين الإسلامي ما يجهلون .

(للحديث صلة في العدد القادم)

الهوامش

(١) هذا متصل بالكلام على لندن في رجب سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣/٧/٢١م) .


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن «مؤسسة الجزيرة» للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

معنى الأبوة في الأدب العالمي

بقلم: د. نبيل راغب

كانت الأبوة من المضامين التي فرضت نفسها بقوة على الأدب العالمي منذ بداياته الأولى . ففي الأدب المصري القديم وصلت إلينا نماذج من الحوار الذي يدور بين الأب وابنه على هيئة نصائح يسديها الأب من خلال خبرته الطويلة في الحياة . وعلى الرغم من أن الهدف من هذا الحوار كان أخلاقياً بحتاً ، فإن فيه من الصور الشعرية والتراكيب البلاغية ما يجعله ينضوي تحت فن الأدب .

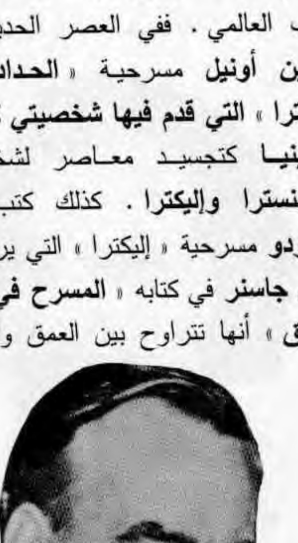
عند الإغريق

وفي **المآسي الإغريقية** برز الأب كشخصية ذات جوانب خصبة تنبع منها شتى الأحاسيس والانفعالات والدلالات الموحية . ففي مسرحية « **إليكترا** » التي كتبها الشاعر الإغريقي **يوربيديس** عام ٤١٣ قبل الميلاد لم تجد **إليكترا** هدفاً في حياتها أسمى من هدف الانتقام من أمها لمقتل أبيها . فقد ملك عليها كل كيانها لدرجة أن علم النفس الحديث استخدم اصطلاح « **عقدة إليكترا** » بالنسبة للفتاة التي تتعلق بأبيها تعلقاً مرضياً يعوق نمو أحاسيسها الطبيعية التلقائية تجاه الجنس الآخر بصفة عامة . فهي ترى في أبيها نموذجاً أعلى لما يجب أن يكون عليه رجل حياتها ، وإذا لم تنطبق هذه الصفات عليه، فليس ثمة ضرورة أن تقبل أي رجل لا يحقق هذا المعيار المسبق .

في مأساة **يوربيديس** تدفع **إليكترا** أخاها **أوريست** لقتل أمهما **كليتمنسترا** انتقاماً لمقتل أبيهما **أجاممنون** . ويبدو أن هذه المأساة كانت مغرية لأدباء الإغريق بحيث عالجها **أيسخيلوس** في الجزء الثاني من ثلاثية « **الأوريستيا** » ، **وسوفكليس** في مسرحية « **إليكترا** » عام ٤٠٩ ق . م . وعلى الرغم من اختلاف نظر هؤلاء الأدباء تجاه المضمون الواحد ، واختلاف تفسيرات النقاد له فإن المحور الثابت في شخصية **إليكترا** أنها ظلت تؤكد لنفسها أنها ابنة **أجاممنون** ولا تعرف لوجودها معنى آخر سوى ذلك ، لكن الانتقام لمقتل أبيها أفقدها توازن عقلها ، وأحال حياتها إلى جحيم من العزلة والضياع ، مما يؤكد عملياً أن حبها لأبيها كان أقوى من حبها لحياتها نفسها .

في العصر الحديث

ولم تفقد شخصية **إليكترا** سحرها عبر تاريخ الأدب العالمي . ففي العصر الحديث كتب **يوجين أونيل** مسرحية « **الحداد يليق بإليكترا** » **التي قدم فيها شخصيتي كريستين ولافينيا** كتجسيد معاصر لشخصيتي **كليتمنسترا وإليكترا** . كذلك كتب **جان جيرودو** مسرحية « إليكترا » التي يرى الناقد **جون جاسنر** في كتابه « **المسرح في مفترق الطرق** » أنها تتراوح بين العمق والسفسطة



يوجين أونيل

الفنية ، بين الروح التراجيدية والدعابة ، وهي تجمع بين السخرية المدمرة والمهارة المفتعلة أحياناً ، وتقترب من حكايات غرف النوم العادية في أحيان أخرى . ومن الممكن أن توصف « **إليكترا** » بأنها المثال الكامل لأزمة الكاتب المسرحي المعاصر الذي يريد أن يستوحي مآسي الماضي لكنه لا يملك قدرة كتاب الماضي على الانفعال والعاطفة والوجدان والحيوية المتدفقة . ذلك أن الكاتب المعاصر لا يستطيع أن يضرب على الأوتار الحساسة التي يقدمها مضمون مثل **إليكترا** بنفس عفوية **يوربيديس** مثلاً . **فقد منهج العلم الحديث معظم العلاقات الإنسانية وتعود الناس على هذه القوالب التقليدية بحيث أصبحوا أقل استعداداً لتقبل المزيد من التوغل في أحراش النفس البشرية** . ولذلك يعبر **جيرودو** في « **إليكترا** » عن اهتمامه الدائم بالكراهية التي سممت العلاقات بين فرنسا وألمانيا منذ الحرب الفرنسية البروسية . وقد كرس **جيرودو** بصفته دبلوماسياً فرنسياً تلقى تعليماً ألمانياً ، كلا من حياته الدبلوماسية والأدبية من أجل إخماد جذوة هذه الكراهية .

ومع ذلك يتبنى **جيرودو** وجهة نظر **يوربيديس** في الأسطورة الأورستية بدلاً من وجهة نظر **سوفكليس** ، ذلك أنه لا يرى مجداً تحريرياً في انتقام أبناء **أجاممنون** ، ويضفي على **كليتمنسترا** شيئاً من تأنيب الضمير ، أما **إليكترا** التي كرست حياتها للانتقام لأبيها فإنها

ظهرت في صورة عصبية مريضة مثيرة للإزعاج ، وبالتالي فنحن لا نحبها وخاصة عند شعورنا بأن الفزع يمشي مع خطواتها ، وفي النهاية تسبب موت أمها **وايجستوس** ، بل إنها تجلب الدمار إلى بلادها والموت للكثير من سكانها الذين كان من الممكن أن يعيشوا في سلام . إن حب الأب وتكريم ذكراه شيء ، والانقياد الأعمى وراء شهوة الانتقام شيء مختلف تماماً . ولذلك فإن علامات الغضب التي بدت بشكل فتيات قبيحات سيئات الخلق في المشهد الأول من المسرحية يكتمل نموها، في النهاية . إنها في طول **إليكترا** نفسها تماماً ، لأن علامات الغضب **وإليكترا** قد أصبحن شيئاً واحداً . وبينما تلتهم النيران المدينة ، تصر بطلة **جيرودو** المنتقمة المحنقة على قناعتها بصحة موقفها ، وعلى ذلك الاعتقاد المريح المشكوك فيه بأن بلادها ستقوم ثانية على أسس جديدة من الحقيقة .

الأبوة أكبر من الانتقام

ومن الواضح أن **جيرودو** يمقت الانتقام حتى لو كان من أجل الأب ، أي باسم العدل .

ومن هنا كانت مرارة اليأس التي استشعرتها **إليكترا** عندما حققت انتقامها الذي عاشت من أجله . ففي حوار بين **إليكترا** وعلامات الغضب ، تلاحظ إحداهن اللهب يلتهم المدينة وتعلن أن هذا هو الضوء الذي أرادته **إليكترا** حينما طلبت الحقيقة ، لكن **إليكترا** لا تملك إلا أن تجيب بيأس قاتل : « **أنا أملك ضميري ، أنا أملك العدالة ، أنا أملك كل شيء** » . وكأن **جيرودو** يريد أن يقول إن الأبوة والأحاسيس النابعة منها أسمى من الانتقام حتى لو كان من أجلها .

وعلى الرغم من غياب الأب جسدياً ، فإن ذكراه تحرك التصاعد الدرامي من خلال التوترات القائمة بين الأم وكل من الابنة والابن من ناحية ، وبين **إليكترا وايجستوس** من ناحية أخرى . وينتهي الأخير إلى الإعجاب بها بعد أن يتحمل عملية تحول ساخرة من شخص فاسق جبان رضخ لنزوات **كليتمنسترا** إلى إنسان قادر على احترام النبل الإنساني السمح في حين تبدو **إليكترا** نبيلة بصورة متزمتة قاسية . بل إنه يتحول إلى بطل قادر على إنقاذ بلاده تماماً قبل أن تغتاله إليكترا بكل ما تحمله من حق الانتقام لأبيها . ويمتد انتقام **إليكترا** ليشمل احتجاجها المرير ضد النفاق ، فتصرخ قائلة إنهم لا يستطيعون أن يصنعوا هذا معها ، وأن يفتدوا زوج أمها ومعاونها في اغتيال أبيها **أجاممنون . وهكذا تطيش سهام إليكترا** ولا تشعر أن انتقامها لأبيها قد أعاد الهدوء إلى نفسها المضطربة.

أما **يوجين أونيل** في مسرحية « **الحداد يليق بإليكترا** » (١٩٣١م) فيقدم ثلاثية مسرحية تبدأ « **بالعودة إلى الوطن** » ، ثم « **الفريسة** » و« **المأخوذ** » . والأجزاء الثلاثة مستوحاة من « **أوريستية** » **أيسخيلوس** ، لكن أحداثها تدور في مقاطعة **نيوانجلاند** في القرن التاسع عشر من خلال منظور **فرويد** للعلاقة بين الأب والأبنة . فبدلاً من **أجاممنون** نجد **إزرامانون** الجنرال العائد من الحرب الأهلية ، في حين تقوم زوجته **كريستين** بدور **كليتمنسترا** ، وابنته **لافينيا** بدور **إليكترا** ، وابنه **أورين بدور أوريست** . لكن الإسقاط المعاصر الذي استحدثه **أونيل** يتمثل في الصراع بين النزعة البيوريتانية التطهرية والعاطفة الرومانسية الجامحة .



بلزاك

مشاعر الأبوة

وكان الروائي الفرنسي **بلزاك** في طليعة الأدباء الذين جسدوا روعة الأبوة وأبعادها وأعماقها التي يصعب حصرها أو التنبؤ بها . ففي عام ١٨٣٤م كتب رواية « **الأب جوريو** » التي يصعب تلخيصها دون تشويهها ، ولذلك يستحسن أن نقدم هذا المقتطف الذي يحاول فيه **بلزاك** تحليل مفهومه للأبوة من خلال شخصية بطله **جوريو** :

« كانت هي المرة الأولى التي دخل فيها **أوجين** حجرة **الأب جوريو** ، ولم يستطع أن يغالب شعور الذهول الذي استحوذ عليه عندما أدرك التناقض الصارخ بين الجحر الذي يقيم فيه الأب وبين زي الابنة التي أبصرها منذ فترة قصيرة . كانت النافذة بلا ستائر ، **في** حين جعلت الرطوبة ورق الحائط المزخرف يتساقط في مواضع كثيرة ويكشف عن الطلاء الأصفر المغبر من تحته . وكان الفراش الزري الذي رقد فوقه الرجل الكهل لا يباهي بأكثر من دثار رقيق الحال ولحاف محشو برقع كبيرة من ملابس **مدام فوكيه** العتيقة . وكانت الأرض رملية رطبة ... وقرْب الفراش خوان ليلي لا درج له ولا غطاء من رخام . ولم يكن ثمة أثر للنار في المدفأة الخاوية ، وبجوارها كانت هناك منضدة مربعة من خشب الجوز كان **الأب جوريو** يتناول فوقها طعامه . وكانت قبعته ملقاة فوق منضدة صغيرة أخرى لا تصلح لشيء..... ولو كان ثمة كادح بائس مدقع الفقر يقطن في غرفة بسطح بيت لما كان أسوأ مقاماً من **الأب جوريو** في مثواه هذا بنزل **مدام فوكيه** . فإن مجرد النظر إلى الحجرة قمين بأن يبعث قشعريرة في كيانك ويثير إحساساً بالغم والضيق .

لقد كانت حقاً أشبه بأسوأ زنزانة في سجن . ومن حسن الحظ أن **جوريو** لم يستطع أن يبصر الأثر الذي ولده هذا الجو المحيط به في نفس أوجين وهو يضع الشمعة التي كان يحملها فوق الخوان الليلي .. وما لبث الرجل المنكود أن استدار في مكانه متشبثاً بالغطاء المكوم حتى ذقنه ، وقال :

ـ حسناً . وأيتهما تحب أكثر : **مدام دي ريستو** أو **مدام دي نيسنجان** ؟

فأجاب الكاتب الحقوقي :

– إنني أحب **مدام ديفلين** أكثر . لأنها تحبك أنت أكثر ..

فما إن سمع الرجل الكهل هذه الكلمات التي قالها الشاب ببالغ الحرارة حتى برزت يده من تحت الغطاء وتشبثت بيد **أوجين** وقال بامتنان :

– شكراً لك . شكراً لك . إذن فما الذي قالته عني ؟

فكرر الطالب عبارات البارونة مضيفاً إليها زخرفاً من عنده ، والكهل يستمع إليه منصتاً .. وقال أخيراً :

– ياللبنية العزيزة ! نعم ، نعم . إنها لا تكن لي سوى كل ود . لكن يجب ألا تصدق كل ما تحكيه لك عن أناستازي . فلعلك ترى أن الأختين كلتاهما تغار من الأخرى . وهذا برهان آخر على المحبة والود . ثم إن **مدام دي ريستو** شديدة الود لي هي أيضاً ، وهذا ما أعلمه عنها ، فإن الأب مطلع على سرائر أبنائه .. إن الأب ينفذ ببصيرته إلى أعماق قلوبهم .. وكلتا الابنتين لا تعرفان سوى الحب الصادق العميق . آه ، لو كان لكل منهما فقط زوج صالح ، إذن لكنت سعيداً غاية السعادة ، ولذلك أقول إن السعادة غير مكتملة في مكاني التحتاني هذا . فهل لي أن أعيش معهما ، أن استمع فقط إلى صوتهما، وأن أشعر أنهما بقربي، وأن أراهما تذهبان وتجيئان مثلما اعتدت في بيتنا عندما كانتا لا تزالان معي. عجباً ! إن قلبي ليطفو لمجرد التفكير في هذا .. هل كانت ملابسهما جميلة ؟

قال **أوجين** :

– نعم . لكن قل لي **يامسيو جوريو** ، كيف تأتى لابنتيك الحصول على بيت جميل لكل منهما ، في حين أنك تقيم في جحر كهذا ؟

قال بغير اكتراث متكلف :

– وكيف لي أن أريد أفضل مما أنا فيه ؟ لا أجد عندي القدرة الكافية كي أشرح لك حقيقة الحال ، فإنني لم أعتد صياغة الكلام بدقة وإحكام . لكن كل شئ كامن هنا (قالها مربتاً على قلبه) . لعلك ترى أن حياتي الحقة ماثلة في ابنتي الاثنتين . وطالما كانتا سعيدتين ، تتقلبان في الثياب الأنيقة ، وتغوص أقدامهما في البسط الناعمة ، فماذا يعنيني من ثياب تكسوني أو من مضجع أرقد فيه ليلي ؟ لن أشعر قط بوطأة البرد مادامتا مستدفئتين . ولن أحس أبداً بكآبة مادامتا ضاحكتين . ليست لي متاعب إلا متاعبهما . وعندما تصبح أباً أنت أيضاً وتسمع أصوات أطفالك الرقيقة . فسوف تقول لنفسك : **« كل هذا من صلبي أنا » . سوف تلتصق بهم أيما التصاق حتى ليبدو أنك تستشعر كل حركة تصدر عنهم . حيثما كنت فإنني أسمع أصواتهم ترن في أذني. لو مَسَّهُمَا حزن فإن نظرة من أعينهما تجمد دمي . يوماً ما سوف تكتشف أن ثمة من السعادة في سعادة الغير ما يكون أكثر من سعادتك بذاتك . هذا شئ لاأستطيع له تفسيراً، شيء في وجدانك يرسل جذوة من الدفء في سائر كيانك . صفوة القول إنني أعيش حياتي ثلاثاً . هل أقول لك شيئاً طريفاً فكهاً ؟ ليكن إذن . إنني منذ أصبحت أباً تقدمت درجات في معرفة الخالق . إنه تعالى ماثل في كل مكان في الوجود ، لأن الوجود بأجمعه منبثق منه . وهذا شبيه بحالي مع أطفالي ياسيدي . إن محبتي لابنتي أقرب إلى أن تكون من هذا الحب ، وإن كانت ابنتاي أجمل منـي وأصفى . إن حياتهما موثوقة بحياتي إلى حد لا يعرف الانفصال »** .



سترندبرج

وجه آخر للأبوة

أما الكاتب المسرحي السويدي **أوجست سترندبرج** الذي كان ابناً غير شرعي لوالد غني من خادمة ضعيفة بائسة ، فقد كان مفهومه للأبوة مختلفاً . إذ إن هذا الشعور بالنقص ظل يخامره ويعذبه طوال حياته ، وانعكس بدوره على مسرحياته . ففي مسرحية « **الأب** » (عام ١٨٨٧م) تتلاشى الهالات التي أحاطت بمفهوم الأبوة من قبل . ذلك أن **سترندبرج** يتناول العلاقات الحميمة بمعالجة قاسية تكشف عن كل الصراعات والأحقاد الدفينة ، وتلقي الأضواء على العداء المستحكم بين الجنسين اللذين يخوضان حرباً لا هوادة فيها ، لكن يبدو أن الغلبة في النهاية قد عقدت للمرأة . لقد ناضل الكابتن بطل المسرحية نضالاً بالغ العنف ضد زوجته **لورا** ، كما قاوم مصيره مقاومة تثير العطف أكثر مما تثيره من انفعال عنيف . كان حالة مرضية بعقله الممزق ، ومع ذلك فمن الممكن أن نحلله تحليلاً كاملاً بوصفه شخصية مرضية دون أن نقلل من قوة دفاعه عن الرجولة في مجتمع طغت عليه النساء .٠وهو نفس المنهج الدرامي الذي يكاد ينطبق على الأب **ويللي لومان** في مسرحية **آرثر ميللر** « **موت قوموسيونجي** » عندما يفشل في علاقاته مع كل الناس وعلى رأسهم أبناؤه ، ومع ذلك يظل يدافع عن وجوده المأسوي حتى النهاية .

وإذا كان الوهم في « **موت قوموسيونجي** » من صنع البطل نفسه حتى يتحمل وطأة الواقع المرير على كاهله ، فإنه في مسرحية « **الأب** » من صنع الزوجة الماكرة لورا التي تستدرج بصورة إيحائية زوجها الكابتن للوقوع في هوة الوهم ، وهم الاعتقاد بأن ابنته **برتا** ليست منه ، ومن هذه الهوة دفعت به إلى هوة الجنون والموت . وهذا الإيحاء المتدرج يتصاعد من فصل إلى آخر وبأسلوب درامي غير مباشر ، يجعلنا نستشعر حتمية تأثيره المدمر في البطل الذي كان مستعداً تماماً للتأثر بالإيحاء نتيجة كرهه للمرأة بصفة عامة . إن **لورا** تطعنه في أعز ما يملك وهو أبوته **لبرتا** . وتتطور المعركة بين الكابتن **ولورا** ، بحيث يتطاير شررها إلى كل من حولهما ، ويستمر استنزاف كل منهما للآخر بصورة مأسوية ، وخاصة عندما يرغب الأب في انتقال ابنته **برتا** من البيت إلى مدرسة داخلية خارج البلدة حتى لا تبقى في البيت تحت إرشاد أمها . وإذا كانت الابنة قد أطاعت أباها أول الأمر ، فإنها

عجزت عن أن تؤيده في اللحظة الحاسمة . بل إن أباها نفسه يعجز عندما تشحذ **لورا** كل أسلحتها لتنفيذ إرادتها الشيطانية وذلك من خلال الشك الذي تثيره في نفسه ليسري كالسم البطيء. وبذلك تحولت جنة الأبوة عنده إلى جحيم من الشك والضياع . يتضح هذا في موقف الطبيب الجديد الذي استقدمته **لورا** لينصح أباها بعدم الانجراف بأوهامه السود ، ويلح عليه بوضع الثقة الكاملة في نسب ابنته إليه ، لكن الأب لا يرى بدأ من القول : « **وهل هناك محل للثقة عندما يكون الأمر متعلقاً بامرأة ؟ هذا خطير** » .



برناردشو

مفهوم الأبوة عقلانياً

أما مفهوم الأبوة عند برنارد شو والكتاب المسرحيين الذين أتوا بعده ، فكان عقلانياً بعيداً عن العواطف والانفعالات الجامحة التي وجدناها عند سترندبرج . ففي كتاب « **جوهر الأبسنية** » يوضح **شو** أن الآباء يفرضون سلطتهم على الأبناء ويهددونهم بالعقاب والجحيم إذا حاولوا البحث عن السعادة في المنزل عن طريق تحقيق كيانهم المستقل . ولذلك يجب ألا نتعجب عندما يثور الأبناء ضد الآباء الذين يتصورن أن الأبوة يمكن أن تحمل في طياتها كل عوامل الإرهاب والضغط والقمع والإذلال . ويعتقد **شو** أن الأبوة والأمومة قد تحولتا بمرور الزمن إلى أقنعة مثالية براقة تخفي وراءها طغياناً حقيقياً . فإذا كان الآباء هم السبب في خروج الأبناء إلى هذا العالم ، فقد وجب عليهم توفير كل أسباب الكرامة واحترام الذات لهم . وليس هذا عطفاً أو تنازلاً منهم بل هو الواجب المفروض عليهم بحكم مسؤوليتهم في إنجاب هؤلاء الأبناء . والآباء الذين يتهاونون في القيام بهذا الواجب لا يستحقون التمتع بشرف الأبوة .

في مسرحية « **من يدري** » ؟ يجسد **برنارد شو** هذا المفهوم الثوري من خلال شخصية **الأب كرامبتون** الذي لا يستطيع العيش مع زوجته بعد إنجاب ثلاثة أطفال منها وذلك لاستحالة التفاهم بينهما بسبب ضيق أفقه وقصر نظره . وبعد أن يكبر الأطفال ويبلغون مبلغ الشباب يحدث أن يقابلهم **كرامبتون** ذلك الأب العاق . وعندما يكتشف أن هؤلاء الشباب هم أطفاله يحاول إدعاء مظهر الأب الذي قضى عمره بحثاً عنهم ، لكنهم يعاملونه بقسوة بالغة لأن أمهم علمتهم أن ليس كل من أنجب أطفالاً يعد أباً . لقد هجرهم وهجر أمهم منذ سنوات بعيدة ولم يرع حرمة لمنزل أو كرامة لزوجة أو حناناً لأطفال . وهو الآن يتكلم عن حرمة المنزل وكرامة الزوجة وحنـان الأطفـال وواجباتهم التي تحتم عليهم احترامه وطاعته .

ولكنه يجد الطريق مسدوداً إلى قلوب الأبناء فيحاول كسبهم بإبداء المزيد من العطف والحنان ، لكنه يواجه بنفس البرود واللامبالاة بل والوقاحة . ويدرك في نهاية المسرحية أن الأبوة لا تعني مجرد إنجاب الأطفال ، إنها واجب ومسؤولية ، ويجب ألا يتصدى لها إلا كل قادر على حملها .

شكسبير



ويجب ألا نربط بين ثورة أبناء **كرامبتون** ضد أبيهم وبين نكران الجميل التقليدي الذي نجده في مسرحية **شكسبير** « **الملك لير** » عندما أنكرت كل من **جونوريل وريجان** فضل أبيهما **لير** عليهما وهو الذي اندفع بكل عاطفته الجامحة ليمنحهما كل ما يملك من حب ومال وعقار ، في حين حرم ابنته الصغرى **كورديليا** من كل شيء لأنها لم تدع نفس الحب الكاذب المنافق المؤقت الذي تظاهرت به **جونوريل وريجان** حتى حصلتا على كل ممتلكاته ثم قامتا بطرده شر طردة وهام على وجهه كالحيوانات البرية . إن موقف **لير** يكاد يتناقض تماماً مع موقف **كرامبتون** الذي يحس أبناؤه في قرارة نفوسهم أن واجبهم تجاه أنفسهم أقوى وأهم من واجبهم تجاه أبيهم الذي هجرهم في سني طفولتهم لأنه لم ير في الدنيا هدفاً سوى حياته الضيقة وأنانيته المطلقة . وقد علمتهم أمهم أنه يوجد نوعان من النظام الأسري : **النوع الأول** الذي ربتهم على قيمه ، والمؤسس على الحب المتبادل والعناية بواجب كل فرد تجاه نفسه ، ورفض كل المثاليات الزائفة ، وتحقيق الذات على أرض صلبة من الواقع الحي المعيش . أما **النوع الثاني** من الأسرة فإنه قائم على الإذلال والضغط والإرهاب ، ولاشك أن الأم قد أنقذت أبناءها من أبيهم عندما تركته يرحل واستقلت بمعيشتها معهم ، ذلك أنه من الآباء الذين يظنون أنهم ينجبون الأطفال لخدمتهم .

وقد كتب **برنارد شو** في كتابه الموسوعي « **دليل المرأة الذكية** » أن سجلات جمعية الرفق ومحاربة القسوة على الأطفال لا تزال تثير الغثيان بحيث أصبح من المحتم علينا حماية الأبناء من آبائهم ، إذ إنه في معظم الأحيان لا يقع الأب تحت طائلة العقاب لتأثر المجتمع بالنظرة المثالية التي تؤكد أنه لا يوجد من يرعى الابن خيراً من أبيه ، في حين أن القانون صريح في عقابه للمدرس أو رجل التربية أو رجل الشرطة إذا حاول تأديب صبي حدث دون مبرر . ثم يضيف **برنارد شو** في مقدمته لمسرحية « **شروع في زواج** » أن عبودية الأبناء لآبائهم ستندثر يوماً ما ، وخاصة أن الدولة قد خطت خطوة في اتجاه تحديد العلاقة بين الآباء والأبناء على أساس التشريع القانوني الذي يؤكد أن الأبناء ليسوا

مجرد لعب أو دمى لا حول لها ولا قوة في نظر الآباء .



أرثر ميللر

مفهوم الأبوة لا يتجزأ

لكن الأديب الإنجليزي المعاصر **جون مورتيمر** كان أكثر هدوءاً ورقة في تحليله العلاقة بين الأب والابن في مسرحيته « **رحلة حول أبي** » . فلم يتخذ جانب أحدهما ضد الآخر بل قام بتحليل العلاقة الحساسة بين الاثنين على أساس نفسي يجمع بين رواسب الماضي وتفاعلات الحاضر في لحظة واحدة مكثفة ، وذلك من وجهة نظر الطرفين . ولذلك فالمسرحية تتطور في جو تمتزج فيه الأوهام بالحقائق دون محاولة لإثارة الأشجان والانفعالات الجامحة والأحداث العنيفة كما نجد في مسرحية « **كلهم أولادي** » مثلاً **لآرثر ميللر** ، التي يتسبب بطلها **جو كيلر** في قتل واحد وعشرين من مواطنيه بسبب تغطيته لعيوب سلندرات الطائرات ، وهي الجريمة التي تستمر في الاتساع والانحدار حتى تكشفها خطيبة **لاري** ابن **كيلر** ، الطيار الذي ينتحر ، إثر سماعه بفضيحة أبيه . وتدمر القنبلة التي تفجرها الخطيبة الأسرة كلها لدرجة تدفع الأب المجرم **كيلر** إلى الانتحار . لكننا قبل أن ندرك هذه الذروة المأساوية يدلي الأب القاتل باعترافه وتبريره لفعلته بحيث تتعرى تماماً من كل زخرف وتزييف ، ومعه يتعرى المجتمع الفاسد كله . ذلك أن **ميللر** غالباً ما يربط بين الشخصية وخلفيتها الاجتماعية في حين أن **جون مورتيمر** يغوص في الأعماق النفسية (السيكولوجية) لشخصياته بحيث تتحول الخلفية الاجتماعية إلى مجرد أصداء خافتة . وهو ما يتضح في الرحلة التي قام بها بطله حول أبيه الذي كان بمنزلة المركز بالنسبة لدائرة حياته .

ويرى **ميللر** أن مفهوم الأبوة لا يتجزأ . فإذا كان بطله **جو كيلر** يشعر بأبوته وبنوة أبنائه ، فلماذا لا يشعر بأبوة البشر الآخرين ، وخاصة هؤلاء الذين قتل أبناؤهم داخل الطائرات الحربية التي سقطت لعيوب السلندرات التي يعلمها جيداً . وقد تحدث ابنه كريس عن المسؤولية والأخوة والأبوة ، أخوة السلاح وأبوة الرفاق ، حديثاً كان ينبغي أن يثير فيه الشعور بالإثم ، إلا أن غلظة قلب الأب لم تتأثر ، ويخاطب زوجته بقوله : « **كان يجب عليَّ أن أقذف به إلى الحياة ، وهو في العاشرة كما قذف بي أهلي إليها فألزمه بكسب ما يقوم بأوده فيعرف حينئذ ما يكابده الفتى قبل أن يصير شاباً منعماً في هذه الحياة** ... » كان هذا هو التبرير الذي قدمه الأب إلى ابنه ليثبت صواب رأيه ومسلكه . لكنه تبرير لابد أن يعاقب صاحبه عقاباً يتمثل في عزيمة كريس على الرحيل من البيت بعد أن ذكرته آن بواجبه وكيف أن أباه سجن أباها ظلماً وعدواناً لإلصاق تهمة الطائرات الفاسدة به ، ثم تأتي قمة العقاب بانتحار الأب .

في الأدب العربي المعاصر

وفي الأدب العربي المعاصر كان **نجيب محفوظ** من أوائل الأدباء الذين اهتموا بمفهوم الأبوة وأبعاده المتعددة في حياتنا . ففي « **الثلاثية** » مثلاً تبدو شخصية الأب **السيد أحمد عبد الجواد** المحور الذي تدور حوله الأحداث والشخصيات سواء في حضورها أو في غيابها. وحتى في **السكرية:** الجزء الثالث من «**الثلاثية**» والذي يبدأ بعد وفاة الأب، نجد أن شخصيته لا تزال تفرض ظلها على المواقف سواء عن طريق الآثار النفسية التي تركتها داخل الشخصيات ، أو من خلال عناصر الوراثة التي انتقلت منها إلى الأجيال المتعاقبة داخل الأسرة .

كذلك في رواية « **الطريق** » ينهض البناء الدرامي كله على رحلة بحث البطل عن أبيه الغائب الذي لم يعثر له على أثر ، وكأنه يمثل الإنسان الباحث عن هدف لن يتحقق ، حتى لو ارتكب جريمة القتل في هذا السبيل . إن هذا لن يشفع لصابر بطل الرواية ؛ لأن القانون هو القانون ، ولا عذر لصابر ؛ لأن أباه نسيه وذلك كان الدافع الأساسي لجريمته ، لكنه دافع لا يعتد به عند تحديد المسؤولية . وهكذا يخيل **لصابر** أنه لم يعرف شيئاً مجدياً ، تماماً مثل الإنسان الذي يولد ويعيش ثم يموت أكثر جهلاً من ذلك اليوم الذي أتى فيه إلى الحياة . أي إن الأب كان رمزاً للمستحيل نفسه لأنه الأب الذي لم نره طوال أحداث الرواية وسمعنا عنه فقط من الشخصيات الأخرى التي حكت مغامراته الغرامية الأسطورية ، وتنقله من بلد إلى بلد بل من قارة إلى قارة ، معتمداً على ملايينه . فكيف لابن مثل صابر أن يبحث عن بنوته عند أب مثل أبيه ؟! وحتى لو وجده فعلاً ، هل كان سيجد فيه الأب الذي يستطيع أن يحمل هذا الاسم ؟ الجواب بالطبع : لا .

وهكذا تتعدد مفاهيم الأبوة من عصر لآخر ، ومن مجتمع لآخر ، ومن أديب لآخر ، وستظل تتعدد وتتعمق ما دامت هناك حياة على الأرض .

فرض الإسلام التطور على أهله فرضاً ، وذلك بالحض على العلم ، وتوجيه عنايتهم إليه توجيهاً خاصاً ، لأن الشخصية الإنسانية لا يقوّمها ولا يرقيها شيء غير العلم . وقد وردت آيات كثيرة تحض على طلب العلم ، قال الله تعالى : ﴿ **وقل ربِّ زدني علماً** ﴾[1] وقال أيضاً : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾[2] ، وقال أيضاً : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾[3] ، في هذه الآيات دعوة إلى طلب العلم ، وتشريف لأصحابه .

ووردت أحاديث كثيرة ، عن الرسول ﷺ تدعو إلى طلب العلم أيضاً ، قال عليه السلام (**ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**) رواه مسلم .

ومن أقوال الخلفاء الراشدين ، والصحابة ، والتابعين ، ما يدل على تعظيم احترامهم للعلم والعلماء، من ذلك قول **أبي بكر الصديق** (رضي الله عنه): **(لأن أعرب آية من القرآن أحب إلي من أن أحفظ آية)**[4]. وقول **علي بن أبي طالب** (رضي الله عنه): **(قيمة كل امرئ علمه)**[5] . **وقال الأحنف: (كل عز لم يؤيد بعلم فإلى ذل يصير)**[6] ، وقال **أبو قلابة: (مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء: من تركها ضل، ومن غابت عنه تحيّر)**[7] .

والشواهد أكثر من أن تحصى على عظيم إجلال العرب المسلمين للعلم واحترامهم وتقديرهم له.



جامع الأزهر

مراكز التعليم عند العرب المسلمين

بقلم : بهاء الدين الزهوري

مراكز التعليم

« يعتبر عام ٤٥٩هـ حداً فاصلاً فيما يختص بأمكنة التعليم عند المسلمين ، ففي هذا العام افتتحت في **بغداد** أول مدرسة من مجموعة المدارس الكثيرة المنظمة التي أنشأها **الوزير السلجوقي الشهير نظام الملك** ، وقد انتشرت هذه المدارس في العالم الإسلامي حتى شملت البلدان والقرى الصغيرة ، بالإضافة إلى المدارس الكبرى في عواصم الأقاليم ، ثم اقتدى بنظام الملك كثير من الملوك والعظماء »[8] .

وقبل انتشار المدارس ، كانت حلقات التعليم تعقد في مراكز مختلفة كالكتاب ، وحوانيت الوراقين ، ومنازل العلماء ،



المسجد الأموي

و المنتديات الأدبية ، والقصور ، والبادية ، والمسجد ، والمكتبات ، وسواها .

الكُتَّاب

وجد الكُتَّاب قبل ظهور الإسلام ، لتعليم القراءة والكتابة، وأول من تعلم الكتابة العربية من أهل مكة « **سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأبو قيس بن عبد مناف** ، وقد تعلماها من **بشر بن عبد الملك** الذي تعلمها من الحيرة »[٩] .

وانتشرت القراءة والكتابة من جزيرة العرب انتشاراً بطيئاً ، ولما جاء الإسلام كان عدد القرَشيين الذين يستطيعون القراءة والكتابة **(سبعة عشر رجلاً فقط)**[١٠] .

وكانت الكتاتيب قليلة قبل الإسلام ، ثم أصبحت المكان الرئيسي للتعليم بعد ظهوره ، نظراً لحاجات التوسع في نشر الدين ، وانتقال العرب من حال البداوة إلى حال الحضارة ، وقد احتل الكتاب مكانة هامة في الحياة الإسلامية لأنه غدا المكان الرئيسي لتعليم القرآن للصغار .

وقد عرف العرب المسلمين نوعين من الكتاب : **الكتّاب الخاص لتعليم القراءة والكتابة** ، وكان مقره غالباً في منازل المسلمين . **والكتّاب العام لتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي** ، وكان مقره **المسجد** في الغالب .

وقد ظهر في هذه الكتاتيب بعض المعلمين الموهوبين ، الذين لمعوا في المجتمع العربي الإسلامي ، من أشهرهم : **الضحاك بن مزاحم (١٠٥هـ) ، والكميت بن زيد (١٢٦هـ) وعبد الحميد الكاتب (١٣٢هـ)** .

حوانيت الوارقين

ظهرت دكاكين الوراقين ، وبيع الكتب منذ مطلع **الدولة العباسية** ، وانتشرت بسرعة في العواصم والبلدان المختلفة في العالم الإسلامي ، وحفلت كل مدينة ، بعدد وافر منها . ذكر **اليعقوبي**[١١] في جملة كلامه عن أرباض **بغداد** (... ثم ربض وضاح مولى أمير المؤمنين .. وبه أكثر من مائة حانوت للوراقين) ولم يكن بائعو الكتب مجرد تجار ينشدون الربح ، وإنما كانوا في أغلب الأحايين **- أدباء ذوي ثقافة يسعون للذة العقلية من وراء هذه الحرفة** - وقد حفلت قائمة أسماء الوراقين بشخصيات لامعة ، **كابن النديم** صاحب كتاب (**الفهرست**) **وعلي بن عيسى** المعروف **بابن كوجك ، وياقوت الحموي** مؤلف كتاب (معجم البلدان) وكتاب (**معجم الأدباء**) **وأبي الفرج الأصفهاني ، وأبي النصر الزجاج ، وأبي الفتح بن الحزاز ، وابن الجوزي** (٥٩٧هـ) ، وغيرهم .

ولم تكن مهنة الوراقين في عهد الدولة العباسية ، تقف عند حد الصفقات التجارية وبيع الكتب ، وإنما كانت تتعدى ذلك إلى مهام ثقافية بالغة الأهمية ، **إذ كان الوراقون ينسخون الكتب المهمة ، ويعرضونها للراغبين فيها ، وهكذا كانت حوانيت الوراقين مغدىً ومراحاً للطلاب والعلماء يتذاكرون فيها ويناقشون حتى كان الجاحظ يكتري دكاكين الوراقين ، ويبيت فيها للنظر .**

منازل العلماء

لم يعد العرب المسلمون المنازل مكاناً صالحاً للتعليم العام لافتقارها إلى الراحة واليسر في التوفيق بين هدوء المنزل وجلاله وحلقة الدرس وما تستدعيه من حركة ونشاط، غير أن وطأة الحاجة دعت إلى قيام حلقات تعليمية بالمنازل الخاصة .

مراكز التعليم
عند العرب المسلمين

وقد جرى التعليم الإسلامي بالمنزل في عهد الإسلام المبكر ، وقبل نشأة المساجد يوم اتخذ الرسول ﷺ **دار الأرقم بن أبي الأرقم** مركزاً يلتقي فيه بأصحابه ومن تبعه ، ليعلمهم مبادئ الدين الجديد .

ولظروف خاصة غدت بعض المنازل فيما بعد ملتقى للطلاب والمدرسين ، ومن أهم هذه المنازل ، **منزل ابن سينا** ، ومنزل **ابن سليمان السجستاني (محمد بن طاهر بن بهرام)** الذي توفي في العقد الأخير للمائة الرابعة الهجرية . ومن المنازل المهمة التي كان يلجأ إليها الطلاب والمدرسون ، دار **الإمام الغزالي** (٥٠٤هـ) .

تلك أمثلة قليلة ، تبين أن منازل العلماء ، قد أسهمت بنصيب وافر في تعزيز التعليم ، ونشر المعرفة والثقافة .

المنتديات الأدبية

ظهرت المنتديات ساذجة في **العصر الأموي** ، وانتشرت رائعة غنية **في العصر العباسي** ، وقد وضحت فيها التقاليد والحضارات الأجنبية التي اقتبسها الخلفاء العرب من الممالك العظيمة التي خضعت لسلطانهم فأصبح المنتدى يؤثث أثاثاً فاخراً، تحدث عنه **ابن عبد ربه ، والمقري ، والمقريزي** .

ولم يكن المنتدى يستقبل كل الراغبين، وإنما كان يسمح لطبقة معينة من الناس بالدخول ، وكان الخليفة ولا أحد سواه يفتتح النقاش في المنتديات ويختتمه.

وللمنتديات الأدبية آداب خاصة، وتقاليد معينة ، يجب أن يراعيها أولئك الذين كان يسمح لهم بحضورها وقد سجلها مفصلة **الصابي** في كتابه **(رسوم دار الخلافة)** **وكشاجم** في كتابه **(أدب النديم)** .

ومع مرور الزمن ، أصبحت هذه المنتديات تعقد في أوقات معينة ومنتظمة وشملت قصور الخلفاء، وقصور الأمراء والعظماء. ثم تنوعت **فأصبحت للآداب أو العلوم أو الفنون (ومنها الغناء والموسيقى)**، وتُعْقَد بها المناظرات الأدبية والعلمية والدينية.

وبدأ النشاط الواسع للمناظرات ، يظهر في عهد **الرشيد** (١٧٠ - ١٩٣هـ) ، وعهد **المأمون والمعتصم** ، وغيرهم .

القصــور

وجد نوع من التعليم الابتدائي في قصور الخلفاء والعظماء ليجد أبناء هؤلاء ، **ما يؤهلهم** لتحمل الأعباء التي سينهضون بها . ويرتبط هذا النوع من التعليم بالكتاتيب إلى حد ما ، لأن هدف كليهما تعليم الصبيان ، غير أنه يختلف عنه مع ذلك .

فالمنهاج هنا يضعه الأب ، أو يشارك في وضعه ، والمعلم هنا لا يسمى **معلم صبيان** أو **معلم كتاب** ، بل يسمى **(مؤدباً)** ، ثم إن المتعلم هنا يظل يتلقى العلم حتى يجاوز عهد الصبا ، وينتقل من مستوى تلميذ الكتّاب إلى مستوى الطالب في حلقات المساجد أو المدارس ، يضاف إلى هذا أن المؤدب كثيراً ما كان يخصص له جناح في القصر يعيش فيه ليكون إشرافه على الأمير أحكم وأشمل .

البــاديــة

إن اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم عن طريق التجارة والفتوحات أدى إلى امتزاج لغتهم بلغات الشعوب الأخرى ، مما سبب تفشي اللحن في اللغة العربية الفصحى ، وكان ارتكاب ذلك اللحن عاراً لا يغتفر ، وزلة لا تمحى ، فلقد روي أن رجلاً لحن في حضرة **الرسول** ﷺ ، فقال **الرسول** لأصحابه :

(أرشدوا أخاكم فقد ضل) .

ثم زاد اختلاط العرب بالأعاجم بعد انتشار الإسلام ، واقتحامه بلاد الفرس وبلاد الروم . وهكذا فسد اللسان العربي عند البعض ، **وظهرت لغة يسميها الجاحظ لغة المولدين أو البلديين** ، وظهر اللحن لدى العرب أنفسهم ، وتعدى عامة الناس إلى خاصتهم ، فوقع **الوليد ابن عبد الملك** فيه ، **والحجاج بن يوسف** ، **وأبو حنيفة النعمان** ، **وبشر المريسي** ، **وشبيب بن شيبة** وغيرهم من الخلفاء والعظماء .

وبينما كان اللحن يفشو في الحضر ، حيث اختلط العرب بالأعاجم ، بقيت اللغة سليمة تماماً في الصحراء التي لم تجذب إليها الأعاجم ، وعلى هذا **أصبح البدو هم الذين تؤخذ عنهم اللغة الصحيحة** ، وانتهز البدو هذه الفرصة ، فوفدوا على القرى والمدن ، وجلسوا يعلمون الناس . ويعطينا **ابن النديم** في كتابه (**الفهرست**) فكرة واضحة عن البدو الذين وفدوا إلى الحضر ، واتخذوا التعليم مهنة لهم ، ومن هؤلاء ، **أبو البيد الرياحي وأبو جاموس ثور بن يزيد** الذي تعلم الفصاحة عنه **عبد الله بن المقفع، وأبو العميثل عبد الله خليد ، وعبد الله بن عمرو بن أبي صبح** .

وفي الوقت نفسه ، أخذ أناس آخرون يهجرون الحضر ، ويضربون في البادية ليتعلموا اللغة من منبعها الأصيل ، **ولهذا نجد البادية في القرنين الأولين للهجرة ، تقوم بدور المدرسة في الوقت الحاضر** .

ومما يقوله (**حتي**) في كتابه عن تاريخ العرب: إن صحراء سورية ما كانت مدرسة الأمراء فحسب بل قصدها عدد كبير من العلماء الأعلام ، من أشهرهم[١٢] : **الخليل بن أحمد** (١٦٠هـ) **وبشار بن برد** (١٦٧هـ) **والكسائي** (١٨٢هـ) **والشافعي** (٢٠٤هـ) **والرياشي** (٢٥٧هـ) .

المسجـد

يرتبط تاريخ التربية الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بالمسجد ، ولهذا فالحديث عنه ، حديث عن المكان الرئيسي لنشر الثقافة الإسلامية ، وقد قامت حلقات الدراسة في المسجد منذ نشأ ، واستمرت كذلك على مر السنين والقرون ، وبين مختلف البلاد الإسلامية دون انقطاع . ولعل **السبب في جعل المسجد مركزاً تعليمياً ، هو أن الدراسات في سني الإسلام الأولى ، كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين**



المدرسة المستنصرية

الجديد ، وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه ، وهذه تتصل بالمسجد أوثق اتصال . ثم إن المسلمين في عصورهم الأولى توسعوا في فهم مهمة المسجد ، فاتخذوه **مكاناً للعبادة ، ومعهداً للتعليم ، وداراً للقضاء ، وساحة تتجمع فيها الجيوش ، ومنزلاً لاستقبال السفراء .**

ومع مرور الزمن زاد عدد المساجد زيادة كبيرة مطردة ، وبخاصة في العاصمة ، فما أن جاء القرن الثالث حتى كانت **بغداد** تغص بالمساجد ، إذ يحكي **اليعقوبي**[١٣] : أنه يوجد فيها (٣٠,٠٠٠) مسجد[١٤] .

ومن أشهر المساجد والجوامع التي قامت فيها حلقات العلم ما يلي :

●● **جامع دمشق** : الذي بناه **الوليد بن عبد الملك** (وأنفق على بنائه فيما يروى خراج المملكة سبع سنين)[١٥] وكان ذلك المسجد مركزاً هاماً من مراكز الثقافة والتعليم في العالم العربي الإسلامي ، وكان للخطيب **البغدادي** حلقة كبيرة به عام (٤٥٦هـ) .

●● **جامع المنصور** (وقد كلف فيما يروي **ياقوت** ثمانية عشر مليوناً من الدنانير ، وجدد في عهد **الرشيد**) .

●● **جامع عمرو** ، الذي بناه **عمرو بن العاص** عام (٢١هـ) ثم جدد ، وزيد عليه بعد ذلك عدة مرات .

●● **جامع الأزهر** ، الذي بناه **جوهر الصقلي** سنة (٣٦٠هـ) ، وخصص منذ سنة (٣٧٨هـ) للدراسات والأبحاث العلمية ، وظل من ذلك التاريخ حتى العهد الحاضر جامعة من الجامعات في العالم الإسلامي .

وهناك جوامع ومساجد أخرى مهمة لم تذكر . ويتضح من الأمثلة السابقة ، مدى أهمية حلقات العلم بالمساجد التي لم تكن مقصورة على الدراسات الدينية فقط ، بل تعدتها إلى سواها من معارف ذلك العصر من دراسات لغوية وأدبية وطبية وفلكية وغيرها .

المــدارس

يقول المؤرخون : **إن نظام المُلْك أول من بنى مدرسة في الإسلام ، وقد ذكر الذهبي** ذلك بصراحة ، وابن **خلّكان** : فقد قال في « **الوفيات** » عن نظام الملك : **إنه أول من أنشأ المدارس ، فاقتدى به الناس .**

ويقول **جرجي زيدان**[١٦] : وقد أجمع المؤرخون المسلمون تقريباً على أن أول من بنى المدارس في الإسلام **نظام الملك الطوسي** وزير **ملكشاه السلجوقي** ، في أواسط القرن الخامس للهجرة .

وسار على نهج نظام الملك **السلاجقة** الذين أتوا بعهد ، كما اقتفى أثرهم الشاهات والأتابك الذين أقاموا إمارات على أنقاض السلاجقة ، ثم جاء البطل **نور الدين الزنكي** (٥٦٩هـ) الذي آلت إليه سورية ، ثم مصر ، فبنى مدرسة في **دمشق**، تعرف باسم **المدرسة النورية** ، وبنى العديد من المدارس في **دمشق وحلب** وأعمالهما . وفي **مصر** أيضاً ، وعرفت مدارسه باسم **المدارس النورية** .

وتعتبر **المدرسة المستنصرية**[*] التي بناها الخليفة المستنصر في **بغداد** في القرن الثالث عشر الميلادي من أعظم مدارس العالم الإسلامي ، وقد جعل بها إيواناً لكل مذهب من المذاهب الأربعة ، وعين لكل مذهب أستاذاً يقوم بتعليم سبعة وخمسين طالباً بالمجان ، وعين لكل أستاذ مرتباً شهرياً ولكل طالب ديناراً من الذهب ، وتزودهم المدرسة باللحم والخبز يومياً .

ومن المدارس المهمة ، **المدرسة الناصرية** التي يحدثنا عنها **المقريزي** ، وبدأ ببنائها السلطان الملك العادل **زين الدين** ، وأتمها السلطان **محمد بن قلاوون** سنة (٧٠٣هـ) .

أما مواد الدراسة في هذه المدارس ، فيبدو مما وصلنا إليه ، أنها كانت تختلف بحسب موقع المدرسة ، وغاية مؤسسها ، لكن معظم المدارس كانت تدرس نوعين من العلوم : **العلوم النقلية** ـ ويقصد بها العلوم الشرعية ، **والعلوم اللسانية** ، ويقصد بها علوم اللغة العربية وملحقاتها . كذلك رأينا في كتاب « **طبقات الأطباء** » أن أحد كبار الأطباء ، وهو **مهذب الدين بن هبل** الذي يعرف **بالخلاطي** تخرج من المدرس النظامية ببغداد ، **وكان وحيد زمانه في صناعة الطب .**

ولم تختلف المدرسة عن الجامع أو المسجد ، لا في بنائها ، ولا في وظيفتها والغرض منها . إلا أنها كانت أكمل وأوفى

مراكز التعليم عند العرب المسلمين

بأغراض الدراسة المتصلة بها ولسكني الطلاب المنقطعين إلى العلم فيها .

ونجد في كتاب (**الدارس في تاريخ المدارس**) **للنعيمي** وصفاً راقياً لمدارس دمشق ولأساتذتها وطلابها ، وهو كتاب قيم جداً في هذا الباب .

المكتبـات

لاشك أن الحديث عن المكتبات ، يدخل في إطار الحديث عن مراكز التعليم ، ذلك أن المكتبات كانت طريقة القدماء في نشر العلم . وقد عني الخلفاء المسلمون منذ فجر العهد الأموي بالكتاب العربي ، ونشره بين الناس ، وإنشاء الخزائن التي تضم الكتب والدفاتر والسجلات ، كما عنوا بالحصول على كتب العلم القديمة لتكون مرجعاً لهم ولأولادهم .

ولعل أقدم الخزائن العربية ، التي عرفت بعض أخبارها هي خزانة الخليفة الأموي الحكيم خالد بن يزيد بن معاوية ، وقد ظلت محفوظة في البلاط الأموي . ولما ولي الخليفة **عمر بن عبد العزيز** فتحها للناس للإفادة منها والتعلم من نفائسها . أما بنو العباس فقد اهتموا كذلك اهتماماً كبيراً بالعلم وكتبه ، وانتشرت في عهدهم المكتبات العديدة .

وفي وسعنا أن نقسم المكتبات التي ظهرت في العالم العربي الإسلامي أقساماً ثلاثة : مكتبات عامة ، ومكتبات بين العامة والخاصة ، ومكتبات خاصة .



جامع عمرو بن العاص

أما**المكتبات العامة**، فقد أنشئت في المساجد لتكون في متناول الدارسين ، وقد كانت هذه المكتبات كثيرة جداً ، بحيث كان من الصعب أن تجد مسجداً أو مدرسة دون أن تكون مزودة بمجموعة من الكتب يرجع إليها الطلاب والباحثون . ومن أشهر هذه المكتبات (**بيت الحكمة**) الذي أسسه **هارون الرشيد** ، وزاد فيه **المأمون** .

ولقد كانت مكتبة (بيت الحكمة) أول مكتبة ذات شأن في العالم العربي الإسلامي ، بل إنها كانت **أول جامعة إسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون والطلاب .**

ومن المكتبات العامة أيضاً (**المكتبة الحيدرية**)[١٧] **بالنجف** ، وهي لا تزال موجودة حتى يومنا هذا ، وكذلك مكتبة (**ابن سوار**) بالبصرة التي أسسها **أبو علي بن سوار** الكاتب ، وهو من رجال عضد الدولة .

ومن المكتبات الشهيرة (**خزانة سابور**)[١٨] التي أنشأها **أبو نصر بن أردشير** المتوفى عام (٤١٦هـ) ، وكانت هذه الخزانة مركزاً ثقافياً ممتازاً يلتقي فيه العلماء والباحثون للقراءة والدرس ، وكان **أبو العلاء المعري** يتردد عليها عندما كان في **بغداد** .

كذلك من المكتبات العامة ، **مكتبات المدارس** ، إذ قلّما خلت مدرسة من المدارس التي انتشرت في **العراق وخراسان وسورية ومصر والحجاز** من مكتبة تتبعها .

أما **المكتبات التي بين العامة والخاصة** ، فهي مكتبات أنشأها الخلفاء والملوك تقرباً من العلم، وتظاهراً بأنهم من أهله وجعلوا دخولها مباحاً لطبقة خاصة من الناس هم الوجهاء ، وكان دخول هذه المكتبات يحتاج إلى إذن خاص ، من هذه المكتبات : **مكتبة الناصر لدين الله** (من ٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) ، **ومكتبة (المستعصم بالله)** ، **ومكتبة الخلفاء الفاطميين** وغيرهم .

وأما **المكتبات الخاصة** ، فقد أنشأها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص ، وكانت كثيرة جداً ومنتشرة ، وكان من الصعب أن تجد عالماً أو أديباً دون أن تكون له مكتبة يرجع إليها في دراسته وإطلاعه ، ومن أشهر هذه المكتبات ، **مكتبة (الفتح بن خاقان)**[١٩] وزير **المتوكل** العباسي . **ومكتبة (حنين بن إسحق)** أبرز الأطباء والمترجمين في عهد **المأمون** ، **ومكتبة (ابن الخشاب)** (٥٦٧هـ) وهو **عبد الله بن أحمد الخشاب البغدادي** ، **من أعلم الناس بكلام العرب** ، **ومكتبة (الموفق ابن المطران)** (٥٨٧هـ) ، فقد كان حاد الذهن ، فصيح اللسان ، كثير الاشتغال بصناعة الطب ، **ومكتبة (جمال الدين القفطي) ومكتبة (المبشر بن فاتك)** ، **ومكتبة (عماد الدين الأصفهاني)** ، **ومكتبة (نوح بن نصر الساماني)** ، **ومكتبة (الصاحب بن عباد)** .

الهـوامــش

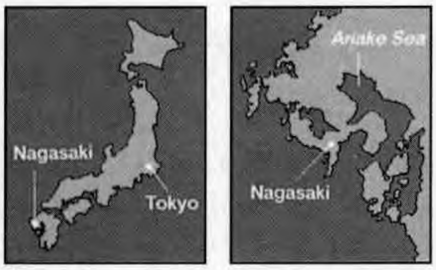
(١) سورة طه، الآية (١١٤).
(٢) سورة المجادلة، الآية (١١).
(٣) سورة الزمر، الآية (٩).
(٤) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ ص ١٨٢ بيروت ١٩٧٥م.
(٥) أحمد الشلبي: تاريخ التربية الإسلامية ص ٢٧٣ ـ وهو كتاب قيم استفيت منه أكثر ما يرد عن مراكز التعليم.
(٦) حسين الأصفهاني: محاضرات الأدباء جزء ١ ص ١٦.
(٧) ابن عبد ربه: العقد الفريد جزء ١ ص ٢٦٦.
(٨) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ ص ١٤٥.
(٩) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٥٧.
(١٠) المرجع السابق نفسه ص ٤٥٧.
(١١) المرجع السابق نفسه ص ١٧.
(١٢) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ ص ١٥٢.
(١٣) اليعقوبي: البلدان ص ٢٥٠.
(١٤) أرجو ألا يتهم القارئ اليعقوبي بالمبالغة فقد كانت المساجد منتشرة بكثرة بخلاف الجوامع، حتى إنه يقال إن كل بيت كانت تعد به حجرة للصلاة يطلق عليها مسجد.
(١٥) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني جزء ٣ ص ١٤٣.
(١٦) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي جزء ٣ ص ١٩٤.
(١٧) أحمد الشلبي: تاريخ التربية الإسلامية ص ١٦٤.
(١٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان جزء ٢ ص ٣٤٢.
(١٩) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥.

*** الفيصل: طالع استطلاعاً موسعاً عن المدرسة المستنصرية في العدد (٥١) من هذه المجلة.**

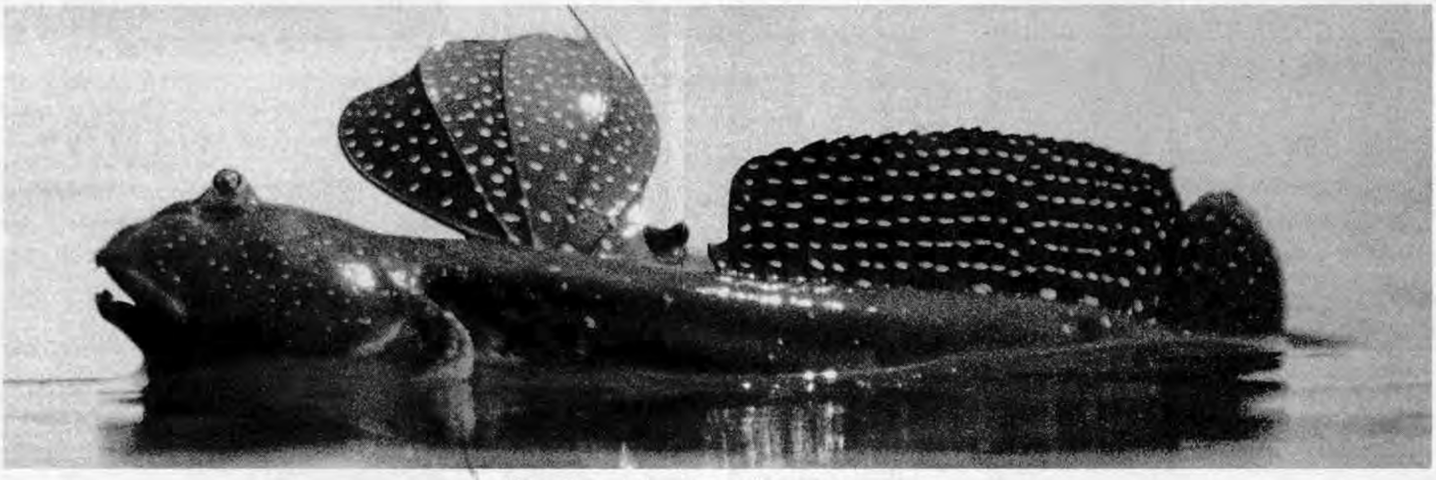
أسماك برمائية

إعداد : عبدالرحمن حريتاني

أسماك الصُّوري Mudshipper **(أسماك طويلة المنقار) ليست جميلة الشكل أبداً ، وهى نوع من الفقاريات** Vetebrate **ولها زعانف** fins **سمكية ، وتتنفس من خلال الخياشيم أو الغلاصم** gills **. هى نوع من الأسماك مع فارق بسيط هو الذي يميزها من باقي أبناء جنسها من الأسماك ، فهى سمكة برمائية** amphibious



صورة (٢) خريطتين تبينان أماكن وجود أسماك الصُّوري

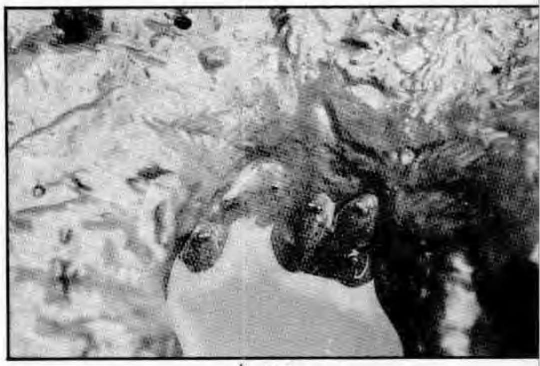


صورة (١) الخطوة الأولى في طقوس الغزل المهيبة الممتعة

من أسماك الوحل ، تعيش على اليابسة وليس في البحار ، تسبح في الماء وتمشي على الأرض ، وتطير في الجو ، وتأكل الطحالب والأشنات ، وتنتمي إلى الأسرة التي تدعى (القوبيون gobies) ، وهى أسماك شائكة الزعانف تكثر وتنتشر على طول أطراف الشواطئ المدارية الاستوائية tropical من إفريقيا إلى جنوب شرقي آسيا ومن الفليبين إلى اليابان .

تستوطن هذه المخلوقات المميزة الفريدة من نوعها المناطق الطينية الموحلة العميقة الواسعة الامتداد والمساحات ، والتي يمكن أن نسميها المستنقعات أو السبخات الموحلة لعدم وجود تسمية خاصة بها، وهذه تمثل السطوح الواسعة الراكدة من الأوحال الغروية gooey الخاصة التي لا يشابهها وحل ، والتي لا يقرب مناطقها بشر ، وإذا ما اغتر الانسان بسكونها الهادئ ، ووقع في شراكها ، فستغوص به إلى أعماقها في ثوانٍ قليلة ، ويغيب بين طياتها الموحلة ويختفي كأنه لم يكن ، ولعل هذا السبب المهلك المميت هو الذي تركها مجهولة كل هذا الوقت ، فلم يجرؤ أحد على الاقتراب من أماكن وجودها كل هذه السنين ، **والصور التي نشاهدها لها على هذه الصفحات هى أول صور تلتقط لهذه السمكة العجيبة النادرة في أماكن عيشها بين الأوحال المهلكة المميتة**، ولعل هذا بحد ذاته حدث علمي بارز، نقدر فيه جرأة وشجاعة من التقطها وهو **العالم الياباني (تويوفومي فوكودا** Toyofumi Fukuda) .

وأسماك الصوري تعيش هانئة وادعة بين لجج هذه الأوحال الغروية الكثيفة اللزجة ، وباستطاعة السمكة منها أن تسبح في الماء وتمشي على هذه الأوحال بكل سهولة ، تساعدها في ذلك زعانفها الكبيرة جداً بالنسبة لحجم جسمها ، والمشرعة دائماً ، ويمكنها أن تمشي وتتقدم على سطوح هذه الأوحال الغروية بتعثر ويمكنها أيضاً أن تتنقل عبره بقفزات مدهشة تثير الاستغراب والإعجاب الفائق، والناظر إليها من بعد يراها مندفعة بكل قوة لتقفز عن الأرض وتعلو في الجو بطيران خاص، تمكنها من ذلك آلية فيزيولوجية خاصة أوجدها الخالق (سبحانه) فيها لتمكينها من التكيف المذهل مع هذه البيئة المهلكة المميتة التي لا تقوم عليها أصول نشأة أية حياة ، **وإذا ما داهمها أي خطر ولو كان بسيطاً لا يُحسب حسابه تلجأ إلى طمر نفسها كلية في الوحل ،**



صورة (٣ - أ)



صورة (٣ - ب)



صورة (٣ - جـ)

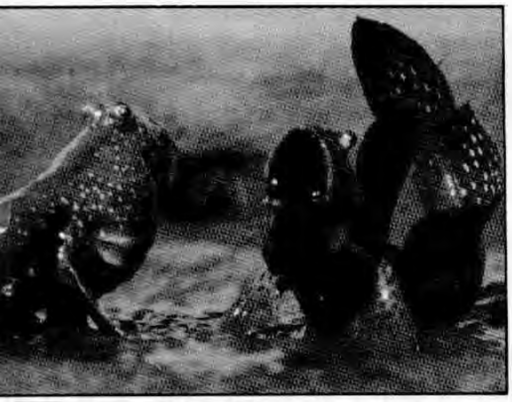
وتغوص عميقاً فيه بحيث لا تُرى مطلقاً، ويمكن أحياناً أن تترك واحدة من عينيها البارزتين من فوق قمة رأسها لتظهر من فوق سطوح الأوحال لتراقب فيها ما يدور من حولها ، فهي حيوان شديد الحذر والاحتراس .. وأثناء طقوس الغزل الرائعة الجمال التي يقوم بها الذكر لجذب انتباه الأنثى إليه ، يقفز قفزات مدهشة عجيبة بحيث يطير في الهواء وبقوة بكامل جسمه ، ويلف ويدور على نفسه راقصاً منتشياً معبراً عن أشواقه الحارة الملتهبة باثاً شجونه مستعرضاً فنونه أمام أنثاه لأكثر من ساعة متواصلة بحيث تصل عدد قفزاته في الهواء خلالها إلى أكثر من مائة مرة.

وتستطيع أسماك الصوري أن تؤدي هذه الأعمال الشاقة بعد أن تحصل على الأكسجين اللازم للتنفس من الماء ، وذلك بعد أن ترشحه من خلال جلدها ، أوبعد أن تجمعه في جيوب (أكياس sacs) خاصة توجد حول غلاصمها تشبه بشكلها وعملها الإسفنج ، وهذا الأكسجين الذي تأخذه من الماء يمدها بأسباب الحياة خارج الماء لفترات طويلة نسبياً ، ولتحافظ على رطوبة جلدها بشكل دائم ، ولتنظف غلاصمها من الوحول العالقة بها ، فهي تعمل على تكوين برك صغيرة جداً بين لجج هذه الأوحال تتجمع فيها بعض المياه النازَّة بطريقة الرشح فتتدحرج فيها وتنظف نفسها من أي أثر للوحل العالق بها.

وأسماك الصوري هذه لديها عيون كبيرة جاحظة تبرز من قمة رأسها ، تستطيع أن تمسح بها الأفق وما حولها ، حتى حين تكون مختفية بكامل جسمها بين طيات هذه الأوحال ، إذ يمكنها أن ترى وبشكل واضح جداً خارج الماء وفي أي اتجاه تريد من الجهات الأربع والفضاء لمسافات تبدو بعيدة جداً بالنسبة لحجمها قد تتجاوز مسافة الـ ٣٠ متراً ، مع أن معظم الأسماك تمتلك الإبصار القوي تحت الماء فقط .

وقد تبدو هذه الأسماك غريبة وشاذة في حياتها وسلوكها ، لما نعرفه عن حياة بقية الأسماك وأساليب حياتها ، لكنها بتكوينها هذا الذي نستغربه قد لا تبدو غريبة في بيئتها العجيبة .

وعلماء الحيوان وجدوا شيئاً ما مميزاً في الخاصية الإفرادية التي تنفرد بها أسماك الصوري دون أسماك الأرض كلها وتجعلها تتكيف مع بيئتها المهلكة تلك ، ومن المحتمل أن أسماك الصوري قد وجدت في هذه البيئة الغريبة وبشكلها الحالي الذي لم يتغير منذ ملايين



(صورة ٤)

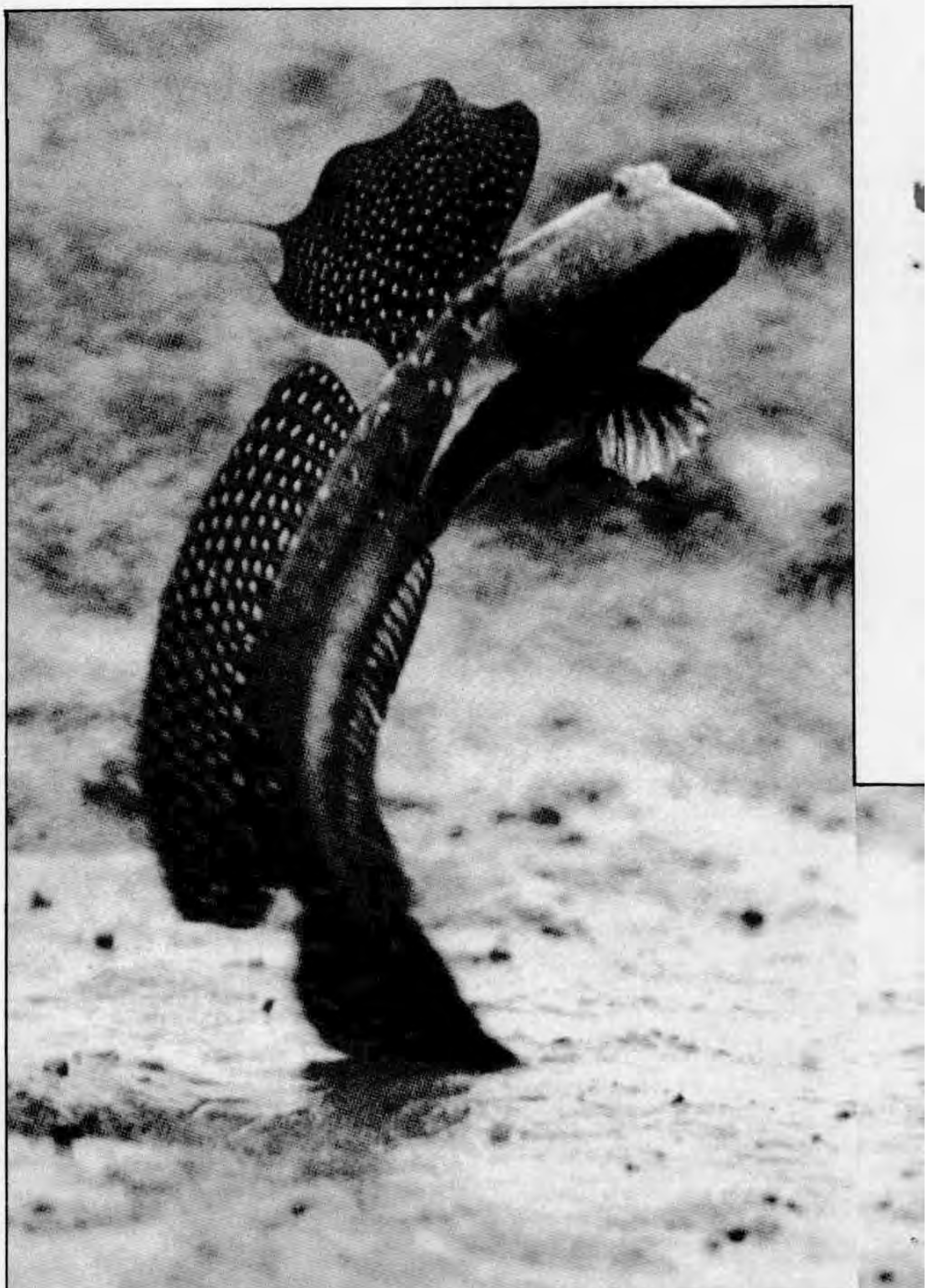


صورة (٥ - أ)



صورة (٥ - ب)

السنين ، وأنها ربما كانت من الحيوانات البرمائية ، وهذا يوحي لنا بالشكل الذي كانت عليه تلك المخلوقات البدائية الأولى التي وجدت على الأرض والتي نشأت من المحيطات البدائية ، ثم كيف تجرأت وغادرت المياه لتعيش على اليابسة ، وهو نسب قد لا يكون أكثر من توقع لهذه الأسماك التي تشذ عن كونها أسماكا ، حتى وإن كانت تعمر شجرة نسبها بالكثير من الأعمال البارعة المدهشة .



صورة (٥ ـ جـ)

وعملية التقاط هذه الصور لم تكن سهلة أبداً ، بسبب الحذر والاحتراس الشديد لهذه الأسماك ، وبسبب مخاطر الغوص والاختناق في الأوحال.. ولكن بحذر واحتراس مقابل ، وباستخدام تقنيات متطورة جداً لم تكن موجودة من قبل.. أمكن الحصول على هذه الصور البديعة التي اعتبرت أول صور وثائق لمخلوقات لم تكن معروفة على الأرض من قبل .

ونشاهد في **الصورة** (١) الخطوة الأولى في طقوس الغزل المهيبة الممتعة التي يؤديها ذكر أسماك الصُّوري ، فهو يرفع زعانفه الظهرية المنقطة بالبياض لتبدو من بعيد كأشرعة مشرعة في الجو ، ولتلحظها الإناث من بعد ، حيث تقبع خلف جدران الوحل المنخفضة التي بناها الذكر بنفسه ليحدد بها حدود مقاطعته الوحلية التي يتملكها ، وليبعد عنها طمع الطامعين .

ونشاهد في **الصورة** (٢) خريطتين تبينان أماكن وجود أسماك الصُّوري في **بحر (أرياكي** Ariake) ، وهو الخليج الواسع الممتد قرب **مدينة (ناجازاكي)** في جزر اليابان ، حيث التقطت جميع صور أسماك الصُّوري هذه فيه .

ونشاهد في **الصورة** (٣) ـ من الأعلى إلى الأسفل ـ صغار أسماك الصوري في إحدى برك المياه الصغيرة التي تنظف فيها جلودها من الوحل وتعيد منها مَلْءَ أكياس غلاصمها بالماء، رغم أنها قادرة على أن تشق طريقها خلال طبقات الوحل بكل سهولة ، وهي تنظر بحذر واحتراس شديدين خوفاً من أن ينقض عليها **طائر البلشون (مالك الحزين** herons) الذي يفترسها.. (وفي الوسط) بإمكان كبار أسماك الصوري أن تحفر حفرة كبيرة في الوحل ضمن مقاطعتها التي تتملكها وقد رسمت حدودها بعمق أكثر من متر ونصف المتر وبطول ميلين حيث تضع فيها بيضها، وتظل تحرسها هي والذكر، ويتركان إشارات معينة حولها ليستدلا عليها حين يعودان بعد رحلة إحضار الطعام.. ونرى (في الأسفل) جسم سمكة مختفياً في حفرة الوحل وعين تبرز منها تراقب بكل حذر ما حولها.. و(تحت) زيادة في الحرص تعود أسماك الصوري وتملأ حفرة البيض بالماء والوحل للتمويه ولكي لا تظهر للعيان أبداً ، وإن بقيت عين منها تنظر وتراقب .

ونشاهد في **الصورة** (٤) ذكر أسماك الصوري فاغر الفم على اتساعه بادئاً بعرض رقص طقوس الغزل والتودد التي يجيدها تماماً ، وذلك بعد أن أتم بحثه عن الأنثى المطلوبة التي تكون مبايضها عادة منتفخة ، مما يشير إلى أنها مخصبة مليئة بالبيوض ، وبعد أن يستعرض فنونه الغزلية من رقص وتمايل وقفز في الهواء ، يقودها إلى جحر كان قد حفره وهيأه في الوحل حيث تضع بيوضها ، فيخصبها الذكر ويتركها لتفقس .

ونشاهد في **الصورة** (٥) ذكر أسماك الصوري في لحظة اندماج مليئة بالحماسة الشديدة الملتهبة أثناء أدائه طقوسه الغزلية المهيبة التي سيثير بها اهتمام أنثاه ، وسرطانين يهربان من هذه الضجة ، ونراه في الصورة الكبيرة واقفاً في الهواء مستعيناً بذنبه لينفتل على نفسه عالياً في الهواء كما يريد ، كما نراه في الصورة الصغيرة في إحدى قفزاته الطائرة في الهواء .. هذا العرض المثير الشاق يمكن أن يتضمن أكثر من مائة قفزة هوائية ، ويستمر في تقديمه دون هوادة أكثر من ساعة .

لوحة وفنان

اللوحة : اسطورة الفجر

● يلجأ الفنان للتراث للاستلهام من آدابه وفنونه وعلومه وثقافته وفكره للبحث عن الأصالة وصياغتها في قوالب معاصرة ليكتسب العمل الفني عمقاً وقيمة ، وأيضاً لإيجاد اتصال بين الماضي والحاضر .. وأحياناً يلجأ الفنان إلى الأساطير للاستلهام من مضامينها وتفاصيلها المتعددة والمختلفة ، أو من رموزها للتعبير عن أحداث مشابهة في الواقع ، وهنا يتصف العمل الفني باللامباشرة أي البعد عن المحاكاة في تصوير الواقع أو الأحداث المحيطة بنا ... وفي هذه اللوحة لم يستمد الفنان رموزاً من الأساطير ، أو مضمون أسطورة محددة ليشير به إلى أحداث في الحاضر ، وإنما استمد لفظ الأسطورة فقط في مسمى لوحته للتعبير من خلاله عن شيء لا يصدقه العقل ، فالأسطورة هي ضرب من الخيال البحت ، أي إن الفنان يعني أن ما يعبر عنه هو ضرب من الخيال وشيء لا يصدقه العقل ، فما هو ذلك الشيء اللامعقول؟ إنه الغزو أو الاعتداء العراقي على دولة الكويت المسالمة ،تلك الأحداث المؤسفة ، وهو اعتداء دولة عربية شقيقة مسلمة على دولة أخرى عربية شقيقة مسلمة .. فإن هذا الحدث هو ضرب من الخيال ،لذا صوره الفنان في قالب اسطوري تحت مسمى (اسطورة الفجر) أي تلك الأحداث اللاواقعية واللامنطقية التي حدثت في الفجر وهذا هو مضمون اللوحة .

● حامل رسم أحد قوائمه بشكل قلم منغرس في أرض الكويت وقمته في سمائها وهو دليل على ثبات دولة الكويت ورسوخها رغم ذلك الاعتداء .. ورقة على الحامل مرسوم عليها أبراج الكويت ، أي إن الكويت باقية في قلب الفنان .. كأس في مقدمة اللوحة يسيل ما بداخله ويخرج منه نصف رأس لفتاة ذات عيون حمراء تنظر إلينا في حسرة وحزن وألم لما أصاب دولة الكويت وكأنها تطلب منا في صمت مد يد المعونة والمساعدة لاجتياز محنتها ومصابها الأليم .. خلف رأس الفتاة منضدة دون قوائم تحملها ، وهي على شكل حدوة حصان وتسيل منها قطرات ، وكأنها قطرات دماء إحداها تمثل وجه امرأة عابسة وحزينة ذات عيون حمراء.. حامل رسم آخر يبزغ من أرض الكويت يحمل لوحة على شكل نافذة زجاجية شفافة ،يخرج من أحد أبعادها ديك في حالة فزع وصراخ أو نداء للعالم لإنقاذ الكويت ، علم الكويت يتدلى إلى أسفل ولكنه يتحول إلى شكل منحنٍ به خطوط ذهبية دليل على أنه يحمل المستقبل المشرق رغم سقوطه على صندوق مكسور .. آبار للبترول مشتعلة ،تلك التي أشعلها النظام المعتدي، يتصاعد دخانها الكثيف إلى أعلى ليصبغ سماء الكويت باللون الأسود .. فجوات في الأرض أثر الدمار الذي حل بتلك الدولة .. تلك هي رموز وعناصر ومفردات الفنان الموحية التي شكّل من خلالها دراما لوحته .

● أسلوب اللوحة هو مزيج من السيريالية والتعبيرية ، فجميع العناصر غير واقعية ولا منطقية ولكنها رمزية وموحية بالموضوع ، ورغم أن أسلوب تصويرها لا يعتمد على القوة في الرسم والدقة في النسب التشريحية ومراعاة قواعد المنظور من حيث أحجام العناصر والدرجات اللونية كما هو متبع في الأسلوب السيريالي التقليدي ، إلا أن جميع هذه العناصر ذات شحنات تعبيرية قوية صورها الفنان بفرشاة انفعالية مرتعشة لتأكيد درامية الموضوع ، ولقد سيطر الفنان على الانسجام اللوني في اللوحة فخرجت كنسيج عضوي واحد ، فلم يستخدم الحد الأقصى من التباين بين الألوان وإنما استخدم الدرجات اللونية المتقاربة ليوحي بالفجر ، والتي أسهمت إلى حد كبير في مزج العناصر بعضها ببعض لتنتقل عين المشاهد في سهولة ويسر من عنصر إلى آخر، وقد وزع الفنان هذه العناصر بشكل تلقائي على مسطح اللوحة فخرجت وكأنها مرثية أو صورة شعرية حزينة.

الفنان : توفيق عبدالله الحميدي



● ولد بمنطقة الأحساء بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٧٩هـ .

● حصل على دبلوم معهد التربية الفنية بالرياض .

● حصل على دبلوم الكلية المتوسطة بالدمام .

● حصل على دورات في مجال التربية الفنية عام ١٤٠٥ - ١٤٠٧ - ١٤٠٩هـ .

● مدرس تربية فنية .

● اشترك في العديد من المعارض والمسابقات التشكيلية وأقام معارض شخصية منها :

- معظم معارض ومسابقات مكتب رعاية الشباب بالمنطقة الشرقية .

- معظم معارض الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض مثل معرض الفن السعودي المعاصر والمعرض العام لمقتنيات الفنون التشكيلية .

- أقام معرضاً شخصياً لأعماله الفنية عام ١٤٠٤هـ بوزارة الزراعة بالأحساء بالتعاون مع فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالأحساء .

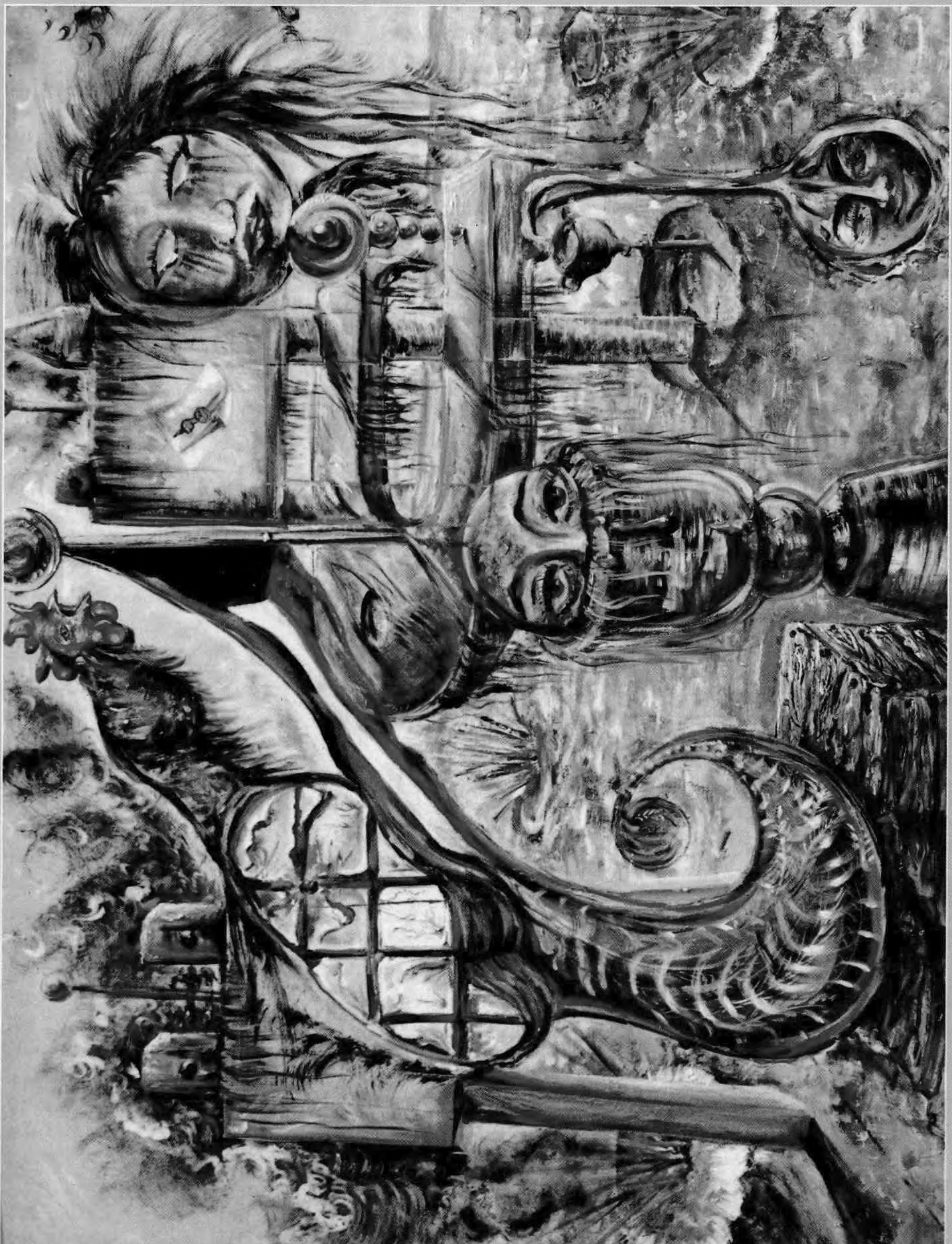
- بعض مسابقات المعرض العام لأندية الرئاسة ومكاتبها الذي أقيم بمناطق مختلفة.

- معرض مسابقة الخريف عام ١٤٠٣هـ .

- معرض الخفجي عام ١٤٠٤هـ .

- معرض الغزو العراقي لدولة الكويت بالرياض .

● فاز بالعديد من الجوائز في المسابقات التي شارك فيها منها الجائزة الثالثة في التصوير الزيتي في معرض الغزو العراقي لدولة الكويت عن اللوحة المنشورة صورتها هنا ، كما فاز بالعديد من جوائز الاقتناء وشهادات التقدير في المعارض التي شارك فيها .



قصة بقرة بني إسرائيل

بقلم: د. رجا حسين أبو السمن

لا شك أن القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين لهو المنهج والدستور الإلهي للبشرية الذي به صلاحها وفلاحها. وفي القرآن الإعجاز بكل أنواعه. ومما يجدر ذكره أن القرآن الكريم يحوي إشارات في كل فروع العلم والمعرفة لكنه،كما أسلفنا،دستور وليس كتاب تاريخ أو طب أو فلك أو علوم أو لغة برغم احتوائه على تلك الإشارات من كل هذه العلوم. ومن ضمن كتاب الله وفي آياته المحكمات قَصَصٌ فيه العبرة والعظة. ويمتاز القرآن بقصصه الرفيع الهادف لروح كتاب الله بأسلوب فريد ليكمل الصورة والخبر.

يقول الله تعالى في **سورة يوسف** :

﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ آية ٣

ويقول الله تعالى في سورة يوسف وفي آخر آية منها مؤكداً أن في القصص القرآني لسير الأنبياء والرسل عبرة لمن اعتبر :

﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ آية ١١١.

نعم ، وسنحاول في هذه المقالة أن نفسر قصة بقرة بني إسرائيل لنرى العبرة والعظة من القصص القرآني .

قتيل بني إسرائيل وبقرتهم

روى **ابن كثير** عن **السّدي** قال : كان رجل من بني إسرائيل غنياً وكانت له ابنة وابن أخ خطب إليه ابنته وكان فقيراً فأبى أن يزوجه إياها ، فغضب الفتى وقال: والله لأقتلن عمي ولآخذن ماله، ولأنكحن ابنته ولآكلن ديته. فجاءه الفتى يوما وقال انطلق يا عم معي فقد قدم تجار في بعض أسباط يهود واشتر لي من تجارة هؤلاء القوم لعلي أصيب منها ربحاً فإنهم إذا رأوك معي أعطوني، فخرج العم مع الفتى ليلاً، ولما بلغا ذلك السبط قتله الفتى ورجع إلى أهله، فلما أصبح جاء يطلب عمه كأنه لا يدري أين هو فلم يجده، فانطلق نحوه فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه فقال قتلتم عمي فأدوا إليَّ ديته، وجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه مناديا: وا عماه فرفعهم إلى **موسى عليه السلام** فقضى عليهم بالدية، فقالوا له: يا رسول الله ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه أي قاتله فيؤخذ صاحب القضية فوالله إن ديته لهينة ولكن نستحي أن نعيَّر به، فقال لهم سيدنا موسى عليه السلام: اذبحوا بقرة.

وفي رواية **ابن أبي حاتم وابن جرير** عن **عبيدة السلماني** أن قتيل بني إسرائيل كان عقيماً لا يولد له وكان له مال كثير وكان ابن أخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليلاً فوضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يدّعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض فأتوا موسى عليه السلام .. إلى آخر ما سبق ..

يقول ابن كثير وهذه الروايات عن (عبيدة) و(السدّي) مأخوذة من كتب بني إسرائيل وهي مما يجوز نقلها ولكن لا تصدّق ولا تكذّب .

يقول الله تعالى في سورة البقرة :

﴿ **وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** ﴾ آية ٦٧ .

قالوا : نسألك عن القتيل وعمن قتله وتقول اذبحوا بقرة أتهزأ بنا ؟ فأجابهم نبي الله « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » قال **ابن عباس** : فلو اعترضوا أي بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا وتعنتوا على موسى فشدد الله عليهم ﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون** ﴾ آية ٦٨ .

وبجفاء وغلظة وتعنت طلبوا من موسى صفات البقرة ، قال **الطبري** : لما زادوا نبيهم أذى وتعنتا زادهم الله عقوبة وتشديداً ، فهي ليست هرمة وليست فتية بل وسط . ويزداد تعنتهم فيعاودون نبيهم بالسؤال عن لونها ، يقول تعالى :

﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين** ﴾ آية ٦٩ .

ولما لم يفعلوا ما أمرهم الله به وطلبوا اللون أيضا لم يمتثلوا وأمعنوا في العناد لأمر الله وعدم طاعة نبيهم موسى عليه السلام وتابعوا التعنت ، ﴿ **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون** ﴾ آية ٧٠ .

أي بيّن لنا حالها فمن ناحية العمر وناحية اللون عرفنا ذلك ولكن البقر كثير فما حالتها ، يقول **عطاء** : لو لم يقولوا « إن شاء الله » لما بيّنت لهم آخر الأمر .

﴿ **قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلّمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾ آية ٧١ .

أي بيّن لهم الله أنها غير مذللة لحراثة الأرض ولا للسقيا ونقية لا يوجد بها غير لونها وكان ذلك رحمة من الله لأنهم قالوا « إن شاء الله » وانظر إلى كفرهم يقولون الآن جئت بالحق ، وكأن نبي الله لم يأت بالحق قبلها فعرفوا البقرة وذبحوها بالكاد ، وهذا استهزاء من الله بهم .

﴿ وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » آية ٧٢ ـ ٧٣ .

أي اختلفتم على القاتل فأحيا الله القتيل بعد أن ضرب بجزء من جسم البقرة التي ذبحوها أخيرا وانطقه الله وأرشد عن ابن أخيه قاتله ومات ثانية بقدرة الله فعرفوا القاتل وقتلوه .

بعض العبر المستفادة

(١) إن الله قادر على إحياء الموتى وهذه عبرة عظيمة فالذي خلق هو القادر على الإماتة وهو القادر على الإحياء .

(٢) لن يفلت المجرم من العقاب ، وإن أفلت من العقاب في الدنيا فلن يفلت من عقاب الله في الآخرة ولو برأه كل الناس ، فالله يعلم الغيب وما في قلوبنا .

(٣) عناد وكفر وتعنت وعصيان بني إسرائيل وعدم طاعتهم أنبياء الله ورسله فيهم منذ البداية يجب أن لا يصفوا سيدنا موسى عليه السلام باللهو والهزو وهو قد أخبرهم أن الذي يأمرهم بذبح البقرة هو الله ربهم ، وعاندوا الله فشدد عليهم وأرادوا التعنت بطريقة غليظة ونابية « ادع لنا ربك » ثلاث مرات ، والأولى أن يطيعوا وينفذوا أو على الأقل يقولوا ربنا ، وسؤالهم عن عمرها ولونها وحالها مثال على ثعلبة بني إسرائيل حتى يومنا هذا .

(٤)طمع اليهود وجشعهم وبخلهم وهي صفات قررها الله في هذه القصة من القاتل ومن طمعه في الثروة وابنة عمه وديته ونية القتل واتهام الآخرين والبخل في دفع ثمن البقرة إذ قيل إن صاحبها كان برّا بأمه ولم يقبل إلاّ وزنها ذهبا ثم ساوموه وروي أنه طلب وأخذ منهم وزنها عشر مرات ذهبا (عن مجاهد) .

(٥) إن أنبياء الله لا ينطقون عن الهوى بل ينفذون أوامر الله ويهدون البشر للحق .

(٦) إن من يتعمد الكبرياء والعناد يشدد الله عليه ومن يطع الله والرسول يسهل عليه ويهوّن .

(٧) يجب أن نقرن أي عمل ننويه بمشيئة الله تعالى .

(٨) كل البشر والكفار بنبوة سيدنا محمد **صلى الله عليه وسلم** عليهم أن يتعظوا ويؤمنوا أنه رسول الله إليهم وهذه إحدى آيات الله ليتفهموا قدرة الله ووحدانيته ويصدقوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

المـراجـــع

القرآن الكريم وتفاسير ابن كثير والطبري والقرطبي .

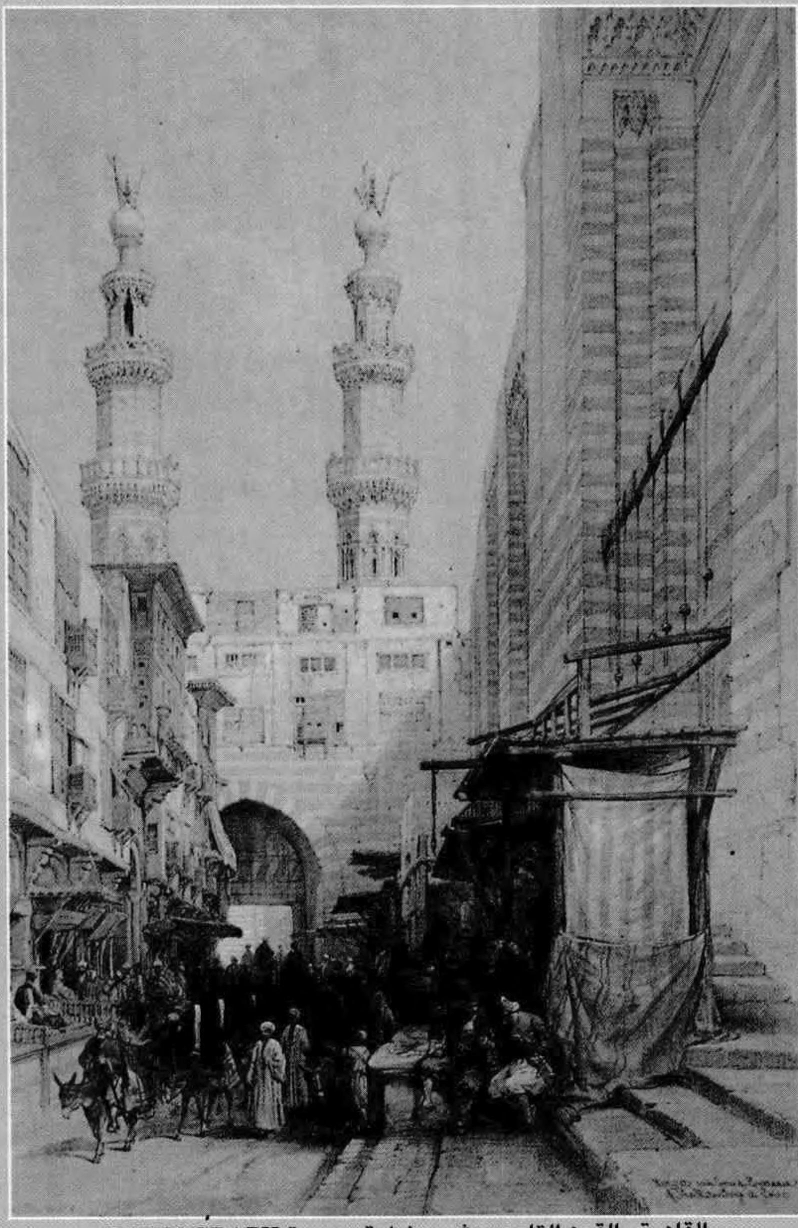
القلم

شعر : محيي الدين عطية

أيُّ سِحْرٍ فيكَ يَسْتَهْوي القُلوبا
أيُّ نَبْعٍ دافِقٍ يَأْبىٰ النُّضـوبـا
قُلْتَ لِي يَوْماً : زُهوري شائِكاتٌ
سَتَرىٰ مِنْ جُرْحِها ٱلدَّامي ضُروبا
قُلْتُ : فَـٱلْحُق الـذّي حَمَّلْتَنيـــهِ
أزْهَقَ ٱلْخَوْفَ ، فَجاوَزْتُ الخُطوبا
قُلْتَ لي يَـوْماً : سَـماواتي غَمامٌ
لَنْ تـرىٰ في أُفْقِها إلاّ غُـروبا
قُلْتُ : فَٱلْعِشْقُ ٱلذّي مَلَّكْتَنيـهِ
أوْرَقَتْ أغْصانُهُ شِعْـراً طَرُوبـا
وَأنيناً ، وٱنْفِراجاً ، وَعُبوســاً
وَحَنيناً ، وَٱبْتِسـامـاً ، وَقُـطوبـا
قُلْتَ لي : مَهْلاً فَأبْقاري عِجافٌ
لَنْ تَرىٰ مِنْ بَيْنِها ضَرْعاً حَلُوبا
قُلْتُ : فَٱلدَّرْسُ ٱلـذي عَلَّمْتَنيهِ
لَمْ تَـزَلْ آثـارُهُ عِنْدي دُروبـا
إنْ طَعِمْنـا بِٱلْمِدادِ الحُـرِّ خُبْـزاً
لارْتَدَتْ أشْعارُنـا ثَوْبـاً كَذُوبـا
فَٱسْتَقِمْ ، إنّا على ٱلحَقِّ ٱلْتَقَيْنا
وَٱلْتَزِمْ ، كَيْ لا تَرىٰ مِنّي هُروبا

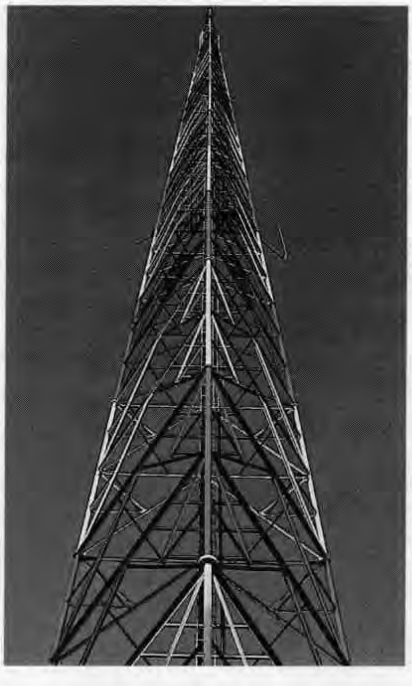
□□□

الشرق في عيون الغرب



القاهرة ـ القرن التاسع عشر ـ طباعة حجرية LITHOGRAPH

ـ ديڤيد روبرتس ـ المدرسة الانجليزية





لغة الإذاعة وخصائصها

بقلم : د. عبدالعزيز شرف

مهما يكن من أمر زعم (ورف) أننا أسرى اللفظ، فإن موقفه كعالم سوفييتي يؤمن بالمادية الديالكتيكية التي تقول بأن العالم لم يسبق الإدراك والأشياء تسبق الأسماء المخصصة لها - لا يمكن أن نقبله على علاته رغم صحته من بعض جوانبه(١). فهل صحيح أننا حين نكتسب لغة الأم نكتسب معها في نفس الوقت بطريقة غير واعية أسلوباً نوعياً ومتميزاً للتفكير كما نكتسب.. «ميتافيزيقاً» باطنية خافية؟ وبمعنى آخر هل تؤثر اللغة في التفكير؟ لا شك أنها تؤثر ولكن لا على الجوهر بل على أساليب التفكير. فجوهر الفكر انعكاس للواقع الموضوعي.. وهدف اللغة هو التواصل أي نقل المعلومات عن الواقع ، من خلال الرسائل . وبغض النظر عن التسهيلات الفنية التي يترتب عليها تنوع أساليب التفكير فإن كل لغة قادرة على إعطاء صورة حقيقية عن العالم الخارجي .

تعدد اللغات

ويذهب **علماء النفس** إلى أن الطفل يبدأ في إدراك العالم المحيط به حتى من قبل أن يكون هناك أي «**تفكير لغوي**» يدور في ذهنه . وأخيراً وبعد أن يتعلم الطفل الكلام يبدأ في استخدام لغته ليتم خبرته الحسية المكتسبة بمسميات لغوية . فالأشياء تسبق المفردات والعكس ليس بصحيح . **ولنفرض أن رائدين من رواد الفضاء أحدهما أمريكي والآخر سوفييتي قد هبطا على سطح القمر ، وعاد كل منهما ليروي انطباعاته بلغته الخاصة . فهل تكون الصورة الأمريكية مختلفة عن الصورة السوفييتية للقمر ؟**

لقد زار الرحالة العرب قبل أكثر من ألف عام أراضي **دول الشمال** وكانت طبيعة وتقاليد وعادات **الفايكنج** من سكان الشمال غريبة تماماً في نظر الرحالة العرب ، وكانت الغرابة تضاهي غرابة القمر بالنسبة لسكان الأرض، وبالإضافة إلى ذلك فإن اللغة العربية تختلف اختلافاً عن **اللغة النورماندية** . ومع ذلك ترى وصف العرب يتفق مع وصف النورمانديين بالنسبة لنفس الظواهر والحوادث والمدن . **إن كل لغة تصور العالم بطريقتها الخاصة ، ولكن الرسالة عن الحقيقة تنقل بدقة وصواب**(٢)

ويقارن علماء اللغة المعاصرون نظام اللغة بنظام الإحداثيات الهندسية ، فالانتقال من لغة إلى أخرى شبيه بالانتقال من نظام هندسي للعلاقات إلى الآخر . **إن العالم الخارجي هو نفسه غير أن صورته تختلف باختلاف اللغات .**

لقد كان «ورف» على حق حين قال إن اللغة تؤثر **في تفكيرنا في ظروف معينة**، ونضيف إلى ذلك قول **«كندراتوف»** ، إنها تؤثر في نمط التفكير لا جوهره ، وبالتالي فإنها تؤثر في سلوك الناس . ولكن «ورف» نسي حقيقة أخرى وهي أن الفكر يتأثر بالواقع ، أي إنه يتأثر بالخبرة العملية للبشر أو بالحياة . وهي التي يتعامل معها الفن الإذاعي ، إن الواقع الموضوعي والحياة هما في نهاية الأمر اللذان تتعامل معهما لغة الفن الإذاعي .

والإذاعة تعمل جاهدة على توثيق الوجدان الإنساني ، فهي لم تظهر هذا الوجدان في مجال قومي معين ، محدد بلغة قومية معينة ، فحسب ، ولكنها أعانت على التمكين لهذا الوجدان وتقويته أيضاً ، فبعد أن كانت الجماعات تعيش منبثة في الريف وفي القرى وفي مدن ذات أسوار مادية ومعنوية ، حطمت الإذاعة هذه الأسوار ووجدنا أن إذاعة مصر مثلاً تتجاوز حدود الوطن المصري إلى جميع الناطقين باللغة العربية . فالإذاعة عامل مهم يعمل على تقارب المجتمعات، ولكن هذا التقارب يحدث في نطاق معين تحدده **اللغة القومية العامة** Lingua Franco لمجتمع كبير ولقومية كبيرة . وطبيعي أن اللغة العامة غير اللهجات المحلية أو الطبقية الخاصة(٣) .

لغة الإذاعة

فإذا نظرنا إلى الرباط بين الإذاعة والثقافة أو بين الإذاعة والمجتمع وهي عامل حيوي خطير ، وجدنا أنها أولاً وقبل كل شيء قد أعانت من الناحية اللغوية على إظهار المفهوم الاجتماعي الصحيح للغة ، وهذا بلاشك من المهام الكبيرة التي قامت بها الإذاعة(٤) وليس من شك في أن الإذاعة من خلال لغتها وأساليبها الفنية تشارك في صوغ صورة العالم في أذهان المستمعين ، ولغة

الفن الإذاعي هي الوسيلة الإذاعية الأساسية لنقل المعلومات إلى المستمعين . ولكن لغة الإذاعة قادرة على ما هو أكثر من ذلك إذ يمكنها أن تكون بمنزلة منشور تحليل الطيف الذي ينظر إلى العالم من خلالها وهنا يكمن وجه **الخلاف الأساسي بين لغة الفن الإذاعي وبين الشفرات التكنيكية** التي تنقل المعلومات بصورة محايدة ودون أي انفعال ، أي دون أن تصوغها أو تقدمها بصورة أو بأخرى.

إننا ـ كما يقول «**كندراتوف**» ـ نمتلك ناحية العلوم الطبيعية والرياضيات والفنون عندما نكون في سن يسمح لنا بأن نعي العالم المحيط بنا وعياً ناضجاً وكاملاً ، أما اللغة فإننا نكتسبها منذ طفولتنا المبكرة ، فاللغة قاسم مشترك بين الناس جميعاً . وتستطيع الإذاعة بفضل اللغة أن تناقش الظواهر التي لم يكشف العلم غوامضها وتستطيع أن تتبادل مع ذهن المستمع الحديث عن أمور تدخل في عداد المستحيل والخيالي . فاللغة تيسر للإذاعة نقل المعلومات ، ثم إنها تمكن الفن الإذاعي من التعبير عن الآراء والاتجاهات إزاء المعلومات التي تحملها الإذاعة للناس .

إن **الفنان العبقري** قادر على أن يبتكر لنفسه أسلوباً خاصاً به أي «**لغته**» **الفنية** الخاصة ، والعالم قادر على أن يبتدع نسقاً جديداً من الرموز العلمية أو الصيغ الرمزية في **الطبيعيات أو الكيمياء أو الرياضيات أو المنطق** . على أن أياً منهم مهما بلغ من الذكاء والعبقرية ليس بقادر على أن يستبدل بلغة الأم التي يتحدث بها الكافة لغة أخرى غريبة أو لغة مصطنعة . ونحن ـ كما يقول «**كندراتوف**» ـ نكتسب اللغة بطريقة لاشعورية منذ طفولتنا المبكرة ولكننا لا نبدأ في فهم قوانين اللغة إلا في مرحلة أخرى تالية وذلك عندما نتعلم القراءة والكتابة . ولكن الإذاعة تحدث هنا هذا الفهم من خلال التفريق بين اللغة المنطوقة المجهورة ، أي لغة الحديث والخطاب ، وبين تلك الرموز التعسفية ، على خطرها وجلال مهمتها ، التي اصطلحت البشرية عليها ، وهي التي عرف تركيبها بالتدوين أو الكتابة ، وما تحمله من تمثل الصوت[٥] .

إن لغة الإذاعة هي اللغة المنطوقة المجهورة التي نتوسل بها في الإعلام وصوغ العالم ، على النحو الذي يجعلها قسمة شائعة بين أفراد المجتمع جميعاً . فالفلاح والملك والفقير والغني كلهم يستمعون إلى لغة واحدة . **ومصدر ذلك أن لغة الإذاعة تتسم بالشمول ، والسرعة والمباشرة والعادية والواقعية ، فهي تستطيع أن تذكر كلمة كلب أو جمل دون الدخول في التسميات الدقيقة التي قد يهتم بها عشاق الكلاب أو خبراء الجمال . إن تجربتنا العملية ، تجعلنا نستطيع أن نلخص ، ونكتسب الخبرات عن طريق تبسيط المعاني ، ومسرحتها ونمذجتها في قوالب خاصة ، وهذا هو أساس الفن الإعلامي** بوجه عام[٦] والفن الإذاعي على نحو أخص ، حيث تغدو لغة الفن ذات قوة إيحائية ، حين تخترق الحواجز لتصل إلى أذن المستمع ، فضلاً عما تتيحه الوسيلة من خاصية الدق المنتظم للكلمات ، واستخدام أقل عدد ممكن من الألفاظ للتعبير عن أكبر عدد ممكن من الأشياء في وضوح وبساطة واقتصاد وتأثير . وهنا يصدق قول «**برجسون**» : **إن فن الكتابة هو أن ينسى الكاتب أن الكلمات عدته ، ومعنى ذلك أن كل كلمة يجب أن تعبر عن شيء ما ، ومعنى ذلك أيضاً أن تستبعد الكلمات الغامضة والعبارات العامة التي تؤدي إلى معنى** .

لغة الفن الإذاعي

ويمكن القول إن **لغة الفن الإذاعي** تصبح ـ كما أسلفنا ـ بمثابة منشور تحليل الطيف الذي ننظر إلى العالم من خلاله فاللغة قاسم مشترك بين الناس جميعاً، وتستطيع الإذاعة بواسطة اللغة أن تناقش الظواهر التي يكتشفها العلم وتتبادل مع ذهن السامع الحديث عن أمور تدخل في عداد الخيال أو المستحيل. والفن الإذاعي بلغته تلك ينقل المعلومات ويعبر عن الآراء والاتجاهات والمعلومات ويؤدي وظائفها المختلفة من خلال رموز صوتية تتعامل مع الخبرة العملية للمستمع ، وحيث يستحيل الاتصال وجهاً لوجه ، ويقرر «**مندلسون** H. Mendelson» أن الحقيقة التي تقول إن الراديو مازال منافساً خطيراً للتليفزيون توحي بأن لكل منهما وظائف مختلفة ، ويقرر أن هناك بعض الوظائف الواضحة يحققها الراديو للمستمعين ، فمن الواضح أن الراديو يسلي الناس ، ويرفه عنهم ، ويمدهم بالمعلومات بوصفه وسيلة إعلامية ، كما أنه يقدم إطاراً متناسقاً بعيداً عن الضوضاء أو التشويش بحيث يسمح للناس بأن ينجزوا أعمالهم ويصرفوا أمورهم بينما هم يتسلون به أو يتلقون عن طريقه المعلومات . وعند هذه النقطة يلاحظ الباحث أنه من غير المجدي أن نبحث عما هو معروف بالفعل لأن البحث بهذه الطريقة سوف يختزل إلى مجرد عملية إعادة تسجيل ما هو مسجل ومدون بالفعل . والعمل المجدي بالنسبة لهذا الباحث هو محاولة الكشف عن الوظائف غير الواضحة أو غير المعروفة التي يحققها الاستماع إلى الراديو ويعتقد ـ وهو معيب ـ أن هذا الاتجاه الصحيح لدراسة وظائف الراديو فمن الضروري الكشف عن الوظائف والخصائص والمزايا الكامنة والظاهرة على السواء في إطار مواقف معينة وهذا هو لب التحليل الوظيفي الذي يستخدمه الباحث[٧] .

إلا أن التداخل بين **الراديو والتليفزيون** يقف عقبة أمام الباحث الذي يحاول الكشف عن الخصائص الفريدة التي يتميز بها الراديو عن غيره من وسائل الاتصال بالجماهير ، وهنا تبرز حقيقة هامة مؤداها أن فقدان الظهور أو البروز الواضح للراديو بالنسبة لمستمعيه يضطر الباحث إلى الاعتماد على البحث الكيفي المتعمق للكشف عن الاستعمالات السيكولوجية أو الفوائد النفسية التي يجنيها المستمع من الراديو ، وأنواع الاشباعات التي يحققها عن طريق هذا الاستماع ، علماً بأن أغلب هذه الاستعمالات والاشباعات التي قد لا يستشعرها المستمع ، ومن ثم فانه لا يستطيع كشفها حينما يوجه إليه سؤال مؤداه لماذا نستمع إلى الراديو ؟ حيث لا يستطيع الإجابة البسيطة التي تتضمن سماع الأخبار والبرامج المفضلة ، ومن الواضح أن هذه الإجابة ليست بكافية لتفسير تفضيل الراديو على غيره من المصادر التي يمكن أن تقدم المعلومات أو الترفيه، أما الإجابة الحقيقية عن هذا السؤال فإنها تتحقق عن طريق القياس المتعمق لحاجات المستمع النفسية ودوافعه ومفضلاته وعاداته[٨] .

وقد استطاع الإنسان عن طريق اختراع الإذاعة وتعميم أجهزة الاستقبال على نحو ما نجد في «**الترانزستور**» أن يحرر عملية الاتصال من قيود الزمان والمكان ، وعند الحديث عن الفصحى المشتركة ، سنتعرف على أثر الإذاعة في تعميمها ومقاومة التيارات الداعية إلى العامية والقوميات الإقليمية الضيقة ، ذلك أن نظام الاتصالات الحديث جعل الامتداد الجغرافي يفتقد الكثير من أهميته وأصبحنا نجد أن المجتمع العلمي الذي لا يجد له مكانا على الخريطة يشترك في القيم على حد تعبير «**ريفرز**» وينطبق ذلك على **العالم الإسلامي والعربي** .

التبسيط والنماذج الإذاعية

والإذاعة بطبيعة الحال وسيلة جماهيرية ولابد

أن تكون كذلك ، لأنها ما لم تستطيع اجتذاب اهتمام أغلب الناس معظم الوقت والمحافظة عليه ، فإنها لن تؤدي وظائفها التي يكتب لها البقاء من أجلها ، ولابد أن تكون لغتها قائمة على التبسيط الذي يجتذب الملايين من المستمعين ، في كل مكان . **وقبل ظهور التليفزيون ، كان الراديو يعتبر مع الصحيفة أهم وسائل الإعلام** .

وكانت أهم الخصائص المميزة لجمهوره أنه بلا خصائص مميزة له فالإذاعة تتعامل مع كافة الجماهير رغم الاختلاف في الأذواق وفي مدى الاستماع . وللإذاعة جاذبيتها العريضة التي تجعلها تصل إلى فئات الأمة كافة رغم أن ذلك يتم بطبيعة الحال في مختلف البرامج . ومن ذلك أن **الراديو يسمع بما يسمى بالأذن الثالثة** ، وهناك ما يدل على أن الناس يستخدمون الراديو حالياً كرفيق شخصي وهم يقودون سياراتهم إلى العمل وعند أداء العمل المنزلي أو مع القراءة .. الخ .[9] .

ومن أجل ذلك فإن التبسيط سمة مهمة من سمات الفن الإذاعي ، حيث تغدو الإذاعة،كنظام للاتصال البشري،دلالة جديدة في عالم تحل فيه الاتصالات الثانوية كالصفحة المطبوعة والراديو والتليفزيون محل الخبرة الأولية على حد تعبير «**ويتما**» وتقوم الإذاعة بذلك من خلال اللغة والصور والأنماط الجاهزة والرغبات ولذلك فإنها غالباً ما تحيط الفرد في ولايته للربط بين حياته الخاصة وحقائق عالمه الخارجي الأكبر، فالإذاعي فنان بحكم طبيعة الوسيلة وحدودها الزمنية ، ذلك أن الإذاعة ، تمثل جزءًا من خدمة يومية ، تقتضي تحديد الوقت الذي يستغرق البرنامج ، ومدى قابليته للإخراج في نطاق زمني محدد ، كما أن الإذاعي ، مقيد بالاهتمام الإنساني للجمهور الكبير الذي يتلقى الرسائل الإذاعية . وهكذا نجد أن ظروف «**المرسل**» و«**المستقبل**» جميعاً تجعل التبسيط أهم سمات الفن الإذاعي ، نظراً لقيود الحيز والزمن ، وطبيعة الوسيلة بالنسبة للمرسل وحدود الفهم والتلقي بالنسبة للمستقبل ، أو المستمع ، وعلى هذا الأساس نجد أن الوسائل الفنية الإذاعية تعرض مواد مبسطة ، يسهل على الجماهير استيعابها وفهمها . كما أنها تتمشى مع قيم المجتمع وعاداته وتقاليده . **وينتج عن ذلك أن ما يقدم للناس ليس هو الحقيقة الكاملة ، وإنما هو الحقيقة الواقعية المبسطة . ولابد أن تكون المادة المعروضة متفقة مع الثقافة الشائعة والمعتقدات الدينية والمعايير الأخلاقية لأن الفنان الإذاعي مرتبط بهذه المعايير** .

ولئن كانت **الصحافة** قد دفعت باللغة المشتركة خطوات واسعة إلى الأمام على النحو المتقدم فإن الإذاعة وهي **صحافة مسموعة** ستكون عظيمة الأثر في زيادة الثروة اللغوية بين عامة الشعب وفي توحيد نطق المفردات وفي التقريب بين اللهجات . وليس من المستبعد أن تنجح في إحلال الفصحى المبسطة محل العامية السائدة.ومن ثم فإن **لغة الإذاعة تتميز عن لغة الصحافة ، في أن ألفاظ الأولى تصبح رموزاً صوتية بالنسبة إلى كاتب أنباء الإذاعة بدلاً من أن تتخذ شكل رموز بصرية وعلى ذلك فإن لغة الإذاعة أقل التزاماً بالشكليات من الكتابة للصحف ، ذلك أن لغة الإذاعة هي لغة الاتحاد الحقيقي بين لغة الكتابة ولغة الحديث** .

على أن الإذاعة لا تقوم على اللهجات المحلية ، وإنما تقوم ـ في أغلب الأحيان ـ على اللغات الغالبة الواسعة الانتشار وهي بعينها **اللغة المشتركة أو اللغة العربية الفصحى** .

ومن البديهي أن المذياع ينتشر بسرعة عظيمة جداً ، فهذه أجهزة الإذاعة تتغلغل في الريف كما تغلغلت في المدن وسيكون لهذا نتيجته المنطقية المعقولة ، وهي محو هذا الفرق بالتدريج ـ القائم بين الفصحى واللهجات العامية.. وليس من شك في أن السنة العامة ستقومها هذه الإذاعة لأنهم سيعملون على محاكاتها في نطق الألفاظ .

وتأسيساً على ذلك ، فإن هذه الفنون التحريرية المذاعة والرئيسية ، تقوم جميعاً على الرمز المشترك ، سواء كان صورة أو كلمة أو إشارة أو نغمة أو حركة أو غير ذلك . **فالرموز في الإذاعة المرئية والمسموعة ـ شأنها في ذلك شأن وسائل الإعلام الأخرى ـ هي عمودها الفقري وبدونها لا يمكن أن تعمل** .

والسؤال الذي تواجهه وسائل الإعلام المختلفة ومن بينها الإذاعة والتليفزيون هو : **كيف ترسل الرسائل إلى الناس بحيث تنتقل المعاني كاملة دقيقة ؟ أو بمعنى آخر كيف تؤدي الرموز اللغوية وغيرها معانيها المختلفة بحيث ينتج عنها الاستجابات المطلوبة ؟**

إذا كنا في دراستنا للغة الصحفية ، نذهب إلى الإستعانة **بعلم الدلالة (السيمياء)** Sémantiquel لفهم العلاقة بين الرموز والمعاني ، والقيم الدلالية للرموز ، وقدرتها على الإبانة أو التمويه والغموض . فإن هذا العلم نفسه من أهم العلوم التي تساعد اللغة المذاعة على تحديد خصائص تيسر لها استجابة لدى جمهور المستقبلين . **على أن اللغة المذاعة تقتضي أن تدرس كذلك في ضوء علم الصوتيات** Phonétique **أو النطقيات ، بالبحث في الأصوات ذات الوظيفة الدلالية كالسين والصاد في مثل سبروصبر** .

وقد أثبت علماء الصوتيات أو النطقيات ، أن الأصوات اللغوية تنقسم قسمين رئيسيين: الأول ما يمكن أن يسمى «**بالأصوات الساكنة**» والثاني «**بأصوات اللين**» .

فالأصوات الساكنة أقل وضوحاً في السمع من أصوات اللين . ذلك أن أصوات اللين تسمع من مسافة عندها قد تخفى الأصوات الساكنة أو يخطأ في تمييزها . **فالفتحة** مثلاً ، وهي صوت لين قصير ، تسمع بوضوح من مسافة أبعد كثيراً مما تسمع عندها **الفاء** . ولهذا نجد الأساس الذي بني عليه التفرقة بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين أساساً صوتياً . وهو نسبة وضوح الصوت في السمع . ففي الحديث بين شخصين بعدت بينهما المسافة قد **يخطىء** أحدهما سماع صوت ساكن ، ولكن يندر أن يخطىء سماع صوت لين . وكذلك الحال في الحديث بالهاتف . وليست كل أصوات اللين ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي ، بل منها الأوضح ، فأصوات اللين المتسعة أوضح من الضيِّقة ، أي إن **الفتحة** أوضح من **الضمة والكسرة** . كما أن الأصوات الساكنة ليست جميعها ذات نسبة واحدة فيه ، بل منها الأوضح أيضاً . **فالأصوات المجهورة** أوضح من **الأصوات المهموسة** .

والوضوح السمعي الذي بنيت عليه التفرقة بين الأصوات الساكنة وأصوات اللِّين ، هو تلك الصفة الطبيعية في الصوت لا المكتسبة من طول أو نبرة فصوت اللين أوضح بطبعه من الصوت الساكن .

الهوامش

(١،٢) إبراهيم إمام: دراسات في الفن الصحفي ص ٣٨، ٣٩.

(٣،٤) عبد الحميد يونس: اللغة الفنية (مجلة عالم الفكر ـ الكويت)

(٥) المرجع السابق ص ١٥.

(٦) إبراهيم إمام: دراسات في الفن الصحفي ص ٤٠.

(٧،٨) محمود عودة: أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي ـ دار المعارف القاهرة ١٩٧١م.

(٩) ريفرز وآخرون: وسائل الإعلام والمجتمع الحديث.



الجيولوجيا عند العرب ..

من المزاعم المشهورة التي نُسبت خطأً إلى العرب حتى بلغت مبلغاً عظيماً من الغلّو والتطرف الذي يصل إلى حد الاجتراء .. أن العرب لم يُدركوا من علوم الجيولوجيا شيئاً مذكوراً سوى ولعهم بوصف الأحجار الكريمة وبعض الجمل المبثوثة هنا أو هناك عن تكوّن الجبال والزلازل وغيرهما مما نكره ابن سينا أو القزويني أو مما جاء في رسائل إخوان الصفا .

لم يلفت انتباه المستشرقين سوى هذه الزاوية الضيّقة من علوم العرب في الجيولوجيا . وليس أخطر من اجتراء أو افتراء يتخذُ من تاريخ العلم رداءً له ليلوي عنق الحقيقة ويشوه موضوعية تاريخ العلم ليحرم قوماً من مزية السبق والفضل تعصباً لسواهم ممن لا فضل لهم ولا سبق .

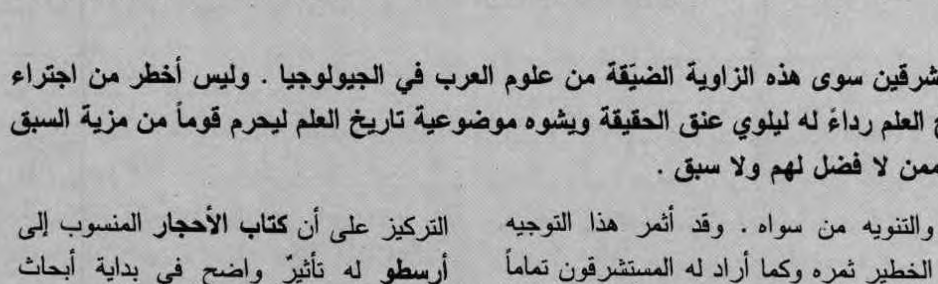
ولعلي أكاد أمسك بتلابيب ما حاول المستشرقون مواراته وإخفاءه بدعوى التجرد والموضوعية ـ التي أشاد بها للأسف كثيرون ممن كان لهم اليد الطولى في توجيه الفكر العربي ـ فالمستشرقون وهم يحاولون إبراز هذا الجانب وحده إنما يرمون لغرض لا نحسب أحداً قد تنبه لخطورته وأثره البالغ في تشويه تاريخ العلم وهو الإيهام بأن تلك الجواهر والأحجار الكريمة التي كانت تملأ بلاط الخلفاء وخزائنهم إنما هي مجلوبةٌ من الخارج ضمن غنائم الفتوحات الإسلامية ناهيك بجواهر كسرى وقيصر . إذاً فلا فضل للعرب ولا سبق علم قد أتوا به .

والذي نود أن نقوله إننا لا ننكر دور المستشرقين في إحياء التراث العربي فهو مسجل ومعروف وإنما نُنكر عليهم ـ وقد تصدوا لهذا الأمر ـ عدم إتمامهم لكامل الحقيقة ، فلا جدوى تُرجى من حقيقة مبتورة ، فربما كان الجزء المبتور أوجب في البيان والتنويه من سواه . وقد أثمر هذا التوجيه الخطير ثمره وكما أراد له المستشرقون تماماً فشايعهم في منحاهم هذا كثيرون .

جهـود العـرب

وعلى سبيل المثال لم يجد **الدكتـور عبد الرحمن بدوي** من أبحاث المستشرقين في تاريخ العلوم عند العرب ـ الجيولوجيا خاصة ـ سوى عناية المسلمين بعلم الأحجار والجواهر الكريمة وذكر بعضاً من أبحاثهم فيها مع التركيز على أن **كتاب الأحجار** المنسوب إلى **أرسطو** له تأثيرٌ واضح في بداية أبحاث المسلمين في الأحجار الكريمة(١) .

وقد ذهب مذهب المستشرقين هذا مؤرخ كبير وهو **الدكتور فيليب حتّي** الذي ذكر في كتابه الشهير « **تاريخ العرب** » تحت عنوان صقل الأحجار الكريمة ونقشها(٢) : « ولم يتقدم العرب كثيراً في علوم المعادن مع أنه علم شديد الصلة بالكيمياء ويفسر غرامهم بالأحجار الكريمة واهتمامهم بالمزايا الخفية للمعادن كثرة


هذا كتاب يشتمل على خواص الاحجار ومنافعها وقيمتها تاليف العبد الفقير يوسف التيفاشي رحمه الله تعالى علي امير

بسم الله الرحمن الرحيم .
قال العبد الفقير الى رحمة مولاه الغني بفضله عمن سواه
احمد بن يوسف التيفاشي هذا كتاب غريب الوضع عجيب
الجمع عظيم النفع يتضمن ذكر الاحجار الذي يكون اكثرها في ذخائر
الملوك والسلاطين وخزاين الرؤساء مما لا يستغني عن اقتنائه
ملك كبير ولا رئيس خطير لما يشتمل عليه من عظيم المنافع
وعجائب الخواص ولم اشترط بهاذ كر شيء من الاحجار المتداولة

الورقة الأولى من كتاب أزهار الأفكار في جواهر الأحجار للتيفاشي (بالياء في الأعلام ١/ ٢٧٣ ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٠٨ وغيرهما) وتوجد في مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض نسخ مصورة من هذا الكتاب وكتاب القبجاقي الوارد ذكره ص ٤٩ (مجلة الفيصل)





حقائق وأباطيل

بقلم: مصطفى يعقوب عبد النبي

نقوش الأحجار الكريمة التي ذكر الكتاب العرب منها أكثر من خمسين نقشاً وأقدم الكتب الباقية التي عالجت هذا الموضوع كتاب ألفه **عطار بن محمد الحاسب** ولكنَّ هناك كتاباً أكثر شهرة من كتابه اسمه « **أزهار الأفكار في جواهر الأحجار** » **لشهاب الدين التيفاشي** الذي مات بالقاهرة سنة ١٢٥٣ [م=٦٥١هـ] وقد تعرض التيفاش لأربعة وعشرين حجراً كريماً[٣] فناقش معتمداً على المراجع العربية وحدها أصلها وجغرافيتها ونقاوتها وثمنها وقيمتها الطبية والسحرية » .

ومما يجب أن يقال في هذا الشأن أن العرب وقد اهتموا بالأحجار الكريمة أو شغلتهم بعجيب أشكالها وألوانها لم يكتفوا بمجرد وصفها أو التغني بمحاسن النفيس منها ، ولأن العرب أيضاً لم يكونوا مجرد وصّافين لهذه الأشياء النفيسة فإنهم ـ أي العرب ـ قد تجاوزوا هذا المفهوم الضيق بمقدار كبير أدعى لوضع معطياته في مكانه الصحيح من أسس علم المعادن Mineralogy حتى وإن اتخذ العرب أمثلة من معادن الزينة ولاسيما الأحجار الكريمة التي أصبحت تمثل الآن علماً مستقلاً بذاته .

رأينا وأدلتنا

ويكْمن جوهر قضية الأحجار الكريمة



هل الأحجار الكريمة هي كل ما عرفه العرب عن الجيولوجيا؟

وزعم المستشرقين ـ في رأينا ـ في أمرين .

أولهما : إننا لا نوافق على تركيز المستشرقين على هذا الجانب وحده في علوم الجيولوجيا عند العرب وحتى هذا التركيز قد خَلاَ من أي تحليلٍ موضوعي لهذا الاهتمام أو حتى تحقيق علمي لما كتبه العرب في تلك الأحجار ومبلغ مطابقته للآراء العلمية الحديثة .

وثانيهما : إغفال المستشرقين لسائر ما أبدعه العرب من آراءٍ ومعارف علمية في فروع علم الجيولوجيا الأخرى .

وعن أولهما نقول : إن اهتمام العرب بالأحجار الكريمة كان اهتماماً علميًا بالدرجة الأولى يَدْخُل في صميم علم المعادن.وكي لا يكون هذا القول بغير دليل فإننا نسوق الدليلين الآتيين حتى نضع اهتمام العرب بالأحجار الكريمة في موضعه الصحيح من العلم الحديث :

أولاً : إن أهم ما يميّز تلك الطائفة من المعادن ـ الأحجار الكريمة ـ قيمتها الجمالية التي تُعْلِي ـ بالطبع ـ من قيمتها المادية حيث تنحصر القِيَم الجمالية في أي معدن من تلك المعادن في إطارين من أهم ما يميز المعدن عند النظرة الأولى ونعني بالإطارين هنا إطار الشكل الخارجي أو ما يعرف بالبلورات Crystals وإطار اللون مما يندرج تحت الخواص الطبيعية .

إذاً فاهتمام العرب بتلك الطائفة المميزة من المعادن هو اهتمام علميٌّ بالبلورات وفصائلها المختلفة الذي ينتمي إليها هذا الحجر الكريم أو ذاك ، واهتمامٌ أيضاً بالخواص الطبيعية للمعدن ممثلاً في ألوانه المختلفة أو تدرجه اللوني وليس ـ كما يظن ـ اهتماماً بكون تلك المعادن من النفائس والطرف .

ثانيا: وليس من دليل دامغ وحجة قاطعة تمحو مظنة ولع العرب بالأحجار الكريمة لمجرد الولع والاقتناء وتُسْقِط ما أراد المستشرقون إيهامنا به أبلغ من الرجوع إلى المراجع الحديثة في علم المعادن لنحتكم إليها في: هل كان ولع العرب بتلك الأحجار عن

غرام وانبهار أم كان عن علمٍ وبحث ؟ فإذا تصفحنا أي مرجع من المراجع العلمية الحديثة الخاصة بعلوم المعادن وليكن على سبيل المثال MINERALOGY - E.H. Krous أو كمثال آخر ECONOMIC MINERAL DEPOSITS A. M. Bateman وهما من المراجع العلمية الشهيرة في علوم المعادن والرواسب المعدنية ، لوجدنا أن الخط الرئيسي الذي يسلكه كلٌ من هذين المرجعين في سبيل التعريف الكامل والإحاطة الشاملة للمعدن موضع الدراسة ـ يدخل في ذلك بالطبع الأحجار الكريمة ـ لا يتجاوز العناوين الداخلية الآتية تحت اسم المعدن باستثناء ما استحدث من قياسات تلزم لها بعض الأجهزة .

- Origin **(الأصل)**.
- physical properties **(الخواص الطبيعية)**.
- Occurrence **(الوجود)**.

وقبل هذه المؤلفات الحديثة المتداولة في علوم المعادن كان التيفاش أسبق أثراً وعلماً فكان كتابه « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » مُواكباً لما هو متداولٌ الآن في علوم المعادن وبنظرة مقارنة إلى نفس العناوين الداخلية نجد أن التيفاش قد أوفى على الغرض وزاد عليه ، فتحت اسم المعدن نجده يذكر العناوين الفرعية الآتية :

- **أصل تكونه في معدنه .**
- **معدنه الذي يتكون فيه .**
- **جيده ورديئه .**
- **خواصه في منافعه .**
- **قيمته وثمنه** (باعتبار أن المعدن موضع الدراسة إنما هو حجر كريم ذو قيمة اقتصادية) .

إذاً فعناية العرب بالأحجار الكريمة عناية علمية في المقام الأول تتعدى حدود اقتناء الشيء النفيس إلى أغوار كنهه وماهيته بحثاً وعلماً .

أما عن **ثانيهما** فنقول : إن ثمة أمراً آخر لا يقل عما سبق إن لم يكن أجل خطراً وإن كان هذا الأمر خفيّاً لا يظهر بغير التأني في المراجعة والتحقيق واستدراك ما سقط أو بالأحرى ما أسقطه الباحثون في تاريخ العلم.

الجيولوجيا عند العرب

فقد أراد المستشرقون إيهامنا عن طريق التركيز المستمر على ولع العرب بالأحجار الكريمة ـ وكأن العرب لم يحذقوا من علوم الجيولوجيا سوى هذا الباب فقط ـ أن نجهل تماماً مآثر العرب ومدى علمهم في غير هذا الباب من علوم الجيولوجيا الكثيرة والمتنوعة ، وهو ضرب من الخطأ المتعمد وفساد الرأي الذي يُشتم منه سوء النية على سلب العرب مآثرهم وسبق إبداعهم في غير هذا الباب من علوم الجيولوجيا الأمر الذي يتنافى وأمانة البحث العلمي في « تاريخ العلم » .

ومن أيسر الأمور دَفع هذا الخطأ وإسقاط هذا الزعم بواحدة من اثنتين: حجة منطقية وشهادة تاريخية، فكيف يكون الأمر إذا اجتمع المنطق والتاريخ معاً؟

فماذا عن المنطق؟ يقول المنطق إنه إذا كان الجيولوجي في العصر الحديث يذهب إلى الصحراء ليسبرُ أغوارها ويكتشف دفين ثرواتها وقد يصبر أياماً على مكثه بها ، وقد لا يصبر إن طال به المكث ، فما ظنك بساكنيها والمقيمين فيها وأبناء بجدتها ـ كما يقولون ـ ونعني بهم العرب الذين تحيط بهم الصحراء إحاطة السوار بالمعصم برمالها وجبالها وسهولها فلا يتبرمون بها ولا يتحولون عنها .

والجيولوجي في العصر الحديث إذا أراد أن يقوم بعملية مسح جيولوجي بسيط تمنطق بكل وسيلة من وسائل التقنية كالبوصلة الجيولوجية Ceological Compass أو جهاز Attimeter-Barometer الذي يقيس الارتفاع والضغط فضلاً عن أجهزة الاتصال اللاسلكية والصور الجوية والخرائط التفصيلية للمنطقة المراد مسحها جيولوجياً والمناطق المجاورة أيضاً . وكل هذه الأسباب والوسائل حتى ينجو من موارد الهلاك وابتلاع الصحراء له ، فهل يذكر أحدٌ منا الأدلاء العرب ، هؤلاء الجنود المجهولون والرواد المنسيون وهم يذرعون صحراء الجزيرة العربية بمفاوزها وفيافيها من أقصاها إلى أقصاها وقد ميّزوا تضاريسها وصخورها وجبالها واهتدوا بأعلامها نهاراً ؟

ومن أعجب ما يهتدي به هؤلاء الأدلاء ـ عندما يضلون في الصحراء ـ استيافهم للتراب أي شمهم له ، وكان دليل القافلة إذا ضل في الفلاة أخذ حفنة من التراب واستافه، فيعلم إن كان على هدى أو ضلال.

وجاء في **أساس البلاغة** « وسافه سوفا واستافه : شمه قال **رؤبة** « إذا الدليل استاف أخلاق الطرق » .

ومن المجاز : كم مسافة هذه الأرض وبيننا مسافة عشرين يوماً : للمضرب البعيد[٤] » هذا من أهم هدايتهم نهاراً أما ليلاً فقد تكفّلت سعة معارفهم في الفلك وحركة النجوم في أفلاكها بهدايتهم في سُراهم ليلا . فمثل هذا الدليل العربي قد استوعب معارف قومه في الفلك والطبوغرافيا والجيومورفولوجيا فانطبعت في ذهنه خريطتان ، خريطة طبوغرافية لكل بقعة من بقاع الجزيرة العربية جبالاً وسهولاً كما استظهر في ذهنه أيضاً جميع المعالم الجيومورفولوجية التي يستخدمها الدليل في الاهتداء بها والمعروفة بالأعلام . وخريطة جيولوجية يميّز بها الصخور المختلفة في أرجاء الجزيرة كلها ما بين صلبة ولينة ورملية وما بين سهلة المسالك أو وعرة الارتياد فضلاً عن إجادة وحسن استخدام الدليل العربي بعض الوحدات الصخرية Rock Units التي تشذّ عما حولها من صخور في جعلها دليلاً له يهتدى بها ومعلماً من معالم الصحراء .

فعلى سبيل المثال استخدم العرب **صخور الظران** Flint كَعَلمٍ من الأعلام يهتدي بها في الفلوات فقد جاء في تهذيب اللغة للأزهري في كتاب الظاء « الأظرة من الأعلام التي يُهتدى بها مثل الإمرة (الحجارة) ومنها ما يكون ممطولاً (الممدود طولا) صلباً يتخذ منه الرحى »[٥] وهل كان العرب سادة التجارة في رحلتي الشتاء والصيف إلا بتقدم معارفهم الملحوظ في علوم الفلك والجيولوجيا والجغرافيا ؟

ومن شواهد تقدم معارف العرب العلمية في الفلك والجيولوجيا حيث يغني الشاهد الواحد عن الشواهد الكثيرة ما رواه **الطبري** في تاريخه عن **خالد بن الوليد** إبان عهد الخليفة الراشد **أبي بكر الصديق** وهي من الأخبار التي تمرّ بالقارئ دون إدراك ما وراءها من مغزى علمي كبير يُفصح بدوره عن كثير.

يقول الطبري « وخرج خالد حاجاً من الفراض (تخوم الشام والعراق والجزيرة) مُكتتماً بحجه ومعه عدة من أصحابه يعتسف البلاد (أي يقطع الطريق دون صوب يتوخاه فيصيبه) حتى أتى مكة بالسمت (أي السير على الطريق بالظن) فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل ولا رئبال فسار طريقاً من طرق أهل الجزيرة لم يُر طريقٌ أعجب منه ولا أشد على صعوبته منه فكانت غيبته عن الجند يسيرة فما توافى إلى الحيرة آخرهم حتى وافاهم »(٦) .

وما ظن القارئ برجل أو نفر من الرجال يقطعون ما يزيد على ألف ميل طولاً بين تخوم الشام والعراق في الشمال الشرقي من الجزيرة إلى أقصى الطرف الغربي منها وإلى الجنوب قليلاً حيث مكة المكرمة سالكين طرقاً ما سلكها دليل قبلهم ولم يستشعر الجند غياب قائدهم عنهم حتى إنه عندما وصل آخرهم الحيرة وافاهم خالد بن الوليد وكأنه لم يبرح مكانه بين جنده . والسؤال الآن: هل كان من المستطاع لهؤلاء القوم أن يفعلوا ما فعلوه إلا بتمكنهم الفائق وسَعَة علمهم سعة غير مسبوقة - بالقياس إلى عصرهم - في الفلك والجيولوجيا؟

وليس من قبيل المبالغة أن نقول إن معارف العرب في هذه العلوم قد بلغت من الرقّي حداً غير مألوف في زمانه فلو جرى على هذه المعارف ما جرى على السيرة والحديث والشعر من تدوين لكانت آية من آيات العلم العربي لم يسبقهم فيها سابق وربما لن يلحق بهم لاحق بغير قرون وقرون وأغلب الظن أن تلك المعطيات العلمية سواءً في الفلك أو الجيولوجيا كانت معروفة للقاصي والداني من العرب فقد كانت أشبه بالمعارف العامة المعروفة جيداً للجميع فلم يُخْش عليها من الضياع كالحديث أو الشعر مثلاً .

والحق أننا ما ذكرنا ما رواه الطبري عن خالد بن الوليد لكونه دليلاً غير منظور عما بلغه العرب من سعة المعارف في هذه العلوم فحسب ، ولكن لنقارن - إن جازت تلك المقارنة - بين أفراد ينزعون الجزيرة العربية بطولها وعرضها سمتاً وبين جيش جرار قد ابتلعته الصحراء الغربية المصرية ذلك الجيش الذي جرده **قمبيز** الفارسي إلى **واحة سيوة** - أحد المراكز الدينية لدى المصريين القدماء - ليتم فتحها فابتلعته الغرور والعواصف الرملية الكثيفة(٧) .

إذاً فليست الأحجار الكريمة وحدها كانت تدور عليها معارف العرب الجيولوجية فها هو المنطق المؤيد بشاهد من التاريخ يقرر أن الجيومورفولوجيا **Geomorphology** يكاد أن يكون علماً عربياً في بداياته ، وليس هذا القول من أقوال المبالغة والتفضيل فقد نشأ العرب في بيئة يدين لها هذا العلم بجل معطياته ونعني بهذه البيئة « الصحراء » .

وماذا عن التاريخ؟

يقول التاريخ إن الجزيرة العربية - في الزمن القديم - كانت مسرحاً لنشاط تعديني متقدم - بالقياس إلى العصر - ومن أهم الفترات التي يحددها لنا التاريخ والتي برز فيها هذا النشاط التعديني فترة حكم الملك سليمان خلال القرن الثامن قبل الميلاد .(٨)

ولقد كان من جراء هذا النشاط التعديني أن كثرت الصناعات التي قامت على بعض الخامات الفلزية Metallic ores التي تعج بها الجزيرة العربية ولاسيما الحديد فقد اشتهر منذ القدم السيف اليماني الذي تغنى به الشعراء الأقدمون ولهجوا بذكره في حروبهم وبجانب الحديد كان النحاس أيضاً فقد كان مستغلاً - وإن كان على نطاق محدود - أيام مملكة سبأ(٩) .

وإذا كانت اليمن قد اشتهرت بسيفها اليماني فإنها اشتهرت كذلك بصناعة الدروع . يقول **النابغة الذبياني** .

تَقُدُّ السَلُوقِيَّ المُضاعَفَ نَسْجُـهُ
وتُوْقِدُ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُبـاحِبِ

ويقول الشارح « وقوله تقد السلوقي أي تقطع هذه السيوف الدروع وكل شيء حتى تصير إلى حجارة أي تقدح النار ، والسلوقي دروع منسوبة إلى مكان تنتسب إليه الدروع »(١٠) .

وقد حدد صاحب القاموس سلوق بأنها قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب .

التعدين

ويقول التاريخ أيضاً أنه قد عثر على مواقع خمسة وخمسين منجماً قديماً - في الجزيرة


المقالة الاولى
الباب الاول منها في ذكر خصايص النحاس
الباب الثاني في ذكر تكونه في معدنه
الباب الثالث في الجيد من النحاس
المقالة الثانية في ذكر الفضة وهي سبعة ابواب
الباب الاول في ذكر تكون الفضة في معدنه
الباب الثاني في ذكر معادن الفضة من البقاع
الباب الخامس في ذكر اثمان الفضة
المقالة الثالثة في ذكر الذهب وهي سبعة ابواب
الباب الاول في ذكر تكون الذهب في معدنه
الباب الثاني في ذكر معادن الذهب من البقاع

الصفحة الأولى من مقدمة كتاب كنز التجار في معرفة الأحجار لمؤلفه بَيْلَكْ بن محمد القبجاقي ، منسوخ عام ٦٨١هـ (القرن ١٣م) ، أي أنه يعود إلى نفس القرن الذي ألّف فيه التيفاشي كتابه المذكور في المقال

العربية ـ جرى حفر سبعة منها في العصر الحديث في سبيل استغلالها إلا أنه لم يعثر على شيء منها .(١١)

ويدل عدم العثور هذا ـ بالطبع ـ على إجادة وحسن استغلال العرب الأوائل استغلالاً أمثل للصخور الحاوية للخامات في تلك المناجم منذ قديم الزمان .

وباستثناء منجم واحد فقط من المناجم السبعة تم العثور فيه على الذهب وهو الذي أطلق عليه **مهد الذهب** والمعروف بمعدن « بني سليم » وقد جرى العمل في هذا المنجم في عهدين مختلفين في التاريخ القديم كما يشير إلى ذلك ما تخلف من بقايا ونفايات .

ولم يعرف على وجه التحقيق العمر الزمني أو بالأحرى تاريخ استغلال هذا المنجم في العهد الأول التي تقع بقاياه ونفاياته تحت البقايا والنفايات المتخلفة عن العهد الثاني ـ أي اللاحق

غير أنه قد استدل من الكتابات الكوفية المحفورة والتي وُجِدَت بالمنجم أن تاريخ استغلال المنجم في عهده الثاني ـ أي اللاحق ـ يرجع كما دَلت عليه هذه الكتابات إلى عام ٥٧٠ ـ ١١٥٠ بعد الميلاد .(١٢)

والرأي عندنا بشأن البقايا والنفايات المجهولة التاريخ والسبب في توقف العمل في المنجم ثم إعادة تشغيله مرة أخرى ابتداء من عام ٧٥٠ م وما يثيره هذا التاريخ من معانٍ .

أما عن إعادة تشغيل هذا المنجم مرة أخرى في عام ٧٥٠م كما حدده المؤرخون فإن هذا التاريخ يُثير أكثر من مَعْنًى فقد شهد هذا التاريخ بداية سقوط الدولة الأموية وبزوغ نجم الدولة العباسية فربما كان احتياج هذه الدولة الوليدة للمال لتوطيد دعائم ملكها سبباً وراء إعادة فتح وتشغيل المنجم مرة أخرى أو لعل الإعادة كانت أثراً من آثار الخلفية الفارسية للبرامكة الذي تعاظم دورهم على نحو معروف ومشهور في الدولة العباسية حتى آل أمرهم إلى ما آل إليه في عهد الرشيد كما هو مسجل في التاريخ .

نخلص من هذه النقول إلى أن علم الجيولوجيا الاقتصادية Economic Geology وعلم الرواسب المعدنية خاصة من العلوم التي برع فيها العرب ـ كما دلت عليها شواهد التاريخ كما أسلفنا ـ وليست الأحجار الكريمة وحدها .

تلك كانت بعض الحقائق المتعلقة بعلوم الجيولوجيا عند العرب وليست كما يزعم الزاعمون أن العرب لم تدرك من علوم الجيولوجيا سوى علمهم بوصف الأحجار الكريمة .



منجم جبل مهد الذهب في السعودية جرى العمل فيه في عهدين مختلفين في التاريخ القديم



عروق الخام المحتوية على الذهب في أعماق الأرض (الخام غير المؤكسد)
(صور خاصة بمجلة «الفيصل» من منجم مهد الذهب ـ المؤسسة العامة للبترول والمعادن السعودية «بترومين»)

الهوامش

(١) مجلة عالم الفكر ـ المجلد التاسع العدد الأول أبريل ١٩٧٨م . أبحاث المستشرقين في تاريخ العلوم عند العرب ـ د . عبد الرحمن بدوي .

(٢) تاريخ العرب . د . فيليب حتي . ترجمة محمد مبروك نافع المجلد الثاني ص ٤٨٥ .

(٣) الصواب خمسة وعشرون فقد كان الكتاب مقسماً إلى خمسة وعشرين باباً اقتصر كل باب على حجر بعينه . انظر مجلة العلم العدد ١٠٢ أغسطس ١٩٨٤م . مقال « قرأت لك : أزهار الأفكار للتيفاش » : مصطفى يعقوب عبد النبي .

(٤) أساس البلاغة للزمخشري مادة (س و ف) ص ٤٦٧ .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ج ١٤ : ص ٣٥٧ .

(٦) تاريخ الطبري ج ٣ : ص ٣٨٤ .

(٧) الشرق الأدنى القديم ـ د . عبد العزيز صالح ج ١ ص ٣١٢ .

(٨) تنمية الموارد المعدنية في الوطن العربي ـ سميح عافية وآخرين ص ٢٧٩ .

(٩) المصدر السابق ص ٥٠٧ .

(١٠) ديوان النابغة الذبياني تحقيق محمد أبو الفضل ص ٤٦ .

(١١) قصة الأدب في الحجاز ـ عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجة ص ٤٤ .

(١٢) المصدر السابق ص ٤٥ .

(١٣) فجر الإسلام ـ د . أحمد أمين ص ٩ .

لقاء مع: الدكتور عبد الرزاق قسوم

الثقافة العربية في أوروبا

أجرى اللقاء: مندوب المجلة

إذا كانت مسألة «الغزو الثقافي الغربي» لمجتمعاتنا العربية الإسلامية قد أثارت الكثير من الاهتمام، فقد يكون من الضروري، بالمقابل، الوقوف على حالة الثقافة العربية في المجتمعات الغربية. وإذا كان من المؤكد أن دخول عصر الاتصالات والمعلومات قد أفضى إلى وضع ثقافات العالم أجمع في بوتقة واحدة، وجعلها سريعة التفاعل فيما بينها تأثراً وتأثيراً، فما تأثير ثقافتنا في ثقافات الغرب؟ وما موقف الغربيين منها باختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم ومشاربهم؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها مما له علاقة وثيقة بالموضوع تحاور «الفيصل» في هذا اللقاء الباحث الجزائري الدكتور عبد الرزاق قسوم، نظراً لما له من باع طويل في التصدي لهذه المسألة بحكم توليه عدة مناصب هامة في هذا الصدد، حيث تولى سابقاً منصب نائب عميد المعهد الإسلامي لمسجد باريس، ولكونه أيضاً واحداً من أبرز الأعضاء المؤسسين لجمعية الدفاع عن اللغة العربية في الجزائر التي تأسست عام ١٩٨٩م.

موقف الأوروبيين

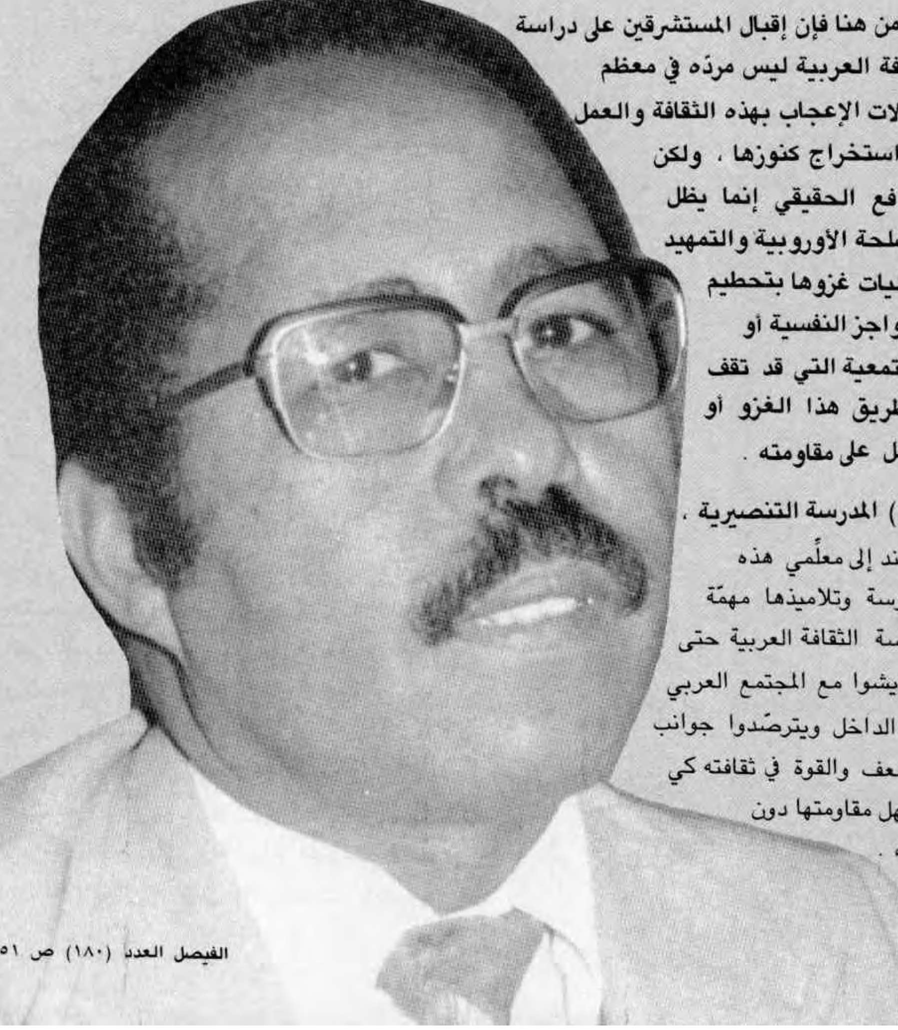
● كيف تقوّمون الموقف الراهن للأوروبيين من الثقافة العربية .. وهل هو موقف قبول واستحسان أم رفض واستهجان ؟

● يتوزّع الأوروبيون من حيث تعاملهم مع الثقافة العربية على سلّم من التصنيف يجعلهم مدارس متعدّدة . ويمكن القول إن المدارس الفكرية الأوروبية المتعاملة مع ثقافتنا تحددها اتجاهات ثلاثة :

(١) المدرسة الاستشراقية أو ذات الدراسة الإسلامية المتخصّصة حسب تعريفها المعاصر، وهي تلك التي تتّخذ من التراث العربي مادة للبحث والتنقيب في محاولة لفهم المجتمع العربي من داخل بنيته النفسية والاجتماعية .

وهذا الاتجاه، وإن اتخذ لنفسه غطاء المعرفة ، وركب إلى ذلك منهجية البحث العلمي كأداة فإنه يظل في خباياه وأهدافه مدفوعاً بأغراض سياسية، إذ إنه غالباً ما توظّف نتائج بحثه من طرف السياسيين والعسكريين أثناء وجودهم المادي أو المعنوي داخل مجتمعاتنا.

ومن هنا فإن إقبال المستشرقين على دراسة الثقافة العربية ليس مردّه في معظم الحالات الإعجاب بهذه الثقافة والعمل على استخراج كنوزها ، ولكن الدافع الحقيقي إنما يظل المصلحة الأوروبية والتمهيد لعمليات غزوها بتحطيم الحواجز النفسية أو المجتمعية التي قد تقف في طريق هذا الغزو أو تعمل على مقاومته .



(٢) المدرسة التنصيرية ، وتسند إلى معلّمي هذه المدرسة وتلاميذها مهمّة دراسة الثقافة العربية حتى يتعايشوا مع المجتمع العربي من الداخل ويترصّدوا جوانب الضعف والقوة في ثقافته كي تسهل مقاومتها دون عناء .

وأغراض هذه المدرسة جليّة لا تحتاج إلى من يزيل عنها الغطاء ، فهي تفضح أهدافها بالأدوات المستخدمة وبالقوى الخفيّة الكامنة ، وتنحصر في **تنصير الأطفال العرب الضعفاء متى أمكن ، وإدخال البلبلة والتشكيك في قلوب الكبار وعقولهم حتى يتبيَّن لهم أن شعار الانتماء خرافة ، والدعوة إلى الوحدة تعصّب ، وتكون النتيجة ألا يصبح هؤلاء مسيحيين ولا يبقوا مسلمين** .

والأمثلة كثيرة للتدليل على ذلك . فالطعن بالقرآن وانتمائه الإلهي ، وأصالة النبوّة ، ومحاولة تزييف التاريخ العربي ووقائعه ، كل ذلك يدخل ضمن مسلسل قامت وتقوم به المدرسة التنصيرية في المجتمع العربي ، مما يؤكد الموقف العدائي في منطلق هذه المدرسة وأهدافها.

(٣) مدرسة العلم للعلم، ونسمح لأنفسنا بتسميتها كذلك بالرغم من قلّة عدد الأوروبيين الذين اقبلوا على دراسة الثقافة العربية من أجل استخراج ما تحتويه من كنوز وأسرار علمية ، يحدوهم في ذلك حب ناجم عن الإعجاب بسجايا الإنسان العربي وأخلاقه. إن هذه المدرسة موجودة ، وقد أخذت تنمو وتتضاعف اليوم . وأهم مزاياها الموضوعية التي تكمن في إنصاف العرب في تاريخهم ومواقفهم ومعتقدهم. ولقد انعكست هذه النتائج وتبلورت في تأسيس الجمعيات واللجان الرافعة لشعار الصداقة العربية والدفاع عن ثقافة العرب وقضاياهم العادلة.

النظرة الازدواجية

●● كيف تفسِّرون النظرة الازدواجية للأوروبيين نحو الثقافتين العربية والإسلامية ؟

● ربما كانت قلّة قليلة منهم فقط هي التي تفصل بين هاتين الثقافتين، على أننا نرى بأن المتخصّصين من الأوروبيين يدركون أن الثقافة العربية دون البُعد الإسلامي قاحلة جرداء ، والثقافة الإسلامية دون اللغة العربية خرساء عمياء .

وهكذا وحَّد الأوروبيون بين العرب والمسلمين عن علم ووعي، وجزَّأنا نحن أنفسنا عن جهل وغباء . فالجامعات والأقسام المتخصصة في الثقافة الشرقية تمثِّل الدراسات العربية الإسلامية فيها القسم الأوفر من الاهتمام لأنها في تقويم الأوروبيين للثقافات الشرقية تمثل العمود الفقري لهذه الثقافات والمفتاح الأوحد لدخول العقل العربيّ والقلب الإسلامي والعيش داخل مجتمعه بسلام .

مكانة الثقافة العربية في أوروبا

●● إلى أي حد تتمتّع الثقافة العربية في أوروبا باستقلالها عن الأيديولوجيات السائدة هناك ؟

● يخطىء من يعتقد أن في أوروبا أو في أي جزء من العالم اليوم معرفة أو علم غير خاضع لأيديولوجيات معيَّنة. فلا حياد في المعرفة مادامت الأيديولوجيات هي التي تضع معالم مناهجها وتحدِّد بطريقة ما أهدافها ومقاصدها.

ويزداد الأمر وضوحاً عندما تتعلّق القضية بالثقافة العربية ، وفي أوروبا بالذات ، ذلك أن محاولة الاحتواء المرصودة لهذه الثقافة ، والشعور بالخوف منها ، دفع الأوروبيين إلى تنسيق الجهود من أجل تنشئة تلاميذ مستغربي الهوية والفكر ، كامتداد وتجديد للمستشرقين القدامى الذين افتضح دورهم ، وأصبحت الحاجة ماسّة إلى تجاوزهم ووضع البدائل لهم .

ولا أدل على ذلك من بروز مفكِّرين مستغربين يتعاملون مع الفكر العربي الإسلامي من قناعات رأسمالية أو ماركسية أو وجودية أو ماسونية . وكل ذلك تحت راية التحرّر والتقدّم ، وهذه إحدى نتائج **الاحتواء** التي مارستها وتمارسها الأيديولوجيات السائدة في أوروبا على الثقافة العربية هناك .

> «المتخصصون من الأوروبيين يدركون أن الثقافة العربية دون البعد الإسلامي قاحلة جرداء، وأن الثقافة الإسلامية دون اللغة العربية خرساء عمياء»

الترجمة ونقل ثقافتنا

●● هل من الأجدى أن ننقل ثقافتنا العربية إلى اللغات الأجنبية عن طريق المترجمين الغربيين أم ينبغي أن نضطلع بها نحن ؟

● يقول المثل العربي (ما حك جلدك مثل ظفرك، فتولّ أنت جميع أمرك)، وأعتقد أن هذا المثل أكثر ما يكون انطباقاً على هذه المسألة.

فإذا كان **المثل الإيطالي يقول بأن كل مترجم كذَّاب فإن من يكذب على نفسه سيكون أقل كذباً ممن يكذب عن غيره** . ومهمة الترجمة شاقة جداً ، فهي ليست مجرّد جملة تقنيات تفضي إلى استبدال عبارة بعبارة ، أو مصطلح بما يقابله ، ولكنها تتطلب قبل كل شيء الإلمام بالثقافة التي ننقل عنها والتعمّق في مقوّماتها اللغوية والنفسية والاجتماعية إضافة إلى تقنيات اللغة المنقول إليها .

ولدينا في الثقافة العربية اليوم من يملك هذه الخبرات ، ويمكنه أن يقدم الكثير في ميدان الترجمة ، ولكن العملية ينبغي أن تأخذ شكل تنظيم عربي منسّق إذا أردنا لها أن تكون ناجحة وأن تكون نتائجها في مستوى الدور الحضاري المنوط بثقافتنا .

دور النشر الأوروبية

●● ما تقويمكم للدور الذي تقوم به دور النشر في أوروبا في مجال النشر باللغة العربية ؟

● إن الظاهرة اللافتة للنظر في ميدان الطباعة العربية في أوروبا تتمثَّل في تكاثر دور النشر من يوم لآخر. ولقد ساعد على ذلك مجموعة عوامل يمكن إجمالها فيما يلي:

■ لا حياد في المعرفة ما دامت الأيديولوجيات تضع معالم مناهجها وتحدد أهدافها.

١ ـ الحرب اللبنانية وما خلّفته من مخاطر وتهديدات على أمن المثقفين والعاملين في حقل الطباعة ، مما دفع بعضهم إلى اللجوء إلى أوروبا طلباً للاستقرار والاستمرار.

٢ ـ العناية بالكتاب العربي في أعقاب ما يعرف بالصحوة الإسلامية وما صحبها من أحداث سياسية انعكست آثارها على الغرب في أحيان كثيرة مثل **قضية الرهائن** ، **والحرب العراقية الإيرانية وحرب لبنان** ، **والقضية الفلسطينية.** كل ذلك علاوة على التطورات العالمية الأخيرة أدت إلى جذب الاهتمام أكثر نحو الواقع العربي والإسلامي في أوساط الرأي العام الأوروبي فطغى بذلك الكتاب السياسي على باقي ألوان المعرفة الأخرى.

٣ ـ التسهيلات الممنوحة لدور النشر والمطابع للاستقرار في أوروبا.

وهذه العوامل كلها مكّنت من إحداث نهضة ثقافية عربية مزدهرة ناهيك عن أن أكبر المجلات والصحف العربية تطبع اليوم في أوروبا.

موقف المثقفين العرب

●● كيف يتعامل المثقّفون العرب مع هذه الوسائل ، وما موقفهم منها؟

● هناك صنفان من المثقّفين العرب ممن يتعاملون مع هذه الوسائل . ويتمثّل **الصنف الأول** بالمهاجرين العرب الذين حكمت عليهم ظروف مهنية أو اجتماعية أو سياسية بالعيش في أوروبا ، لذا فهم ينظرون إلى وسائل النشر العربية الموجودة في أوروبا كوسيلة فعّالة تُسهم في تعميق الوجود العربي ، وتحصين الذات العربية ، وبالتالي نشر ثقافتهم ، والتعريف بها لدى الرأي العام الأوروبي . وهم يتفاعلون مع هذه الوسائل بتقديم الدعم المادي والمعنوي لها بوصفها علامة بارزة لتجسيد الثقافة العربية في أوروبا.

أما **الصنف الثاني** من المثقّفين المهتمين بما يطبع وينشر في أوروبا فهم يعيشون في العالم العربي أو الإسلامي ويجدون صعوبات جمّة في نقل الخطاب العربي إلى الرأي العام عبر وسائل الطباعة في بلدانهم بسبب الرقابة فيلجؤون إلى نقل إنتاجهم إلى أوروبا. وهكذا يصبح تعامل المثقفين العرب مع دور الطباعة هذه وسيلة من وسائل ديمومتها وصمودها .

نقل معاني القرآن الكريم

●● ما رأيكم في المحاولات التي بُذلت حتى الآن لنقل معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ؟

● هناك حقيقة علمية يتّفق عليها الجميع وهي أن **القرآن الكريم** لا يترجم، بل يمكن نقل معانيه من لغته العربية إلى اللغات الأجنبية . ولقد نجحت بعض هذه المحاولات وفشلت محاولات أخرى.

ولو قصرت الحديث عن هذه الترجمات إلى ما تعلّق منها باللغة الفرنسية لقلت إنها اختلفت قوّةً وضعفاً ولم تنجح في معظمها ، إذ إن كلاً من **بلاشير و خازمرسكي و دونيز ماسون وجاك بيرك** من الغربيين، **وحميد الله والشيخ حمزة أبو بكر والتجاني والصادق كشريد** من المسلمين بذلوا جهوداً كبيرة للاقتراب من معاني القرآن الكريم . ولقد فشل الأوروبيون لأنهم لم يكونوا يملكون الدعامة الحقيقية لذلك وهي الروح الإسلامية . أما المترجمون المسلمون فقد وفّقوا إلى حد ما ، وإن كنت أضع ترجمة **الشيخ أبي بكر حمزة** في المقدمة من حيث رشاقة الأسلوب الفرنسي والتعاليق المصاحبة للمعاني وتأتي بعدها ترجمة **التجاني** ثم **الطارق كشريد** ثم ترجمة **حميد الله** .

التقصير العربي

●● ألا ترون أن هناك تقصيراً عربياً كبيراً في العناية بالمستوى الثقافي للمغتربين العرب في أوروبا والاهتمام بالحفاظ على هويتهم الثقافية ؟

● إنني أسمح لنفسي بأن أقول في هذا الصدد إن قضية المغتربين العرب في أوروبا هي اللعنة التي ستظل تلاحق الضمير العربي والإسلامي حتى يستيقظ . فهؤلاء المغتربون وأبناؤهم هم قطعة من قلب الوطن العربي والإسلامي زرعتها ظروف معروفة في قلب أوروبا حتى أصبح هؤلاء يمثّلون بالنسبة للجميع **(الشعب المهمّش)** الذي لم يمكّنه انتماؤه من الاندماج في المجتمع الأوروبي ، ولم تسعفه أمّته بمساعدته على الاحتفاظ بهويته وأصالته .

وإذا كانت مسؤولية هذا الوضع حضارية جماعية يتحمّل عبئها كل عربي ، فإن هناك مسؤولية مباشرة تلقي بثقلها الوطني بالدرجة الأولى على بلدان هؤلاء المغتربين كما هو الحال بالنسبة لبلدان المغرب العربي .

إنه نداء الضمير الذي نوجّهه إلى كل حكومة ومنظّمة وهيئة من أجل نجدة المغتربين العرب ببناء المدارس لأبنائهم ، وإيجاد المصلّى لشعائرهم مع ما يتطلّبه ذلك من معلّمين وواعظين وكُتّاب وموظّفين

والأمل معقود على الضمائر الحيَّة في أنظمتنا وأمتنا عساها تهبّ لتفادي ذوبان الملايين من أبنائنا التائهين في شوارع أوروبا . والله يوفقنا إلى ما فيه خدمة أمّتنا وصلاح شعبنا وعزّة ثقافتنا وعقيدتنا، إنه سميع مجيب.

د . عبد الرزاق قسوم

في سطور

ـ ولد عام ١٩٣٣ م في مدينة المغيّر، ولاية الوادي، الجزائر.

ـ يحمل ليسانس الترجمة والفلسفة ودبلوم الدراسات العليا في الفلسفة من جامعة الجزائر، كما يحمل ماجستير الفلسفة من كلية الآداب في جامعة القاهرة، ودكتوراه الدولة في الفلسفة من جامعة السوربون.

ـ من أبرز مؤلفاته : «عبد الرحمن الثعالبي» و«مفهوم الزمن في فلسفة أبي الوليد ابن رشد» وصدرا في الجزائر عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٧ على التوالي، إلى جانب كتب أخرى.

ـ أستاذ كرسي في معهد الفلسفة بجامعة الجزائر، وسبق أن تولى الأمانة العامة للاتحاد العام للمترجمين في بلاده بين عامي ٨٠ ـ ١٩٨٥ ، ومنصب نائب عميد المعهد الإسلامي لمسجد باريس (٨٤ـ١٩٨٧) ومنصب الأمين العام للمجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر (٨٦ ـ ١٩٨٩).

ـ يعدّ من أبرز مؤسسي جمعية الدفاع عن اللغة العربية في الجزائر وهو عضو فيها.

ومن نشاطاته الأخرى الإشراف على برامج توجيهية وتثقيفية في الإذاعة والتلفزة الجزائرية.

اللغة العربية
بين مكر الأعداء وتقصير الأبناء

بقلم: محمد بن علي بن جبرة

لقد كانت اللغة العربية هدفاً لضربات أعداء الإسلام في الشرق والغرب ، ذلك أن ضربها هو ضرب للقرآن . وهذا ما يؤكده قول الحاكم الفرنسي للجزائر : «يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم..» . فالإسلام هو القرآن ، ولا حياة للأمة الإسلامية إلا بالقرآن ، ولا شك أن اللغة العربية الصحيحة هي الوسيلة الأولى لفهمه وخدمته وتبليغه ، ذلك أن القرآن نزل بلغة العرب ، ومن هنا استمدت هذه اللغة قداستها وشرفها الرَّفيع ، بعدما وفر الله لها في تدرج تاريخها الحضاري كل أسباب الحياة والشمول والمرونة والمطاوعة والاكتفاء الذاتي .

اهتمام المسلمين بلغة القرآن

كان حملة الإسلام في الوقت نفسه حملة للعربية ، فبها وحدها يستطيعون نقل الإسلام الحقيقي إلى الآخرين ، ذلك أن الدين الإسلامي الذي حملوه ليس مجرد عقيدة وتشريع ومبادىء فحسب ، بل هو معجزة فنية لغوية وفكرية تحدت العرب في مختلف العصور . فلا نعجب إذا رأينا الاهتمام الكبير من علماء المسلمين بلغة القرآن الكريم .. ولمسنا اعتزازهم وفخارهم بها ، حتى راحوا يذبُّون عنها كل شائبة ويبيِّنون خصائصها وجمالها.. فازدهرت العلوم اللغوية وبزغت في سماء العلم أسماء رجال أمثال : **الخليل بن أحمد ، سيبويه، أبو علي الفارسي، ابن جني، ابن فارس، السيوطي، والثعالبي..** فاستوفت اللغة على أيدي هؤلاء العلماء وغيرهم جميع جوانبها النحوية والصرفية والصوتية والبلاغية.

لقد كان للمسلمين الأوائل من الخصال ما مكنهم من المحافظة على اللغة العربية وفرض سلطتها وقوتها واحترامها ، ونشرها في آفاق بعيدة خارج موطنها حتى غدت لسان الأقوام الذين دخلوا في دين الله أفواجا .

ولقد اكتسحت العربية لغات العديد من الأقوام ، فسقطت أمامها **السريانية والقبطية والبربرية** .. واستقر في نفوس هؤلاء أن العربية من الدين وفهمها فهم له ، بها يؤدي المسلم عبادته ، وبواسطتها يتلو كتاب ربه . ولا يعني هذا أنها قاصرة على هذا المجال فقط ، ولكنها لغة شاملة وغنية ، فهي لغة مختلف العلوم .

ولا يخفى أن لغتنا العربية هي التي أضاءت للغرب مسراه من ظلمات العصور الوسطى إلى عصور النهضة والعلم والتقنية. وقد سايرت التقدم العلمي وأخذت دورها في مدارس العلوم المختلفة واستوعبت مصطلحات التقنية الحديثة .

ولكن مما يؤسف له أن بعضهم لايزال يردد مقولات خاطئة ، فيقولون إن اللغة العربية بعيدة عن حياتنا المعاصرة ، وأن العربية لغة للدين وليست لغة للعلم ، ولذلك فإنها عاجزة عن استيعاب علوم العصر . ثم إن المتصفح للوضع العربي الرَّاهن يرى أن معظم الجامعات في الوطن العربي والإسلامي تدرِّس أبناءها العلوم بلغة أجنبية وبخاصة في **الكليات العلمية**.. وكأن اللغة العربية لا تصلح أن تكون لغة العلوم كما يروج لذلك الأعداء في الداخل والخارج .

المؤامرة على اللغة العربية

المؤامرة على اللغة العربية ما تزال مستمرة لم تتوقف ، إنها تلبس ثوب البحث العلمي حيناً، وثوب التلاقح مع الحضارة الأخرى حيناً آخر.

إن اللغة العربية تواجه صراعاً في وقتنا الراهن، صراعاً ربما كان أشد وأعنف ما واجهته بسبب الجهالة بحقيقة وواقع اللغة وماضيها، وكذلك الهزيمة النفسية التي يعانيها بعض المثقفين في الوطن العربي نتيجة لما يرى من التخلف المادي بين العرب بالنسبة لغيرهم من أمم الغرب. هذه الهزيمة التي تجعل الفرد يشك في كل ما يتصل به مستصغراً له، وعلى النقيض من ذلك نراه معجباً بكل وارد وإن كان قبيحاً؛ ثم بسبب التقصير الواضح من كثير من المختصين في علوم اللغة العربية في رعاية وتبيان الجانب الذي يمكِّن هذه اللغة من الظهور في ميدان الصراع الذي فرض عليها، لذلك بقيت جهودهم متوارية لا يعرفها إلا من يطلبها بعد شيء من العناء والوقت الطويل.

كذلك نجد مشكلة عدم توحيد الجهود التي يبذلها الغيورون على اللغة العربية لمتابعة الجديد من المخترعات بالتعريب والترجمة والجديد في ميدان العلوم ومصطلحاتها ، حتى أدَّى ذلك مثلاً إلى تعدد البديل للكلمة الأجنبية بتعدد الجهات التي تولت ذلك ، فكلمة «**كمبيوتر**» ترجمت إلى **الحاسب الآلي** ، **والحاسوب** ، **والرَّتَّابة** ، وهذا له أثره في عدم استقرار البديل على ألسنة الناس .

كما اتخذت المؤامرة على اللغة العربية ثوب الصراع بين **الفصحى والعامية** عندما زاحمت العامية الفصحى على ألسنة الناس وفي **وسائل الإعلام** حتى إننا أصبحنا نسمع من حين لآخر من يدعو إلى استبدال الفصحى بالعامية .

والواقع أن انحدار مستوى اللغة العربية على ألسنة كثير من المتكلمين لا يرجع إلى مزاحمة العامية فقط ، ولكن يرجع إلى أسباب كثيرة ، من أهمها ، توقف القارىء العربي عن متابعة النصوص العربية الجيدة ، كما أن **المناهج الحديثة لتدريس اللغة العربية** كرست الغربة التاريخية للدارس والقارىء العربي ، فلم يعد التذوق السليم هو الأساس الذي يعتمد عليه الدارسون في تقديم النصوص لقرائهم .

علم اللغة الحديث وخطره

عرف الناس علم اللغة الحديث على يد العالم السويسري «**فيردينانددي سوسير**» عندما ظهر كتابه «**محاضرات في علم اللغة العام**» بعد وفاته سنة ١٩١٧م . وأبحاث هذا الكتاب تنبع من اللغات القديمة والحديثة ، وقد كانت أتم الآراء التي جاء بها «**سوسير**» فاتحة لدراسات ومناقشات واسعة لمن جاؤوا بعده سواء خالفوه أو تابعوه في هذه الآراء من بينها:

- **تفريقه بين مصطلحين لغويين اللغة والكلام** . فاللغة هي الظاهرة المرتبطة بعقل المجتمع ، وهي مجموعة قوانين وقواعد مختزنة في ذهن أصحابها ، والكلام هو النشاط الفعلي الذي يتمثل في الأصوات المسموعة .
- **تفريقه بين طريقتين في تناول المادة اللغوية ، هما الدراسة «السنكرونية» والدراسة «الديكرونية» أو الوصفية والتاريخية** .
- **محاولة وضع القواعد العامة لجميع اللغات** ، وإيلاؤه الأهمية الكبرى للكلام المنطوق وتفضيله على الكتابة .
- **عدم المفاضلة بين لغة وأخرى** .

ولقد انتقلت هذه الأفكار والمفهومات والنظريات اللغوية إلى بلادنا على يد المستشرقين وتلاميذهم ، أو الدارسين في الجامعات الغربية . وفي حين دعا هؤلاء إلى ضرورة إفادة العربية من هذه المناهج ، كان المتشككون في مثل هذه النظريات الوافدة يرون أن هذا الضوء إن هو إلا تلك النار المستعرة المستعدة لأكل هذا التراث وإفساد تلك اللغة ، ورأوا أن فيها تحدياً حقيقياً ، وهذه حلقة في سلسلة الأخطار التي رصدها الأعداء لمواجهة العربية لغة القرآن الكريم .

إن علم اللغة مثله مثل جميع فروع العلوم الاجتماعية التي وفدت على معاهد العلم في البلاد العربية كعلم الاجتماع ، النفس ، التربية... لابد أن تحظى بالدراسة والتمحيص والغربلة حتى تساير عقيدة العربي ومقوماته التاريخية ومنهجه في الحياة .

النهوض بالعربية ونشرها

إذا كان المسلمون من غرب آسيا وشمال افريقيا قد استعربوا بالإسلام ، فإن تعميم ذلك على سكان الأرض متعذر ، وكان يجب على العرب أن يبذلوا جهوداً كبيرة في توسيع دائرة العربية حتى تجتذب الهنود والأتراك والفرس والأندونيسيين.. ممن دخلوا في دين الله أفواجا .

والعرب اليوم يمثلون حوالى سدس المسلمين فقط ، وواجبهم تعليم لغتهم لإخوانهم في العقيدة ، بل نشرها في أقطار الأرض كلها لأن رسالتهم عالمية وقد فرض عليهم أن يمهدوا الطريق إليها.

إن انتشار العربية في الداخل والخارج والنهوض بها يمر عبر مقومات وقنوات نذكر منها:

(١) العمل الجاد والدؤوب على تبصير الناس بضرورة الاهتمام باللغة العربية والإقبال على تعلمها والعمل بها في أي مكان كان، في قاعة المحاضرة، أو المكتب، أو المعمل.. وتحقيق ذلك يقتضي وضع خطة عمل مستمرة تعمل على توعية الناس بهذه الضرورة.

(٢) إن اللغة العربية لغة متشعبة القواعد ، وتعليمها يحتاج إلى جهد كبير ، فعلينا أن نخترع طرقاً لتيسير قواعدها وضبط أصواتها . ونحن نرى أن الانجليز في عصرنا يفعلون العجب لتعميم لغتهم ويبتكرون الحيل الطريفة لتحبيبها إلى النفوس ، حتى أصبحت الإنجليزية لغة العالم ولغة العلم .

(٣) إظهار ما لدى الجهات العلمية من جهود طيبة في ميدان **الترجمة والتعريب** بعد تنسيقها وتنظيمها ، ثم عرض تلك الجهود على القارىء العربي للاستفادة منها .

(٤) ينبغي أن ننشىء الأبناء على حب القراءة ، ليختزن الطفل في نفسه قوالب التعبير الفصيح ، وتنسج في خياله الصور الجمالية لألفاظه وتراكيبه ، مما يجعله بعد ذلك يستقبل قواعد العربية ويستوعبها ويطبقها في يسر وسهولة .

(٥) التحرر من التسلط اللغوي في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا ، هذا التسلط الذي يجعل الشخصية العربية المسلمة تذوب في الشخصية الغربية ، فنجد من العرب من يعتبر الرقي والتقدم أن يكون حديثهم بأية لغة إلا العربية .

(٦) يحسن بوسائل الإعلام المختلفة ـ مكتوبة ومسموعة ومرئية ـ أن تعمل على تقديم البرامج الخاصة التي تعرض بجلاء ما قدمته اللغة العربية في مختلف العصور للعلوم والآداب.. ويتعين على جميع القادرين من المختصين في اللغة العربية أن يسهموا في إعداد هذه البرامج بكل ما يستطيعون من خبرة وجهود .

(٧) ترغيب الشباب في التخصص في علوم اللغة العربية إضافة إلى تعلم بعض اللغات الحية التي أصبحت مصدراً لكثير من المعارف التطبيقية ، وهذا الأمر لا يستطيعه كثير من الناس . فهو بحاجة إلى مقدرات عالية وجهود كبيرة ووقت طويل .

وأخيراً ، أقترح إنشاء هيئة موحدة على مستوى العالم العربي تتولى متابعة كل جديد في ميدان العلوم الحديثة الصادرة من غير البلاد العربية ، وذلك لتقوم بدراسته ووضع البديل العربي موضعه قبل أن يظهر إلى الناس ، كما تعمل على توحيد الجهود الفردية والإقليمية المبذولة لأجل تعميم العربية وتطبيقاتها .

وللحقيقة نقول إن **المملكة العربية السعودية** قد خطت خطوات طيبة في هذا الطريق ، مستلهمة من التوجيهات الملكية الكريمة المتتابعة حول العناية باللغة العربية والحرص على تطبيقاتها ، ونرجو أن تستمر هذه الجهود وتتطور باتخاذ خطوات تنظيمية وتوحيدية عالمية .

وبالرغم من مكر الأعداء وتقصير الأبناء ، فإن اللغة العربية ظلت ولاتزال شامخة باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. لأنها لغة كل العصور وكل العلوم وقبل ذلك فهي **لغة القرآن الكريم** ، الذي تكفل الله بحفظه حينما قال في كتابه العزيز : «**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**» (الحجر ٩) .

الرواية المغربية بين عامي (١٩٥٧-١٩٨٠م)

بقلم: محمد صوف

الخمسينيات

كان على المغرب أن ينتظر سنة ١٩٥٧م ليرى إطلالة أول عمل سردي طويل يعطي الانطلاقة للرواية المغربية . حدث ذلك مع ظهور رواية «في الطفولة» لعبدالمجيد بن جلون . ورواية «في الطفولة» هي قبل كل شيء سيرة ذاتية ، يسرد فيها المؤلف وقائع حياته مع ما يحيط بها من أحداث ومشاهدات أغنت ما قدمه من لوحات ، وقد كانت السيرة الذاتية ، على العموم ، تمثّل انطلاق الروائي في عالم الحكي ، حيث ينحصر المجهود في عملية استذكار لأحداث عاشها الكاتب ورصفها في قالب لغوي قابل لإثارة انتباه المتلقي .

إلا أن رواية **عبدالمجيد بن جلون** ظلّت العمل الوحيد لما يقرب من ثماني سنوات . بعدها ظهرت سلسلة من الأعمال الروائية لم تثر من الاهتمام ما يشحذ طموح كتّابها فآثروا الصمت بعدها. كاتب واحد استطاع أن يخترق الحصار برواية ، تدخل هي الأخرى ، في إطار السيرة الذاتية ، ويتعلّق الأمر بعمل **عبدالكريم غلاّب** الذي يحمل عنوان «**سبعة أبواب**» .

الستينيات

إذن ، جاء صحفي اسمه **عبدالكريم غلاّب** ، وأعطى عملاً مقبولاً ، رغم كونه لم يبرح الإطار الذي رسمه **عبدالمجيد بن جلون** . هي تجربة ذاتية عاشها الكاتب خلال فترة الاستعمار وصاغها بأسلوب يتجاوز بجودته ما قدّمه الروائيون الآخرون الذين أصدروا أعمالهم سنة ١٩٥٦م . وذلك راجع لكون **عبدالكريم غلاّب** يمارس مهنة الصحافة ، وبالتالي فإن قلمه لم يخنه في إعطاء عمل متماسك لا يشكو من هنات في اللغة والتراكيب ، ولا في رصف الأحداث وسردها ، الشيء الذي جعل من «**سبعة أبواب**» عملاً مقبولاً ومعقولاً .

لم يحظ بهذا الامتياز الكتّاب الآخرون . ولم يعط **اسماعيل البوعناني** ، **ومحمد بن التهامي** ، **وعبدالرحمن المريني** ، سوى أعمال تتّسم بنقصان مبين . لقد كانت روايات هؤلاء تشكو من غياب الوضوح في التعبير الناتج عن غياب الدراية ، ومن تفكّك في الأحداث والشخصيات الناتج عن غياب الدّربة، وهكذا لم تستطع رواية «**إنها الحياة**» **لإسماعيل البوعناني** ، ولا «**ضحايا حب**» **لمحمد بن التهامي** ، ولا «**أمطار الرحمة**» **لعبدالرحمن المريني** أن تصمد طويلاً وما لبثت أن اختفت .

وتأتي سنة ١٩٦٦م ليعود اسم **عبدالكريم غلاّب** إلى الظهور من جديد برواية أثارت هذه المرة كثيراً من الجدل بين مؤيد ومناهض ففرضت نفسها على تاريخ الرواية المغربية . والرواية المعنية بالأمر تحمل عنوان «**دفنّا الماضي**». رسم **عبدالكريم غلاّب** أحداث روايته هذه في إطار تاريخي ، وبالضبط في **حقبة الاستعمار** . وأضاف إلى هذا الإطار تأريخه لظروف من منظور سياسي معيّن . فكانت الرواية بذلك نشراً لايديولوجية الحزب الذي ينتمي إليه المؤلف «**حزب الاستقلال**» .

في السنة نفسها ، يكتب **أحمد البكري السباعي** رواية «**بوتقة الحياة**» ، ورغم كونها تفوق سابقاتها على مستوى التحكّم في اللغة، فقد لقيت بدورها تجاهلاً جعل الحديث عنها يكاد يكون منعدماً .

وفي سنة ١٩٦٧م، ظهرت كاتبة، كانت تعمل ممثلة بالإذاعة الوطنية ، وكتبت «**غدا تتبدل الأرض**» ، فازت هذه الرواية سنة ١٩٧٣م بجائزة في مسابقة نظّمها **حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية** ، لكن رواية **فاطمة الراوي** لم تستطع الصمود في معركة البقاء ولم تشفع لها الجائزة . في نفس السنة ١٩٦٧م ، يكتب **الأستاذ محمد عزيز الحبابي** رواية «**جيل الظمأ**» . ومحمد عزيز الحبابي أستاذ فلسفة. في رأسه تصطخب عدة أفكار وطروحات أراد أن يبلورها ويناقشها فصبّها في قالب روائي أثار بدوره الكثير من الانتقادات .

وتمر سنة ١٩٦٨م بيضاء ولا يظهر خلالها أي عمل . لكن عام ١٩٦٩م أعلن عن اسم معروف في القصة القصيرة يقتحم الرواية ويضيف الجديد . الاسم **خناثة بنونة** ، كاتبة هزّتها نكسة سنة ١٩٦٧م . كان الجرح غائراً رفض أن يندمل وكانت «**المنار والاختيار**» **أول رواية مغربية تتعرّض للقضية الفلسطينية** .كماكانت الرواية المغربية الأولى التي يبرز فيها تيار الوعي والمونولوج الداخلي عبر لغة كثيفة ، متأجّجة ، ومعبّرة .

وهكذا أعطت الستينيات تسع روايات، وأفسحت المجال لثلاثة تيارات جديدة، **الرواية الايديولوجية ورواية الأطروحة والرواية الملتزمة** . يمثل التيار الأول **عبدالكريم غلاّب** ، والثاني **محمد عزيز الحبابي** ، والثالث **خناثة بنونة** . أما الأعمال التي اكتفت بإغناء المكتبة المغربية على مستوى الكم ، فتدخل كلها في إطار **الرومانسية الميلودرامية** .

السبعينيات

هذا العقد ، سيتجاوز سابقيه على كل المستويات، وسيرى تفتّح رواية لا تزال تبحث عن ذاتها.

فمنذ بداية العقد ، ظهر اسم معروف على صعيد الثقافة العربية كمؤرخ ومفكّر بعمل روائي أعطاه عنوان «**الغربة**» . هذه الرواية التي صدرت سنة ١٩٧٢م أثارت عدداً كبيراً من التساؤلات حول فحوى العمل وما يرمي إليه الكاتب من خلاله .

لقد عرف القارىء المغربي حتى الآن أعمالاً روائية استوعبها دون عناء . لكنه ، أمام الغربة ، يقف عاجزاً عن فك طلاسم هذا العمل .. فالخيط الروائي ينسل من بين أصابع القارىء والقبض على مميزات الزمان والمكان كالقبض على الريح، فيبدو العمل مفككاً والركض نحو إجلاء غموضه دخول في متاهة تنتهي الرواية ولا تنتهي .

وقد أوضح النقّاد أن **عبدالله العروي** بهذه الرواية يعالج واقعاً مفكّكاً بعمل مفكّك ويحقق بذلك توافق الشكل والمضمون . وبعد سبع سنوات يعود **عبد الله العروي** برواية أسماها «**اليتيم**» ويعود بنفس الشخصيات ليدخل بها في متاهة جديدة كأنه يوقّع الجزء الثاني للرواية الأولى .

في سنة ١٩٧٢م يأتي اسم ليطبع الرواية المغربية بحضور دائم ومكثّف، ذلك هو **محمد**

زفزاف في **«المرأة والوردة»**، الرواية الأولى التي نشرت للكتاب يلاحظ حضور الثقافة الوجودية التي أثارت ضجّة في المغرب لفترة ما بعد **الحرب العالمية الثانية**، تأتي عندنا في المغرب عبر أعمال **محمد زفزاف** الذي كان طالباً في شُعبة الفلسفة قبل أن ينصرف عنها إلى الإبداع القصصي والروائي.

وفي سنة ١٩٧٤م، تأتي رواية **«أرصفة وجدران»** لتكرّس عالم «المرأة والوردة» والتأمّلات السائدة فيها والتركيز على التفاصيل الصغيرة الموحية. لكن سنة ١٩٧٨م، سنة **«قبور في الماء»** ستخرج **بمحمد زفزاف** مؤقتا إلى **الواقعية النقدية**. فيرسم بدقة علاج قرية تنتظر عودة صيادين أبحروا ولم يعودوا.. ثم تنتظر القرية أن يأتي صاحب مراكب الصيد ليعوّض الأُسر عن الغياب الذي لا رجعة فيه ويطول انتظار القرية إلى أن يقوم صاحب المراكب بدعم من السلطة بتنظيم أمسية يقرأ فيها القرآن الكريم، ويُدْعَى فيها للموتى بالرحمة، وتكون فرصة لقرية تعاني من سوء التغذية لتأكل طعاماً جيداً ولو لمرة في حياتها. وبعد هذه الرواية يعود **محمد زفزاف** سنة ١٩٨٠م، برواية **«الأفعى والبحر»** إلى عالمه الأول الذي شرع في رسمه عبر روايتيه **«المرأة والوردة»** و**«أرصفة وجدران»**.

تعرف سنة١٩٧٢م كذلك اسماً جديداً **مبارك ربيع**، الذي سيكتب خلال عشر سنوات الرواية الواقعية النقدية والرواية الأيديولوجية والرواية الواقعية التصويرية.

برواية **«الطيّبون»** التي فازت **بجائزة المغرب العربي للرواية** لسنة ١٩٧٢م، يصف مبارك ربيع عالماً لا يخلو من مساوىء، ومجتمعاً زاخراً بالمتناقضات والظلم. لكنه في **«رفقة السلاح والقمر»**، التي صدرت سنة ١٩٧٥م، ونالت بدورها **جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة**، يقوم بشبه روبورتاج يقتفي فيه أثر الجنود المغاربة الذين شاركوا في حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

وفي روايته الثالثة **«الريح الشتوية»**، التي ظهرت سنة ١٩٧٧م، يدافع ربيع عن قضية، فهو يرد على رواية كتبها **عبد الكريم غلاّب** سنة ١٩٧٢م تحت عنوان **«المعلّم علي»** وينفي خطاب عبد الكريم غلاّب الذي يرد ميلاد الحركة النقابية بالمغرب إلى الحركة الوطنية أيام الاستعمار ويقول إن الحركة النقابية نتجت عن ظروف عانى منها العامل المغربي الذي غادر أرضه في البادية ليصبح عاملاً في المصانع.



عبد الكريم غلاب

محمد عزيز الحبابي

محمد زفزاف

عبد الله العروي

أحمد حسن البقالي

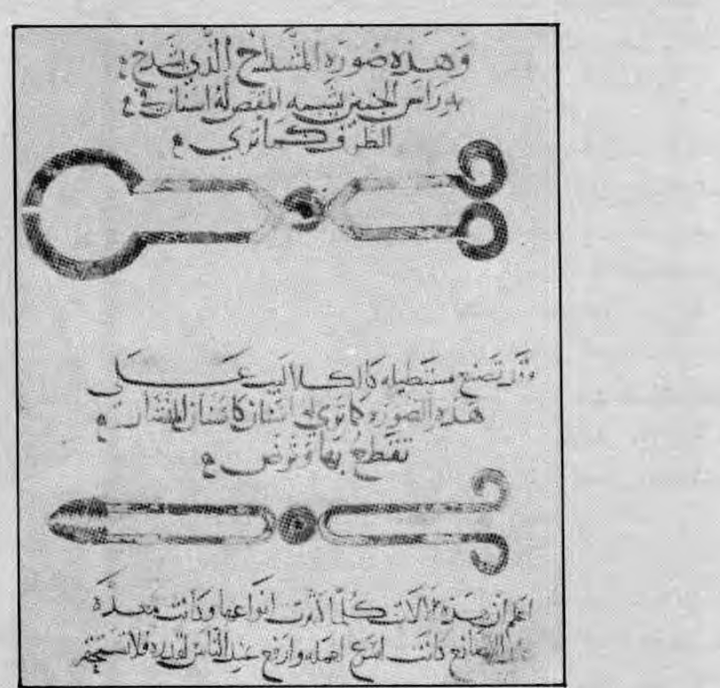
سنة ١٩٧٤م، تعرف دخول **محمد الإحسايني** إلى حلبة الكتابة الروائية برواية **«المغتربون»**. وعندما يكتب الإحسايني، ينتقد بدوره واقعاً تغيب فيه العدالة والمساواة من خلال حياة قرية منعزلة في جنوب البلاد، وفي السنة نفسها ظهر **«سعيد علوش»** برواية **«حاجز الثلج»** يحكي فيها دون أن يحكي شيئاً.. فهناك بطل يعيش داخل غرفة مغلقة تتوالى عليه الهواجس والهلوسات استقاها علوش من الرواية الجديدة الفرنسية ومزجها بمسحة «كافكاوية» وغيّب الوضوح والحدث والزمان والمكان.. هذا التيّار لن يختفي، بل سيتقوّى حضوره برواية **أحمد المديني** التي ظهرت سنة ١٩٧٦م وعنوانها **«زمن بين الولادة والحلم»**، ورواية **محمد عزالدين التازي** **«أبراج المدينة»** التي نشرت سنة ١٩٧٨م، في هاتين الروايتين يجد القارىء نفسه أمام لغة متينة متماسكة فقط. لكنه لا يعثر على الحدث ولا الشخوص ولا الزمان ولا المكان.

ويعود **محمد عزيز الحبابي** في سنة ١٩٧٤م، برواية تدخل هذه المرّة في إطار **رواية الخيال العلمي..** وكعادته ينطلق من فكرة فلسفية، فكرة الموت.. وكيف تتعامل معها فصائل بشرية من مختلف طبقات المجتمع.. الرواية يشي عنوانها بمضمونها **«اكسير الحياة»**. في الخيال العلمي، كتب أيضاً **أحمد عبد السلام البقّالي** سنة ١٩٧٦م روايته **«الطوفان الأزرق»** حيث تمتزج المغامرات بالاختراع العلمي وبالعبرة التي ينبغي استخلاصها في النهاية.

في هذا العقد، ظهرت إضافة إلى ما سبق روايات لكل من **أحمد البكري السباعي** تحت عنوان **«المخاض»** سنة ١٩٧٢م، و**محمد سعيد الرجراجي** بعنوان **«الهاربة»** سنة ١٩٧٣م وأحمد زياد، بعنوان **«بامو»** سنة ١٩٧٤م.. وهي روايات لم تضف جديداً على مستوى البحث ولكنها أغنت الرصيد المغربي في فن الرواية وساهمت في خلق التراكم، وكانت في أغلبيتها تتسم بالرومانسية التي لم يستطع الزمان أن يمحو آثارها بعد..

كما أن روايات تنتمي إلى الواقعية النقدية جاءت بدورها لتضاف إلى عدد الروايات المكتوبة حتى ذاك الوقت، لكن دون أن تثير اهتماما كثيرا، وهي روايات **«المهاجر»** **لعبد الرحمن الشريف الشركي** سنة ١٩٧٨م، و**«دهاليز الحبس القديم»** **للحمداني حميد** سنة ١٩٧٩م.

وهكذا، كان عقد السبعينيات ثرياً بالعطاء والتنوّع. فقد ظهرت فيه اثنتان وعشرون رواية.. وهو ارتفاع كميّ لا يستهان به وصلت نسبته مقارنة مع عقد الستينيات إلى ما يقرب من ٢٥٠٪.. وهو ارتفاع يكاد يضاعف انتاجات العقد السابق ثلاث مرات. علاوة على ذلك، أعطى اثني عشر اسماً جديداً أضافوا بدورهم تيارات جديدة إلى الأدب المغربي. وطبيعي أن هذه التيارات كانت موجودة في الأدب العالمي إلا أن هؤلاء منحوها جواز المرور إلى المغرب. ومن ثمة انطلق الروائيون المغاربة ولا يزالون نحو البحث المغني عن هوية للرواية المغربية تحمل بصمات متميّزة.. ومازال البحث جارياً تحدوه الرغبة في تحقيق الذات، ولعل ذلك سيتحقق في يوم من الأيام.



العرب وعقدة الخواجة في الطب

بقلم: د. محمد مروان النحاس

تمر أمتنا العربية اليوم بنهضة سريعة في شتى المجالات من التقدم والوعي الفكري كي تثبت للشعوب الأخرى أنها خير أمة أخرجت للناس. إلاَّ أن بعض البصمات السلبية من مخلفات السابق لا تزال مطبوعة في الأذهان وتتجلى بصور متعددة من بينها (عقدة الخواجة في الطب) أو الإعجاب المطلق والثقة العمياء بالطبيب الغربي على توافر الأطباء العرب الأكفاء في شتى الاختصاصات الطبية.

من المؤسف أن يكون رد فعل الطرف الآخر باطنه الاستخفاف وظاهره الابتسامات المصطنعة في كثير من الحالات التي شاهدتها بأم عيني ولا تزال تحز في نفسي ما حييت، أذكر منها الحالات التالية:

العربي الثري

ذلك العربي الثري الذي أحضر ابنه الصغير لمراجعة جراح الأطفال «الخواجة» في أحد مشافي الأطفال بلندن وذلك بعد مرور عدة أشهر على إجراء عملية جراحية له، وتشاء الظروف أن أكون موجودا معهم، وطلب مني الجرّاح باعتباري مساعده ولأني عربي أن أترجم الحديث المتبادل، وفي نهاية المقابلة طلب الأب مني سؤال الخواجة عن تاريخ ميلاده ولما سألته بدت على وجهه علامات الانفعال وقال مستغرباً: لماذا؟ فأجاب الأب بلطف: كي أبعث له هدية بهذه المناسبة السعيدة، فرفع الخواجة رأسه وهمس بصوت ساخر وبسمة مصطنعة: يا للسخافة. وأشاح بوجهه عنه امتعاضاً واستخفافاً، ثم غادر الأب المكان مطأطئ الرأس قبل أن يسمع ترجمة الجواب الذي صدّمني أكثر من هذا العربي الطيب القلب متذكراً الآية الكريمة: ﴿ **قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى** ﴾.

السخرية بالعرب

وتوجد حوادث أخرى شاهدتها في عدة مشافٍ أوروبية أثارت في نفسي لواعج الأسى والألم حول الصورة المشوهة عن العرب في أذهان الغربيين والدعاية الرخيصة التي يشيعها عنهم أعداؤهم،

فالحوار الذي دار بين طبيبين غربيين بأن يفتش الأول عن مخزون **«القات»** في فم كل مريض عربي، واقتراح الآخر إنشاء مرآب خاص بكل الوافدين من مرضى العرب، فأخذتني الحمية العربية وانطلق لساني شارحاً لهما أمجادنا التليدة في كل المجالات العلمية منها والطبية التي كانت الأساس الراسخ لحضارة عالمنا اليوم، وحينما كانت أوروبا غارقة في عصور الجهل والظلام وصلت حضارتنا إلى ذروتها من الرقي والتقدم العلمي على يد علماء العرب أمثال **ابن سينا**، **والزهراوي**، **وابن النفيس**، وغيرهم.

وهذا ريتشارد قلب الأسد حينما شنَّ حملته الصليبية أصيب بمرض فتَّاك عجز عن معالجته أمهر أطبائه ولم يبرأ منه إلا على يد ألد أعدائه **الناصر صلاح الدين**.

وأردفت قائلاً: يا صاحبيَ إن الأمة العربية تسير اليوم بخطىً حثيثة على دروب الحضارة بعد أن أزاحت عن كاهلها كابوس **الاستعمار** المقيت بشكل أثار إعجاب أمم العالم الأخرى، وعندنا من المشافي الحديثة ما نباهي بها الشرق والغرب، ومدننا لا تقل عمراناً عن كبرى مدن العالم تملأ شوارعها الفارهة ومساحاتها الحدائق الغناء.

موقف حكيم

ومن المواقف المملوءة بالحكمة والموعظة الحسنة بالنسبة لوجوب اعتمادنا نحن العرب على (كوادرنا) الطبية الرفيعة المستوى وبشهادة مشاهير الأطباء الغربيين، مكالمة هاتفية جرت بين وزير عربي وأستاذ لندني في جراحة الأطفال حول ولادة ابن

للوزير منـذ ساعات مصابـاً بتشوه خلقي في جهاز الهضم، ويحتاج إلى عمل جـراحي إسعافي ويـريد إحضاره له فقال الطبيب: معالي الوزير، أرفض أن أجـري العمليـة للطفل وفي عـاصمـة بلـدك زميلي الـدكتـور (اسم عــربي) جـرّاح أطفـال ذو شهـرة واسعة.

لم يقتصر إعجـابنـا بـالطبيب «الخواجـة» على سفر مرضانا إليـه بل تعدَّاه إلى استقدامه للعمل في ديـارنا بـالرغم من وفـرة (الكوادر) الطبيـة العربيـة المتخصصـــة في مختلف فـــروع الطب، إن لم نقل وكسادها في بعض الـدول على غرار دول أخرى من العالم.

إن كل طبيب أجنبي يعمل في وطننــا العـربي يغلق باب العمل في وجـه عدة أطباء عـرب أتراب له، مع العلـم بأن أفضلية العمل خـلال السنوات الأخيرة في أي بلـــد أوروبي هي لأطبـــائه أولاً، ثم لأطباء الدول الأخرى في السوق الأوروبية المشتركة، وعليـه تـرتب مغـادرة الكثيرين ممن لا ينتمـون إلى إحدى هذه الدول.

مشكلة اللغة وآثارها

إن الســواد الأعظـم من الأطبـاء الأجـــانب الوافديـن للعمل في بلادنا لا يلم باللغـة العربية، وهذا يؤدِّي إلى صعـوبات ومشكلات، المرضى في غنى عنهـا وخـاصـــة في بعض الاختصـاصـــات كـالهضميـــة والنفسيـة والعصبيـة التـي تعتمـد في التشخيص والمعـالجة على المحـادثـة المبـاشرة بين الطرفين، فبتعطل لغة الكـلام يصعب التفاهم مع المريض، وبـالتـالي قـد تضطـرب نفسيتـه وتنهـار أعصابـه داخل مشفى يشرف على تطبيبـه وتمريضه أجانب لا يستطيع أن يبثَّهم آلامه المبرحة وأحاسيسه المرهقة، وهو على فراش المرض في أمسّ الحاجة إلى كلمة طيبة تواسيه وتخفف عنه تباريح الألم، شاءت الأقدار أن يكون غريبا بين الغرباء في وطنه.

لهفي على تلك المريضـــة العجـوز التي تصرخ مستغيثة في سريـرها ليـلاً بالعويـل والبكاء بشكل يفطر القلب حيث كنت عـابراً في طـريقي إلى أحد أقسام مشفى عربي كنت أعمل فيـه، هرعت إليها مسرعاً فـوجدتها تلطـم وجهها نـائحة وأمـام باب غرفتهـا ممرضتان أجنبيتان تحاولان الاستفســار منها عما تشكو منه، وكلما حاولت إحـداهما الدنو منها بـادرتها المريضـة بـالصيـاح. تقـدمت منهـا وعلى وجهي مسحة من ابتسامـة مطمئنة هامساً بهدوء:

مـا بك يا حـاجة؟ فـانبسطت أساريـرها وهـدأت ثورتها النفسيـة وقالت بصـوت خافـت: الحمد لله الذي جمعني أخيرا بعـربي أبث له شكـواي، يا بني مرَّت عليَّ سـاعات أحـاول شرح ما يلم بي من آلام دون أن يفهمني أحـــد سـواء الطبيب المنـــاوب أو ممرضات الجناح فكلهم أجانب من الشرق والغرب لا يفهمـون العـربيـة، وصـــدق المثل: «مـا حك جلدك مثل ظفرك».

وتشترط بعض المشافي العربية عنـد التعاقد مع الأطبـاء العـرب أن يجيدوا اللغـة الإنجليـزيـة كي ينصهروا في بـوتقة (الكوادر) الأجنبيـة العاملـة فيها ليشكلوا همزة الوصل مع المرضى سواء في العيادات الخارجية أو داخل المشفى، نـاهيك عن سجلات المرضى التي يجب أن تكتب بالإنجليـزية إلاَّ الاسم فَيُكْتَبُ بـالعـربيـة، وإذا لم يكتـب على الغـلاف باللغتين فقد تحصل أخطاء يدفع المرضى ثمنها.

زرت مرة عيادة في مشفى لـلأطفال تضم عدة أطباء من جنسيات مختلفة، قالت أم طفل لطبيب أجنبي إن ابنهـا مصـاب بسعـــال حـاد فكتب لـه علاجا ضد الإسهال، ولكنها نبهته بالإنجليزية أن الطفل يشكو من **سعال** وليس من **إسهال** فاعتذر وغير الـوصفة. الغـريب في الأمر أن هـذا الطبيب يعمل في المشفى منذ سنوات عديدة ولا يزال يقع في أخطاء لغوية سماعية عديدة.

الحـــل

لقد زادت في السنوات الأخيرة أعـداد العناصر التمريضية الأجنبية العاملة في بعض الدول العربية بداعي النقص الواضح في (الكـوادر) العربية وهي مشكلة عالمية تسعى الأمـم الأخرى إلى حلها، ترى ماذا أعددنا نحن لها؟

حبـذا لو قمنـا بحملة تـوعية في شتى أصقـاع وطننـا العـربي بأن مهنـة التمـريض ذات أهـداف سامية ونبيلة تمامـا كمهنة الطب، وإذا كانت الأمة الإنجليزيـة تتغنى فخراً واعتـزازاً برائدة التمـريض **فلورانس نايتنجيل** فأمتنا كـان له قصب السبق في ميدان التمريض منذ **فجر الإسلام**، واعْتُبِر بابا من أبــــواب الجهــاد في سبيـل الله أثنــاء الغـــزوات والفتوحات الإسلامية.

ويمكن استدراك هذا النقص الحاصل بإنشاء العـدد الكـافي من مـدارس التمـريض ومعـاهـده على مختلف المستـــويـــات والاختصـــاصـــات، وذلك على ضوء دراسات إحصائية تقوم بها الجهات الصحيـة المعنيـة في الـوطن العربي بـالإضـافـة إلى التنسيق والتعـاون المشترك فيما بينها للاستفـادة من (الكوادر) العـربية في شتـى الاختصاصـات الطبية والمتوافرة في بعض الدول العربية إلى حد يفيض عن حاجتها بينما تفتقر إليها دول أخرى، وبهذا يتحقق عربيـاً نوع من الاكتفـاء الذاتي في المجـال الصحِّي ونتخلص على الأقل طبياً من عقدة «الخواجة».



مسرحية

الإمام الشجاع

من الأعمال التي تنشر لأول مرة .. تأليف : علي أحمد باكثير

سلار : يا سيدي السلطان هذا الشيخ ابن مخلوف قاضي المالكية يستأذن عليك .

السلطان : ماذا يريد مني ؟

سلار : يريد أن يكلمك في أمر ابن تيمية .

السلطان : يالي من هؤلاء الفقهاء... ألا يترك ابن تيمية في دمشق؟ ماذا يعنيه من أمره ؟

سلار : هل آذن له ياسيدي السلطان ؟

السلطان : ائذن له يا سلار لنرى ما يقول .

(يدخل ابن مخلوف)

ابن مخلوف : السلام على سيدي السلطان ورحمة الله وبركاته .

السلطان : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . خيراً يا ابن مخلوف .

ابن مخلوف : ماذا صنعت يا سيدي السلطان في أمر ابن تيمية ؟

السلطان : اما عندكم ما يشغلكم هنا في مصر غير أمر ابن تيمية ؟ ما شأنكم به ؟ إنه في الشام .

ابن مخلوف : الشام يا سيدي السلطان تحت حكمك فأنت مسؤول عما ينشر في الناس هناك من بدعه .

الناصر : أتحرضونني على ذلك الجريء الشجاع الذي قابل القائد التتري قازان يوم أقبل بجموعه ليغزو البلاد . فأنذره وتوعّده حتى أقنعه بالانسحاب فانسحب .

ابن مخلوف : لكنه مبتدع ضال مضل .

السلطان : إنى لا أعرف ما بدعته وقصارى ما أعلمه أن أهل الشام يحبونه ويجلونه وهو أهل لذلك فقد حماهم يوم قازان وأنقذهم من شره .

ابن مخلوف : هذه رسائل شيوخ العلم بدمشق تفيض بالشكوى من بدعته وتجعل التبعة علينا نحن في مصر إذا سكتنا عليه .

السلطان : إنما هؤلاء حاسدون وقد بلغني أنهم لا يقدرون على مناظرته فأرادوا أن يستعدوا السلطان عليه . افتحسده أنت أيضاً يا ابن مخلوف ؟

ابن مخلوف : كلا لا ينبغى أن احسده على ضلالته .

السلطان : ألا تخشى إن نحن أحضرناه إلى مصر أن يناظركم فيُفْحمكم

ابن مخلوف : بل سنُفْحمه ونريه الحجة .

السلطان : حسنا .. اكتب يا سلار إلى نائب السلطنة في دمشق أن يرسل الشيخ تقي الدين ابن تيمية على البريد .

سلار : سمعا يا سيدي السلطان .

- ٢ -

ابن تيمية : ماذا تقول يا نائب السلطنة ؟ كيف يسوغ لي أن اهرب إلى مصر اليوم ؟

النائب : هكذا ورد كتاب مولاى السلطان الناصر يا ابن تيمية .

ابن تيمية : أليس يعلم السلطان بأن خطر التتار قد عاد مرة أخرى يهدد البلد ؟

النائب : قد كتبت إليه بذلك .

ابن تيمية : أفأترك الشام فراراً من وجوههم لأناظر زيداً وعمراً في مصر ؟ اكتب للسلطان أن يحضر هو بجيشه إلينا بدلاً من أن يستدعيني لأرى تلك العمائم التي تعمل لغير وجه الله .

النائب : صدقت يا ابن تيمية .. نحن بحاجة إلى بقائك هنا لتثبّت قلوب الناس وتطمئنهم فقد بدا الهلع يسري في القلوب والتتار بعيدٌ بَعْد فكيف إذا اقْتربَتْ جموعهم ؟

ابن تيمية : اكتب للسلطان أن يسرع بجيشه وإلا فإنه مسؤول يوم القيامة عما يراق من دماء المسلمين وينتهك من حرمهم . قل له إن إبن تيمية يقول ذلك .

النائب : حالاً يا سيدي الإمام .

- ٣ -

(في الجامع الأموي

بدمشق .. همهمة المصلين وهم يسلمون من الصلاة)
السلام عليكم ورحمة الله ..
السلام عليكم ورحمة الله .

النائب : انظر يا ابن تيمية .. هذا غريمك ابن الزملكاني يريد أن يخطب الناس .

ابن تيمية : لعله يريد أن يندب الناس للاستعداد لجهاد التتار .

ابن الزملكاني : أيها الناس يا معشر المسلمين أصغوا إليّ يرحمكم الله . هاهي الأنباء قد وردت تترى بأن جموع التتار قد أقبلت تطوي البلاد لتغزونا مرة أخرى . فأين ما وعدكم به تقي الدين أحمد بن تيمية إذ زعم لكم يوم قازان أنه أقنعه بالانسحاب وأنهم لن يعودوا لغزوكم مرة أخرى .

النائب : ويله ماذا يقول عنك يا ابن تيمية ؟

ابن تيمية : دعه يتم حديثه .

ابن الزملكاني : لقد وثقتم بكلام ابن تيمية يومئذ فرفعتم مكانه ونسبْتم إليه فضل إنقاذكم من شر التتار وأغضيتم من أجل ذلك عن البدع التي خالف فيها جمهور العلماء من أهل السنة فهل أدركتم اليوم أنه إنما كان يخادعكم يومذاك ليتيح لحلفائه التتار فرصة أنسب للاستيلاء على بلادكم والتحكم في رقابكم ؟

« همهمة سخط واستنكار »

النائب : اردد عليه يا ابن تيمية .

ابن تيمية : أيها الناس . قد سمعتم ما قال هذا الشيخ عني فاسمعوا الآن ما أقول : لقد ظننت حين قام ليخطب فيكم أنه سيندبكم للاستعداد لملاقاة التتار وجهادهم فإذا هو ينسى خطر التتار ولا يذكر غير شيء واحد هو عداوته لي ليحرضكم عليّ . وإني أدعوكم يا معشر المسلمين ألا يشغلكم عن التفكير في جهاد التتار شاغل ولا يصرفكم عنه صارف . إياكم أن يحملكم الهلع على مغادرة دياركم كما فعلتم فيما مضى فتعينوا بذلك أعداءكم على أنفسكم . بل رابطوا فيها واستعدوا وأعدوا وثقوا بأن الله سيحميكم منهم وينصركم عليهم. وإن سلطانكم الناصر أعزه الله لقادم بجيشه من مصر عما قريب فأبشروا واطمئنوا .

ابن الزملكاني : (صائحاً) يا معشر الناس لا تصدقوا هذا المبتدع فإنما يأمركم بالبقاء في دمشق لتكونوا عبيداً للتتار . إنه سيعرضكم لنكبة التتار وينجو بنفسه .

ابن تيمية : سامحك الله . اسمعوا يا عباد الله . إني والله لأقاتلنهم معكم .. ولأكونن في مقدمتكم . لقد تعلمون أني ما ثقفت منذ صغري غير حمل الكتب والمحابر . غير أني قد تعلمت حمل السيف منذ قريب فاصنعوا اليوم مثلي واحذُوا جميعا حذوي .

أصوات : نحن معك يا ابن تيمية . اقتلوا ابن الزملكاني . اقتلوا هذا الفاسق .

ابن تيمية : (يصيح) كلا يا عباد الله إياكم أن تقتلوه . لا يحل لكم ذلكم بل كلوا أمره إلى الله يتولّ حسابه .

أصوات : إنه طعن في حقك وشتمك .

ابن تيمية : قد عفوت عنه وجعلته في حل مني .

– ٤ –

ابن تيمية : شكراً لله سعيك يا سيدي السلطان إذْ أسرعت فلبيت الدعوة .

الناصر : بوركت يا ابن تيمية والله إن الفضل في ذلك لراجع إليك ولا تحسبني غافلاً عما فعلت لتشجيع الناس هنا وتثبيت قلوبهم .

ابن تيمية : إنما كنت أبشر الناس بأنك ستنجدهم بجيشك .

الناصر : آه لو يعلم العلماء المحرّضون عليك عندنا في مصر أي رجل أنت .

النائب : أدركنا يا سيدي السلطان .

السلطان : ماذا وراءك ؟

النائب : انتشر في الناس اليوم أن هؤلاء التتار قوم مسلمون لا يحل قتالهم .

ابن تيمية : هذه إشاعة روّجها هؤلاء الباطنية المقيمون بيننا، إنهم لأشد عداوة لنا من التتار .

السلطان : يجب القضاء على هؤلاء الخونة .

ابن تيمية : ليس الآن يا سيدي السلطان .. حتى تفرغ أولاً من قتال التتار .

السلطان : أنتركهم هكذا يخذلون الناس وينشرون الفتنة في صفوفهم ؟

ابن تيمية : اطمئن يا سيدي . سأكفيكم أمرهم اليوم .. سأخطب في الناس وأبين لهم وجه الحق ..

– ٥ –

ابن تيمية : (يخطب) أيها الناس إنما أرجف بهذا عيون التتار بين ظهرانينا وجواسيسهم ليخذلوكم عن قتالهم.. إن هؤلاء التتار أقبلوا يسفكون دماء المسلمين وينتهكون محارمهم ويسلبون أموالهم فأي إسلام هذا ؟ إياكم والشك بعد اليقين أيها الناس خذوها مني كلمة . مجلجلة . لو رأيتموني في جانب التتار والمصحف في عنقي فاقتلوني . أيها الناس هذا جيش مصر قد جاء ليذب عنكم التتار فمن العار أن تدعوه يقاتلهم وحده .. لا يفر اليوم أحد من

هذا البلد إلا سأله الله يوم القيامة عن فراره فأركسه في نار جهنم . والذي نفسي بيده لئن صدقتموهم القتال لينصرنكم الله عليهم كما نصركم من قبل في عين جالوت ..

- ٦ -

(في مصر)

الناصر : ويحك يا ابن مخلوف . أجئت تهنئنا بسلامة الوصول من الشام وانتصارنا على التتار . أم لتحرضني على ابن تيمية .

ابن مخلوف : إننا نحمد الله يا سيدي السلطان على ما أيّدك به من النصر هناك وعلى ما أنعم به علينا من عودتك سالماً إلينا فمن تمام الشكر لله أن نذكرك بأن تنقذ الناس من فتنة هذا المبتدع ابن تيمية كما أنقذتهم من فتنة التتار .

السلطان : ويلكم .. لو رأيتموه في المعركة يقاتل التتار معنا هو واخواه وابناء عمومته ما قلتم هذا القول .

ابن مخلوف : هذه رسائل علماء الشام تستجير بنا من بدعته .

السلطان : إنهم يحسدونه على ما له من المكانة في العامة .

ابن مخلوف : الله اعلم بسرائرهم . ولكنا نحن العلماء هنا بمصر لا نحسده على شيء وإنما نشفق أن يفتن الناس ببدعته ونخشى أن تقع تبعة ذلك على مولانا السلطان .

السلطان : ليس أمامي إلا أن أدعوه للحضور إلى مصر لتناقشوه .

ابن مخلوف : حسبنا منك هذا يا مولاى السلطان .

- ٧ -

النائب : (في دمشق) قد بلغتك رغبة السلطان يا ابن تيمية ولكني لا أنصحك بالمسير إلى مصر .

ابن تيمية : لماذا ؟

النائب : العلماء هناك سيثيرون العامة عليك .

ابن تيمية : ولكن الناصر يعرفني .

النائب : سيضطر السلطان إلى مطاوعتهم إرضاءً للعامة إذا ثاروا عليك .

ابن تيمية : فإني أريد أن أهدي أولئك العامة إلى سبيل الحق . ولعل الله قد هيأ لي هذا السبب لأقوم بواجبي في هداية الناس هناك .

- ٨ -

ابن تيمية : مرحباً بك يا سيدي السلطان .. جئت تزورني في الحبس .

السلطان : القاضي حكم بحبسك ولا أقدر أن أعارضه فأثير العامة . فهل لك أن أطلقك فتعود إلى الشام.

ابن تيمية : أما الآن فلا . سأبقى هنا في مصر حتى أرى العامة وأهديهم .

السلطان : اسمع نصيحتي .. إنه ليعز عليّ أن تُحبس .

ابن تيمية : إن أحبس فقد حبس من هو خير مني في مثل ما حبست به .

السلطان : من ذا تعني ؟

ابن تيمية : الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ولقد كان يضرب ويعذب في الحبس أما أنا فقد أوصيتهم أنت بالرفق بي فوالله ما هذا بحبس وانه لمنزل خير من منزلي بدمشق

- ٩ -

سلار : استرح الآن يا سيدي السلطان فقد تعبت من استقبال المهنئين من الكبراء والعلماء .

الناصر : أرأيت يا سلار كيف جاء هؤلاء المنافقون يهنئونني اليوم ولعلهم صنعوا مثل هذا للجاشنكير إذ اغتصب مكاني أمس .

سلار : أجل يا سيدي السلطان إلا من عصم الله منهم وفي مقدمتهم ابن تيمية .

الناصر : نسيت أن أسألك عنه أين هو اليوم ؟

سلار : بالاسكندرية . نفاه إليها الجاشنكير بتحريض من الشيخ نصر المنبجي والقاضي ابن مخلوف وأشياعهما.

الناصر : ويلهم .. عبيد من غلب . والله إن قلامة ظفر ابن تيمية لتساوي عمائمهم ابعث من يحضره إلينا معززاً مكرماً.

- ١٠ -

الناصر : هيه يا ابن تيمية قد بلغني كل ما صنعت من أجلي .

ابن تيمية : كلا ما صنعت شيئاً من أجلك يا سيدي السلطان وإنما من أجل مصلحة الأمة والبلاد .

السلطان : فسيّان ذلك عندي . اسمع يا تقي الدين إني قد أمرت باحضار ابن مخلوف واضرابه من حسادك لأحكمك في أمرهم فاقترح ما تشاء من العقوبة لهم .

ابن مخلوف : أمن أجل أنهم صانعوا عدوك الجاشنكير أمس وسلموا عليه ؟ سامحهم يا سيدي السلطان فإنما فعلوا ذلك خوفاً منه لا حباً له .

السلطان : بل لأنهم عادوك أنت وآذوك .

ابن تيمية : تريد أن تعاقبهم من أجلي ؟

السلطان : نعم .

ابن تيمية : لا تفعل فقد سامحتهم وجعلتهم في حل مني . وانهم بعد لشيوخ العلم أن بطشت بهم فلن تجد مثلهم .

السلطان : والشيخ نصر المنبجي الذي حرض الجاشنكير على نفيك إلى

الاسكندرية .

ابن تيمية : قد اسدى إليّ هذا الشيخ معروفاً وفضلاً .

السلطان : كيف ؟ .

ابن تيمية : اتاح لي الفرصة لهداية خلق كثير هناك إلى السنة بعد ما فتنتهم مخاريق الصوفية .

السلطان : لكنه قصد بنفيك إلى الاسكندرية أن يغتالك اتباعه فيها .

ابن تيمية : فقد اظفرني الله بكثير منهم فجعلهم من أتباع السنة .

السلطان : والله لقد حيرتني يا تقي الدين .

ابن تيمية : علام الحيرة يا سيدي السلطان والله يقول في كتابه العزيز ﴿ وأنْ تعفوا أقرب للتقوى ﴾ .

- ١١ -

السلطان : أحقا يا ابن تيمية انك تنوي الرجوع إلى دمشق ؟

ابن تيمية : نعم يا سيدي السلطان .

السلطان : وجئت اليوم لتودعني ؟

ابن تيمية : كلا يا سيدي السلطان إنك ستمضي معي بجيشك . ألم تبلغك أنباء التتار على الحدود ؟

السلطان : ما أحسبهم يجرؤون مرة أخرى على التقدم .

ابن تيمية : إذا بلغهم أنك سرت بجيشك إلى الشام فسيعدلون عن التقدم .. أمَّا إنْ .

السلطان : حسناً انطلق أنت قبلي وسنلحق بك .

ابن تيمية : كلا لا أسير إلا معك .

السلطان : ما أشد عنادك أتريد أن تفرض رأيك عليَّ ؟

ابن تيمية : معاذ الله وإنما أذكرك بما فرض الله عليك من رعاية مصلحة المسلمين إذ ولاك الله عليهم .

السلطان : بوركت يا ابن تيمية .. سآمر الجيش غداً بالاستعداد للمسير .

- ١٢ -

السلطان : ما أدري يا ابن تيمية أخَرَجَ أهل دمشق لاستقبالي أم لاستقبالك أنت ؟

ابن تيمية : بل لاستقبال ضيفهم الكبير فما أنا إلا واحد من عامتهم .

السلطان : يحقُّ لهم والله أن يفخروا بك فقلَّ أن تنجب البلاد مثلك

ابن تيمية : يا سيدي إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن

السلطان : ألم أقل لك يا ابن تيمية أن التتار لن يجرؤوا على التقدم ؟

ابن تيمية : أدركوا أنك متيقظ فارتدوا إلى ديارهم .

- ١٣ -

ابن تيمية : مرحباً بنائب السلطان . هل جاءك كتاب من مصر ؟

النائب : نعم يا سيدي الإمام .

ابن تيمية : السلطان الناصر بخير ؟

النائب : بخير يا سيدي الإمام .

ابن تيمية : أراك تحمل لي نبأ لا تحب أن تفضي به اليَّ .

النائب : أجل يا سيدي الإمام .. في شأن الفتيا الجديدة التي أفتيتها .

ابن تيمية : لا عليك قل ما عندك .

النائب : لقد كتب إليّ السلطان يامرك بسحب تلك الفتيا .

ابن تيمية : (غاضباً) أكتب إليه أني لا أسحب الفتيا لقول أحد إلا أن يقيم عليّ البرهان من الكتاب والسنة .

النائب : العلماء ثائرون عليك في كل مكان .. في الشام وفي مصر .

ابن تيمية : لو قام عليّ أهل الأرض جميعاً ما سحبت فتواي

النائب : إذن فسأضطر إلى حبسك بالقلعة

ابن تيمية : السلطان هو الذي أمرك بذلك ؟

النائب : نعم .

ابن تيمية : فافعل ما تؤمر .

النائب : يحزنني ذلك يا سيدي الإمام .

ابن تيمية : لا عليك .. متى تحب أن تأخذوني إلى القلعة ؟ الآن ؟

النائب : إبقَ الليلة عند أهلك حتى الغد ..

ابن تيمية : أمر السلطان مطاع .

النائب : هل تقترح عليّ شيئاً .

ابن تيمية : لا شيء إلا أن تأذنوا لأخي زين الدين أن يخدمني ويتردد عليّ

النائب : لك ذلك يا سيدي الإمام .

- ١٤ -

ابن تيمية : مرحباً بنائب السلطان . هل شاقك أن ترى سجن القلعة ؟ كيف حال السلطان الناصر ؟

النائب : هو بخير وكيف أنت يا سيدي الإمام ؟

ابن تيمية : بحمد الله كما ترى .. هنا العزلة والطمأنينة ولله الحمد .

النائب : سيدي الإمام .

ابن تيمية : نعم .

النائب : هلا تسحب فتواك في يمين الطلاق . لتنقضي هذه المحنة ؟

ابن تيمية : ويلك ألم أقل لك أني هنا في نعمة لا في محنة . أوتظن أنني كذبْتُك ؟

النائب : كلا يا سيدي ولكن ..

ابن تيمية : ولكن ماذا ؟

النائب : لديّ أمر من السلطان أخشى أن يزعجك سماعه .

ابن تيمية : قل ولا تخف

النائب : لقد أمر السلطان بأن يحال بينك وبين هذه الكتب والأقلام والمحابر

ابن تيمية : ماذا تقول ؟ أتفرقون بيني وبين أحب شيء إليّ في الحياة ؟ فيمَ أعيش إذن بعد ؟

النائب : هكذا أمر السلطان .

ابن تيمية : العلماء أشاروا عليه بذلك ؟

النائب : أجل

ابن تيمية : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اليوم تبدأ المحنة .

(ختام)

الطريق إلى الله

قصة إيمان رجل

في إحدى محافظات جمهورية مصر العربية كان مولد **الشيخ إبراهيم** ـ كما يسمى الآن ـ ليجد نفسه ابنا لأسرة نصرانية قريبة من الكنيسة ، علمته أن يتمسك بتعاليم القسس بشدة وألا يخالف لهم أمراً ، فكل مايقوله الآباء القسس يندرج ضمن باب الطاعة ، أوليست مفاتيح الجنة ـ كما يزعمون ـ في أيدي القسس !

على ضوء هذه التربية شب إبراهيم ، صار صبياً، يذهب إلى الكنيسة يستمع إلى إنشاد القس ويشارك فيه ،ويعتبر مايقوله رجال الكنيسة هو اليقين والحق ، لأنهم ـ كما قال له والداه ـ أقرب الناس إلى الرب .

لكن **ماهذا الرب الذي يدعون إليه** .. كانت هذه صرخة طالما ترددت في صدر **إبراهيم** إذ إنه رغم حداثة سنه كان يتساءل : أيعقل أن يوجد رب يقبل أن يصلبه أحد عبيده ! ثم مامعنى افتداء خطايا البشرية وذنوبها أليس فيه إخلال بقاعدة العدل القائلة بألا يتحمل أحد وزر غيره .

تساؤلات وحيرة

تساؤلات عديدة طالما عصفت بنفس الصبي الصغير ، ولم يجد لها جواباً لدى والديه أو القسس ، إذ رأى في تعاليم النصرانية كما لقنوه إياها في المدرسة والكنيسة والبيت قبلهما غموضاً وتهويمات لامعنى لها ، وكلما غاص في بحثه عن إجابة لاستفهام يطرأ على باله حول شيء ما في تلك العقيدة وجد نفسه يغرق في طوفان من الاستفهامات والطلاسم . فكل شيء غامض وغير مفهوم ، فالنصرانية لم توضح له ـ مثلاً ـ لماذا خلق الله الناس ، ولماذا وكيف تعددت قبائلهم ومذاهبهم وعقائدهم وغير ذلك من الأمور، بل إنها ـ وهذا هو الأدهى ـ لم تسع إلى احداث أي تنظيم للحياة ، فلايوجد في نصوصها مايبين للإنسان كيف يسير في حياته ، أو ماينظم علاقته بأهله ومجتمعه .



أسرار الكنيسة السبعة

وتوقف كثيراً أمام مايسمونه « **أسرار الكنيسة السبعة** » تعجب من ظنهم أن مجرد الاعتراف للقس بالخطايا يكفي عن التوبة ،كأن القس يملك بسماعه الاعتراف القدرة على غسل النفوس ، وإزالة الذنوب . فيما ترتكب خلال جلسات الاعتراف الكثير من الخطايا بدءاً بانفراد القس بالنساء من غير محارمهم ،وانتهاء بالشراب المسكر الذي يسقونهن إياه بدعوى أنه دم المسيح عليه السلام !!!

ولم يكد **الشيخ إبراهيم** يبلغ الرابعة عشرة من عمره حتى بات يضيق بدروس الديانة النصرانية التي كان يتلقاها في المدرسة ، لأنه لم يجد في تلك الدروس مايهدي نفسه الحيرى المتطلعة إلى الحق ،فكان ينفر منها ويهرب إلى المكتبة عسى يجد فيها الهدوء الذي تنشده روحه .

بداية رحلة الإيمان

وساقته قدماه ، بل أقداره ذات يوم وهو في الثانية والعشرين من عمره إلى استماع تلاوة آيات بينات من القرآن الكريم يتلوها أخ مسلم ، وبكت عيناه بشدة وهو ينصت إلى قوله تعالى : ﴿ **فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومَنْ يرد أن يُضِلَّه يجعل صدره ضيقًا حرجا كأنما يَصَّعَّدُ في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** ﴾ الأنعام(١٢٥).

ولم يكد قارىء القرآن الكريم ينتهي من تلاوة تلك الآية ، حتى انهمرت دموع الشيخ إبراهيم وسالت على خديه ، فبادر رفيقه إلى محاولة تهدئته ، وماكادت نفسه تسكن حتى بادر إلى إعلان رغبته في اعتناق الإسلام ، وقام من فوره فتوضأ ونطق بالشهادتين ،وعمد إلى المصلى حيث صلى ركعتين لله بعدما شرح له زميله كيفية أدائهما ، ولم يكن بحاجة إلى شرح كثيرليتعلم لأنه بحكم مخالطته لأصدقائه المسلمين واستماعه إلى البرامج الدينية في التلفاز والمذياع كان ملماً بالكثير من أركان الإسلام وعباداته .

كانت المشكلة التي تواجه الشيخ إبراهيم هي كيفية نقل خبر إسلامه إلى أسرته ، حقيقة أن أسرته ليست متعصبة في نصرانيتها ، لكنها مع ذلك حريصةعلى هويتها الدينية ، وترفض أية محاولة خروج عن الدين الذي توارثته عن آبائها ، ولا تقبل نقاشاً في ذلك ، وبالفعل كان خبر اعتناقه الإسلام صدمة للأسرة كلها التي لم تستطع بجاهليتها أن تستوعب معنى أن يهتدي المرء بعد ضلال ، وأن يؤمن بعد كفر .

اضطهاد القلب المؤمن

كان طبيعياً أن يرفض رب الأسرة فكرة إسلام أحد أبنائه ، وأن يهرع إلى الكنيسة طلباً لمساعدة القس لرد ابنه إلى الحظيرة التي نشأ فيها ، ولم يتوان القس في مساعدته ، وإنما هرع معه من فوره قلقاً هلعاً في محاولة لرد الشيخ إبراهيم عن دين الحق ، لكن هيهات أن يتمكن الشيطان من

قلب المؤمن متى استمسك واستعصم بدين الله ، إذ جوبهت محاولات الوالد والقس برد حاسم قاطع: «إن الدين عند الله الإسلام»آل عمران (١٩)، «ومن يهدِ اللهُ فما له من مُضلّ»الزمر (٣٧).

إزاء هذا الرد طلب الوالد من ولده أن يترك البيت وألا تكون له بأسرته أية صلة متبرءاً من صلة الرحم ، التي لم يرض **إبراهيم** بقطعها ، رغم إصرار الطرف الآخر . وياليت ظلمهم اقتصر على المقاطعة ، إذ دفعهم إلى ملاحقته ومضايقته بمساعدة الأقارب والكنيسة في محاولات يائسة منهم لرده إلى الشرك بالله ولكن هيهات **﴿ودّ كثير من أهل الكتاب لو يَرُدُّونَكُمْ من بعد إيمانكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِن عندِ أنفُسِهِمْ مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الحقُّ﴾** البقرة (١٠٩).

سارت الحياة بإبراهيم في كفاح متواصل ، وأنعم الله عليه ـ عز وجل ـ بزوجة كريمة فاضلة كانت قد سبقته هي وأسرتها إلى الإيمان بعامين ، وأمكن له في ظل هذا الجو الأسري المؤمن أن يستزيد من قراءاته الدينية وأن يتعمق في أمور الفقه الإسلامي بما يتيح له العمل في مجال الدعوة والوعظ .

ممارسة الدعوة والوعظ

وفتح الله باب الرزق واسعاً أمام تلك الأسرة المؤمنة ، فما لبث الشيخ إبراهيم أن وجد عقد عمل في دولة قطر، إماماً وخطيباً لأحد مساجد عاصمتها الدوحة، يمارس بحماسة وصدق الدعوة إلى الله ، دونما مضايقة من أهله أو من رجال الكنيسة التي لم تتوقع أن يصير أحد رعاياها يوماً إماماً لمسجد يؤم جموع المؤمنين .

و« **إبراهيم يوسف إبراهيم المهدي** » هو اليوم من دعاة الإسلام المخلصين ، نذر نفسه لخدمة دينه وعبادة ربه ، يساعده على ذلك كونه بحكم النشأة الأولى قد درس النصرانية ، وعلم مافيها من تناقضات كبيرة .

وهو يرى أن أحبار النصرانية لن تطيب قلوبهم وهم يرون الصحوة الإسلامية تمتد في أنحاء العالم والناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، ويحذر إبراهيم من أساليب الكنيسة التي تستغل الفقر والحاجة والعوز لجذب غير النصارى إلى ملتهم ، وهو مايتبدى بوضوح بصفة خاصة في محاولاتهم المستميتة في أندونيسيا، وبنجلاديش، واريتريا ، وغيرها من البلدان الإسلامية التي تغص بالمنصرين .

ويتساءل في دهشة : كيف نسمح لهؤلاء بممارسة دورهم المغرض في بلادنا في الوقت الذي تمنع فيه بعض البلدان الإسلامية الدعاة من الدعوة إلى الله بين أوساط الأقليات غير المسلمة التي تنتمي إليها .

ويدعو **إبراهيم** الدعاة إلى عدم الاكتفاء بالدعوة من فوق المنابر فقط ، فالدعوة لاينبغي أن تحصر نشاطاتها على المنابر والمكاتب والمساجد ، وعلى الداعية أن ينزل إلى التجمعات البشرية حيثما وُجدت ، بعد أن يلم بظروفها ومعتقداتها جيداً ، كي يمكن له الرد على أي استفسار يوجه إليه .

كما يدعو المسلم العادي إلى ممارسة الدعوة إلى الله ، فالدعوة مسؤولية المسلمين جميعاً عامتهم وخاصتهم ، وكل مسلم مطالب أن يعرف دينه ويدعو إليه بالسلوك القويم والخلق الطيب ، وهناك كثير من غير المسلمين في بلداننا الإسلامية لديهم الاستعداد للإيمان لو وجدوا مَنْ يرشدهم إلى حقيقة الإسلام التي لايعلمون عنها إلا النزر اليسير ، وهذا قصور ينبغي علينا أن نتلافاه ، وأن نعمل جهدنا للتعريف بقيم الإسلام ومبادئه السامية .

ثم إن علينا ـ كما يقول إبراهيم ـ أن نولي اهتماماً إلى النشء وأن نوجد في كل مدرسة مسجداً تقام فيه الصلوات خلال فترة اليوم الدراسي، إذ إن تسليح المسلم الصغير بمعلومات عن دينه في صغره أشبه بالنقش على الحجر لا يزول، وبالتالي نوجد جيلاً مسلماً مسلحاً بالعلم الديني الصحيح يمكن له حينما يشتد عوده أن يصير من خيرة دعاة الإسلام.

بقيت نقطة أخيرة ـ والحديث مايزال للشيخ إبراهيم ـ وهي توجيه عناية خاصة للأقليات المسلمة في العالم، حيث إن ظروفها لا تخفى على أحد، وقد ظلت لحقب طويلة مهملة من قبل إخوتها في البلدان الإسلامية، تعاني الفقر والجوع والتخلف والاضطهاد في وقت يهتم النصارى بأبناء عقيدتهم حتى ولو كانوا في أقصى أقاصي الأرض.

طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ
● د. صالح بن سعد اللحيدان

المسلم الداعية

● هل يمكن لكل مسلم أن يدعو إلى الإسلام ؟
مصطفى . م . م . أ / ج . م . ع .. أسوان

□ مثل هذا السؤال يكون من باب العموميات، لأن جوابه يحتاج إلى طرح مفصل، وذلك لاختلاف أفهام الناس وعقولهم، واختلاف بيئاتهم.

ولكن إذا أخلص المسلم النية لله، وعلم حقيقة ما يدعو إليه، والتزم بالعقل، والحكمة، وسعة النظر، وصَبَرَ، فإن من يكن كذلك فلا جرم يحصل منه خير، وقد فصل **الإمام ابن تيمية** في كتابه : **«السياسة الشرعية»**، وكذا : **ابن قيّم الجوزية** في كتابه : **«الطرق الحكمية»** شيئاً مهماً عما تسأل عنه.

وكل مسلم على ثغر من ثغور الإسلام فيجب على المسلم المستطاع بعلم وفهم وحكمة، والتأسي **بالرسول ﷺ وصحبه** رضي الله عنهم.

أصل الإدارة الحديثة

● ● قرأت أن أصل الإدارة الحديثة جاء من خلال خبرات وتجارب أصحاب الشركات والمؤسسات الحديثة في الدول الصناعية فهل هذا صحيح ؟
بيومي سليمان مدكور .. ج . م . ع .. الدقي

□ قد يكون لما تقوله مكان، وذلك من حيث تدوين الخبرات والتجارب من قبل الإداريين في هذه الدول، لكن كلمة «أصل» الواردة في السؤال ليس من اللازم ورودها، ذلك أن أصل الإدارة، إدارة الأعمال خاصة والاقتصاد، وسواهما تجده مدوناً فيما يلي :

١ ـ إعلام الموقعين ـ لابن قيم الجوزية.
٢ ـ الطرق الحكمية ـ لابن قيم الجوزية.
٣ ـ السياسة الشرعية ـ لابن تيمية.
٤ ـ محاسن التأويل ـ لجمال الدين القاسمي.
٥ ـ مصادر الحق في الفقه الإسلامي ـ للسنهوري.
٦ ـ معالم القربة في أحكام الحسبة ـ لمحمد القرشي.
٧ ـ في أصول النظام الجنائي الإسلامي ـ لمحمد العوا.

وهذه الكتب تُشير بوضوح إلى أصل الإدارة ولو من جانب ساكن، لكن مع انتشار العلوم الإدارية الحديثة، فإن الغالب على الباحثين العودة إلى نظر الدراسات المعاصرة مما قد يُسبب نسيان أصل الإدارة الصحيح، لكن كما قلت في سؤالك الكريم إن أصل الإدارة الحديثة جاء من خلال كذا وكذا، فليس الأصل هو ما قرأته عن هذا. وبعودتك إلى الكتب المدونة أعلاه تجد خلاصة القول فيها عن هذا الموضوع الجيد.

ولعلك لو عدت إلى النظام الإداري في المدينة بعد الهجرة النبوية، فإنك سوف تجد شيئاً عظيما حول هذا فيما دونه صاحب **الطبقات** وهو **ابن سعد**، **وزاد المعاد** لابن القيّم، **والخراج** لأبي يوسف.

القراءة على المريض بالماء

● ما حكم القراءة على المريض بواسطة الماء ؟
خيري محمود هلال .. ج . م . ع .. أسوان

□ المشروع هو القراءة على نفس العضو المصاب بالنفث فيكون القارئ حال القراءة في طهر ويقين وخشوع وتوبة، فبعد حمد الله تعالى والثناء عليه والاستغفار يقرأ على المريض بالنفخ سواء خرج بعض السؤر (بتسكين الواو) الريق أو لم يخرج فهذا هو المشروع. أما القراءة على المريض بواسطة الماء أو الورق فيكتب عليه بالزعفران ونحوه ثم يشربه المريض أو يرش على وجهه ورأسه، فهذا لم أحفظ فيه شيئاً يجعلني أجيب بالجواز. لكن حسب علمي أن مثل هذه الأمور تحمل على الكراهة. ما لم يكن هناك نص يجيز هذا.

أما كتاب **«شمس المعارف»** فكنتُ قد اطلعت عليه وأنا في الأردن وتركيا عام ١٤٠١هـ وعام ١٤٠٥هـ فرأيت فيه منكراً من الكلام واطلعتُ فيه على ضلال واضح، وهو كتاب ليس فيه خير، وقد عاينت الذين يستعملونه فلما حضرت لم يستطيعوا فعل شيء، بل حاروا كيف لم يحضر لهم مطلوبهم، فبينتُ لهم أن هذا الكتاب مبناه على الجهل وبعض الشركيات فيستغلها (شياطين الجن) فيلبون طلب القارئ الحاذق والمطيع لهم، لكن حينما يردد كلام الله بصدق ويقين وتحقيق للتوحيد في النفس، مع مداومة الذكر الخاص بثقة وعزم فإن مفعول هذا الكتاب يبطل، بل وسواه من كل باطل من سحر وكهانة وتضليل وتخيل، ولكنني لا أظن يا أخ خيري أن كتاب **شمس المعارف** له مفعول أبداً، بل لعله تهويل ودجل وتغرير بمن هو ضعيف الإيمان قليل الثقة في نفسه وإنسانيته.

وأوصي بحرق هذا الكتاب وعدم حضور مجالس السحر والشعوذة والكهانة، فهذا كله من الأمور المحرمة التي تجعل العبد مهتزاً ناقص التوحيد قليل الإيمان، ويخشى أن تكون خاتمته سيئة. وقد عالج الإمام **ابن تيمية** يرحمه الله تعالى هذا الموضوع في الفتاوى فأجاد، كما أن للشيطان تلبيساً، بل تلابيس كثيرة معروفة، أجاد في هذا **الإمام ابن الجوزي** في كتابه **تلبيس إبليس**. فيراجعان.

تجربتي مع .. القصة والرواية

بقلم : عبدالعزيز مشري

يبدو لي أن الكاتب مهما كان بعيداً في تناوله الكتابي عن واقعه .. فإنه لا يستطيع أن ينفصل عنه ، وذلك لسبب أرى أنه لا يحتاج إلى شهود ، وهو : أن الطبيعة الإنسانية تعود في تراكيبها إلى أساسها الأول ، ذلك الأساس المنشئي الذي أمكنه من خلاله تحديد وظائف قنوات المعرفة لديه .

تلك الذائقة الحاسبة ـ الأولى ـ ، التي انطلق منها إلى تحديد قيمة الأشياء .. القيمة المعرفية وهي تأخذ في تشكيل لونها وطعمها ونكهة حسها ؛ عندما كان يتلقاها في حدود الحضن ـ الأول ـ .

هناك .. حيث تبدأ أبجديات الحروف ، واستقامة المفهوم الشامل يعني إدراك الأشياء ، ومن ثم نوعية العلاقة بها .

أما مسألة الكشف عن حقائقها وواقعية جواهرها .. فتلك ترتبط على امتداد العمر ، بحكم التجربة والثقافات المكتسبة مع تعدد الوسائل .

الكاتب وغير الكاتب

الكاتب هو ذاته **غير الكاتب** .. هو الفرد الطبيعي الذي لا يختلف عن البقية في شيء ـ بعيداً عن المميزات الإبداعية التي ترتب على يدي الموهبة ـ ، إنه هو ذلك الإنسان الفرد البسيط ، الذي يتلقى معطيات المعارف الحياتية ، مثلما يتلقاها الآخرون .

الفرق هنا ، هو كيف يكون مقدار تعامله **واحتفاله بها؟ ما مقدار التلاؤم الحسي بين الأشياء ومستوى الموهبة، تلك الموهبة التي تصقل المتلقيات، وتنظر إليها كشيء مختلف عما تراه العين العادية:**

تلك النافذة الحسية ، التي تدخل منها ذات الشموس وذات الرياحات المارة على كل العباد .. لكنها عنده تكون بتغير آخر .. أكثر تفصيلاً ورحابة واستضافة وإكراماً .



هو لا يملك شيطاناً للإلهام ولا يحزنون ، يملك مقدرة تتطور بحكم التجربة ، ومقدار إتاحة المكان الفسيح لترعرعها وتنميتها ، وبمقدار استخلاصها بأمانة وصدق .

القصة والفن التشكيلي

عندما كتبت **مجموعة القصص الأولى : «موت على الماء»** .. كنت في الرابعة والعشرين ، وقد بدأت منذ العشرين في الكتابة التي تهتم بكسر التقليد ، لقد كنت أكتب حتى الرسائل الخاصة بطريقة مخالفة المألوف .. وقس على هذا الكتابة الإبداعية .. إنها ستكون أوغل مخالفة ، وبالتالي أوغل زخرفية وضبابية .

وقتها على ما أذكر عام ١٩٧٧م صدرت مجموعة القاص «**محمد علوان**»الأولى بعنوان : «**الخبز والصمت**» ، ثم صدرت قصص : «**موت على الماء**» في عام ١٩٧٩ . وكان فيهما تمثيل لأدب القصة القصيرة المحلية .

محمد علوان



لم أكن أعنى بموضوع النشر في كتاب مطبوع ، إذ كنت لا أكاد أنتهي من كتابة العمل .. حتى تكشفه صفحات الصحف ، وساعدني كثيراً وجودي بصفتي محرراً ثقافياً في ملحق «**المربد**» **بجريدة «اليوم»** . في هذه المحطة أخذت **أعمالي التشكيلية** تنحرف نحو منعطف آخر .. نحو **الرسم «بالحبر الشيني الأسود»** على المساحة البيضاء ، وذلك بدافع الحاجة إلى رسوم تعبيرية مع موضوعات النشر من جهة ، ولقلة الوقت الذي تتطلبه اللوحة الزيتية .

كنت أكتب العبارة الأدبية بالطريقة ذاتها في القصص .. حيث اللغة الجاهزة والضبابية ، وبالطبع فالتغريب هنا ، كان بالغاً ، ومع هذا لم استطع التمرد على البيئة الفردية الأولى .. تلك التي انزرعت في الوجدان .

كانت كتابة غنية **بالصورة الجذَّابة** ، لكنها لا تكاد تقول شيئاً ، **فهمُّها هو نسف المتعارف** عليه .. لماذا ؟ لأن الرؤية وقتها كانت قاصرة .

إن من الأسباب الأساسية في التخلف الثقافي والاجتماعي : تكرار وتقليد نتاجات (**الموروث الأصفر**) ، وعلى هذا فلن يكتب شيئاً جديداً يتمشى مع قضايا اليوم ، وهمّ الإنسان المعاصر .

ولكن ..

إلامَ بلغت تلك الكتابات من قبول لدى المتلقي ؟ وماذا استطاعت أن تخلق من وعي لدى القارىء المتعطش إلى الكلمة التي تعنى بحياته وقضيته وطموحه ؟ بالطبع كانت تلك الكتابات لا قضية لها غير الإنسان .. الوطن ، الإنسان الذي هو في حاجة شديدة إلى أن تقترب به من مفهوم ارضه وناسه ، لكنها كانت بطريق يذهب بعيداً عنهم .

تجربتي مع الرواية

كان القراء من المثقفين فقط ، من أولئك الذين يكتبون شبه مـا أكتب ، وبالتـالي فالـدائرة محدودة ، وفاعليتها كذلك . إنها تقوم على افتراض الوعي في الآخرين .. على افتراض وجود مجتمع تعلم **اللغة الأليكترونية** .. التي لم يصل إليها أحد بعد .

بعد «**موت على الماء**» التي تمثل تلك المرحلة الرافضة للمألوف دون الرؤية المدركة .. بقيت زمناً أكتب في أجناس أدبية أخرى ، **كالشعر المنثور ، وتجارب روائية** ، وتوقفت عن نشر **القصة القصيرة** ، بل أهملت الالتفات إليها ، ومضت سبع سنوات . ثم صدرت المجموعة القصصية الثانية : «**أسفار السروي**» .

هذه القصص تحمل تـواريخها وأمـاكن كتابتها ، تزامنت مع مرحلة كتابة روايتي الأولى : «**الوسميّة**» .

المخاطر الكتابية

لقد كانت هذه الرواية ، هي المفتاح الحقيقي لقفل المخزون الشعبي ، والحياة القروية التي كانت تظهر وتختفي ، عبر مفاتيح صدئة قليلة فعلت فعلاً ضئيلاً في الكشف عن الرغبة المترددة عن ذلك العالم ، وذلك لإحساسي الذي يحمل رؤية المرحلة ؛ بأن المجتمع الشعبي ، ليس بقادر على نقل ما أريد قوله عبر رؤية العصر .

لقد كانت نظرةً قاصرة بالطبع ، ولكن إلى أي مدى بلغت هذه المغامرة في خطوتها الجديدة ؟

كان وقت كتابة رواية «الوسميّة»، في شتاء عام ١٩٨٣م **بالقاهرة** . حيث بقيت لمدة سنة : اكتوبر ٨١ ـ نوفمبر ٨٢ ، بقاءً مكرهاً ، وبالتالي فقد كان الحس بالبعد متضخماً ، وكانت الكتابة في أحوال عالم القرية ، تمثل الحميمية والحب والالتحام . كنت أكتبها كما لو أنني أتعايش معهم وأشافههم ، في تفاصيلها الواردة . صادف وقتها ، أن دخلت مرحلة صحية جـديدة ، وقاسية .

لقد عانيت تعباً مراً ، لكنه كان جميلاً في كتابة «**الوسميّة**» ، ذلك أن هذه المغامرة كانت تسبح بالمخاطر الكتابية ، وبالصراع مع اللغة التي كتبت بها . لم أعرف المعنى الحقيقي لعناء الكتابة من قبل .. مثلما عرفته فيها ، فعالمها ـ لا غبار ـ يعيش في جوانحي بكامل تفاصيله ، إضافة إلى الدافع الحميمي ـ كما قلت ـ؛ بحكم البعد والإكراه ، غير أن الحرب المشتعلة على جبهة تلك المغامرة .. كانت قائمة بين ما تحمله ، وما تريد أن تكتبه .. أعني حرب الحل الكتابي . لم أجدني عاجزاً أبداً في إضافة القلم ، طوال معرفتي ، ولا ضعيفاً في صياغة الجملة ، ونمت العبارة ، بل اعتدت على كتابة ما أريد بسهـولة ـ أعني بمستوى الحل الكتابي والصياغة ـ ، وعندما جاءت «**الوسميّة**» وجدتني أتنازل عن كثير من هذا .

فأنت أمام عالم، وتريد أن تقول شيئاً مهماً يشغلك، ويستوطن أضلعك بحبه وتفاصيل معيشته ، وتجد أن الأمانة والأمان هما أساسيان في التعامل معهما ؛ فكتبت دون أن يكون لي علم بطرق الروائيين ، الذين قرأت لهم ؛ في التعامل مع كتابة الرواية . لم أرسم لها هيكلاً ، ولا هرماً ـ كما يقولون ـ ولم ألتزم بما يسمونه «**الخط الأفقي للأحداث**» ، كنت اكتب فصلاً قصيراً ، وانتقـل إلى الآخـر ، تسـير بي الأحـداث والشخوص ، وتفاصيل الحياة .. حتى إن تأثير كتابة القصة القصيرة ـ التي اعتدتها كانت بادية عليها .. فكل فصل بعنوان ، ومع أنني كنت أنبه الحلم إلى أن الرواية ؛ ذات نفس طويل وتفصيلي ، لكن الخوف والتردد من التجربة كانا يلزماني في كل جملة.. وكنت أعرضها على صديق فشجعني على طباعتها في القاهرة.

طبعت بعد ثلاث سنوات من كتابتها .. طبعتها الأولى ، على ورق الصحف ، بغلاف تقليدي الخط والتصميم .

الطفل الداخلي

بالطبع .. كان توزيعها بعيداً عن المنطقة المحلية ، وكان محدوداً جداً ـ حيث بيع منها حسبما قيل لي ما لا يزيد عن ستمائة نسخة فقط ـ، فالدار قد أعلنت إفلاسها ، وتكدست مطبوعاتها في مخازنها .. بل إنني لم أقدر على مقابلة صاحبها أو الحديث معه .

على أي جانب كان ..

فقد أحدثت تلك **الرواية** ما لم يكن في البال . فمع أنها كانت محدودة التوزيع .. إلا أنها تبودلت بطريقة التصوير .

يعنيني هنا ، **العلاقة بين العمل الكتابي والقارئ**.. تلك العلاقة التي بجسرها يمكن للكاتب أن يقيس نبض كتابته .

فمع أن «الوسميّة» كانت كما قلت تجربة أولى ومغامرة قليلة التجربة .. غير أن ذلك علّمني شيئاً جديداً ، أن الكاتب ما لم يكن أميناً مع الطفل الصافي المستكين بدواخله ، وما لم يكن مهتماً باسلوب مخاطبته للآخرين ، فإنه لن يوصّل شيئاً مهماً إليهم.

فالكتابة العاجية ؛ تغفل محيطها ، صحيح أنها قد لا تجانب الذات الطفلية في الداخل ، وتتطلع بنقاء إلى البعيد المشرق .. غير أن هذا وحده لا يقدّم التبرير في إيصال ما يكتب إلى القارىء .

نوعيات القراءة

القارىء ليس من صنف واحد ، إنه بالإضافة إلى معرفتنا بأن لكل جنس أدبي قارئه .. إلا أن لقراء الجنس الواحد أيضاً قراءً مختلفين. والافتراض بأن الكتابة وسيلة فعّالة حتمية في تغيير الواقع.. فرضٌ من الوهم والخيال.

إنها مثلما أي مؤثر آخر .. لها حدود في الفعالية والتأثير ، ولها عدد محدود من القراء والمهتمين ، وعلى الكاتب أن يدرك هذا ، لأن إدراكه له .. يعني أنه سيقترب في طريقه من صحة مخاطبتهم .

الكاتب الذي يكتب مستنداً على وهم الاهتمام ، والتلقي الكامل .. هو كاتب لا شك طموح . لكنه يعي أن ذلك بقدر لا يبتعد بقدر ما يستطيع عن احتمال ما لا يرضى .

إنها مسألة مرة .. لكنها الحقيقة ، وربما تعود إليه بمقدار من الإحباط، فالوهم الافتراضي في مسألة كهذه.. يبقى داعياً وربما حافزاً للإبداع.

الســلوك

مهما جاهد الفنان في أن يكون مثالاً ، لا يمكنه تجاوز النزعات البشرية الموجودة بداخله ، مثلما هي في الآخرين ، إنه لا يقدر على أن يكون من خامة لا أرض اجتماعية لها ، هذا من جانب، ومن جانب آخر فالعنصر البيولوجي له قاعدته ومنطقيته، وبالتالي يطالب بتحقيق فاعلياته عن طريق الإنسان ـ الفنان ـ هو لا يقيسها بمنظار النموذجية والعصامية والمفاهيم المثالية الأخرى.. إنه

يريد تحقيقها في ذات وكيان بشري فقط، لذلك يبقى الفنان إنساناً كالآخرين.

الفرق هنا ، انه يحتذى بها إن شاء ، أو يبدو بها متميزاً بقياس العين الاجتماعية في سلوكه ، ليغدو بإبداعه مؤثراً فاعلاً .

نعم ..

إنه يأكل ويشرب ، ويفرح ويحزن ، ويذهب إلى الحمام ، ويتعامل مع أهله ، ويخفي أشياء ، ويبيِّن أشياء ... الخ من نشاطات الكائن البشري الطبيعية .

ومحاولة التقرب من الآخرين .. أمر ضروري ، لاعتبارات عدة ، أهمها القرب من تفاصيل خامة الإبداع الذي يكتب عنه ، ولقياس المدى التأثيري - بطريقته هو - فيهم ، ولإخضاع النفور ، وردم هوّة البُعد النفسي بينه وبينهم ، وكل هذا ضروري لنقاء وصدق واستمرار العمل الكتابي .

فمعنى **الالتزام** ومبدأ تنفيذه ، لا يعني التميّزية والنفور ، وصهر الذات في قوالب التنظير ، بل باعتبار الذات الإبداعية .. هي ذاتها الذات الطبيعية كأي فرد في المجتمع ، وإنما الفرق في هذا الجانب **«الالتزام» ، هو السعي وراء زرع القيم والمفهومات الإنسانية الوطنية ، ليس باداة التقنية الإبداعية ، وإنما بالممارسة السلوكية .**

مجتمعنا لا تأسره الأشكال الإبداعية ، مهما كانت صادقة وآسرة ، لأسباب عديدة ، **بل إنه يهتم جداً بالعملية السلوكية القائمة على احترام الآخرين ، وإثراء القيم الجميلة وتطبيقها بينهم وأمام أعينهم . وليس من السهل على الكاتب - المبدع - أن يعيد رسم صورة كان يتوقع المحيط أن تكون جميلة ؛ فإذا بسلوكه عكس ما يكتبه .**

إن القضية ليست قضية قول مكتوب على الورق ، ولا نصب شعارات وطنية تطالب بحق الوطن .. تلك مسألة سهلة ويسيرة ، لا يشفع لها **مجال الإبداع، ولا لافتتها المعلنة.**

المسألة ببساطة يمكن أن تكون في كل فتائت الحياة ابتداءً بإشارة المرور ، وانتهاءً بمقام الرأي المعلن في وجود آذان الجميع ، التي تستمع ولا تستمع .

من التفاصيل الجزيئية البالغة في الصغر ، يمكن أن تكون تطبيقات المفهوم الوطني .. على شتى المستويات .

على هذا القياس التفصيلي ، كسبت طريقاً موصلاً إلى «التلقي» ، من خلال الإبداع الكتابي ، وعلى ضوئه من خلال تجربة **«الوسميّة»** ، **أدركت أن القارىء يبحث عن الكتابة التي تهتم بواقعه وملابسات همومه وطموحاته** . هنا - يمكن للكاتب أن يدرك مقدار **العفوية/ الواقعية** ، ومصداقية التعامل مع الداخل النقي المتضخم بالهم العام في نسيج همه الفردي المتوثب لإصلاح النشوة .

اللغــة

بلغتني ردود فعل جديدة ومحفزة ، من خارج حدود عالم **الرواية** ، في الداخل ، ومن خارج الحدود .. **عربية وغير عربية** ..

بالطبع .. حدث بعض المعارضة من زملاء عاشوا ذات العالم ، فكنت أتعامل معها بكثير من البحث والمناقشة ، غير أن الذي بدا لي يختلف عما كنت أرغب في معرفته . كانت تتمحور حول أن رواية قائمة على الشفاهية واللغة المعيشية اليومية ، تعتبر غير مواكبة للغة القص الحديث . رحت أحاور العمل بدقة ، ضمن إطار ما يسمى باللغة الحديثة. إذ إن لغة **«الوسميّة»** كانت لغة حيَّة . **وما يدعى بالحداثية ، كان يقصد بها - حسب الحوار - هي أن تكون ملتزمة باللغة النص المسايرة لنمط الكتابة.**

أعتقد أن اللغة التي يكتب بها العمل .. ليس من الواجب أن تكون (حديثة) لكي ترضي الذوق العام بشكلها القشوري.. إنها تحتاج إلى إيصال ما تريد قوله دون الإيهام والركاكة والاستعراض . إذ أن ذلك المفهوم الذي تلقيته منهم ، هو ذاته الــذي عزلني عن الــواقع الاجتماعي ، وغرَّبني لابتعد عن الوصول إلى المتلقي .

إذن المسألة ليست كيفية التدخين ومسبباته ودوافعه ، إنها العمل الإبداعي الذي يريد بجدية أن يقول شيئاً ، أو ليصمت .

لا تقنط

شعر: سعد البواردي

لا تقنطْ ..

فالزمن الشاكي .

والزمن الباكي ..

سوف يُغرِّد للمولود الآتي..

قد ترحلْ ..

قد أرحل ..

لكن صدى القادم سوف يلامس بالحلم رفاتك

سوف يعانق في عشق رفاتي .

سوف يُعيد صياغة تاريخ

وضيِّ الصفحات

مولود الفجر القادم

بعد رحيلي .. ورحيلك

سوف يحقق ذاتك ما عاش .. وذاتي ..

لا تقنط ..

فالباب الموصد في وجهك ..

في وجهي ..

سوف يشرِّعُه الغضب العاتي

مِن أجلكَ ..

مِن أجلي ..

مِن أجل «الأقصى»

مِن أجل «فلسطين» الثكلى ..

«أحزاني» .. «دعواتي»

بل كل «حياتي»

آلة غسل السيارات

أول آلة **لغسل** السيارات Car Washing Machine ظهرت في ثلاثينيات القرن العشرين للميلاد في الولايات المتحدة الأمريكية . وكانت تلك الآلات أصغر حجماً من الحوامل التي **تُرفَع** فوقها السيارات ، بينما يقوم عدد من الرجال بتنظيف السيارات **وغسلها** باليد.

بيد أن تلك الآلات المبكرة تحتاج إلى مساحات كبيرة من الأراضي ، ويستهلك عملها أيدياً عاملة كثيرة ، إضافة إلى ارتفاع تكاليف العمل فيها .. الأمر الذي جعل غسل السيارات فيها عملية باهظة التكاليف .

وفي عام ١٩٣٨م ، صنعت في الولايات المتحدة الأمريكية اول آلة غسل للسيارات كاملة الآلية fully automatic . بيد أن تلك الآلات لم تظهر في البلدان الأوروبية ، حتى عام ١٩٦٤م عندما قام أحد المصانع الألمانية بانتاجها . ومنذ ذلك الحين قام عدد من المصانع بابتكار أنواع جديدة من تلك الآلات أو إدخال تجديدات عليها .

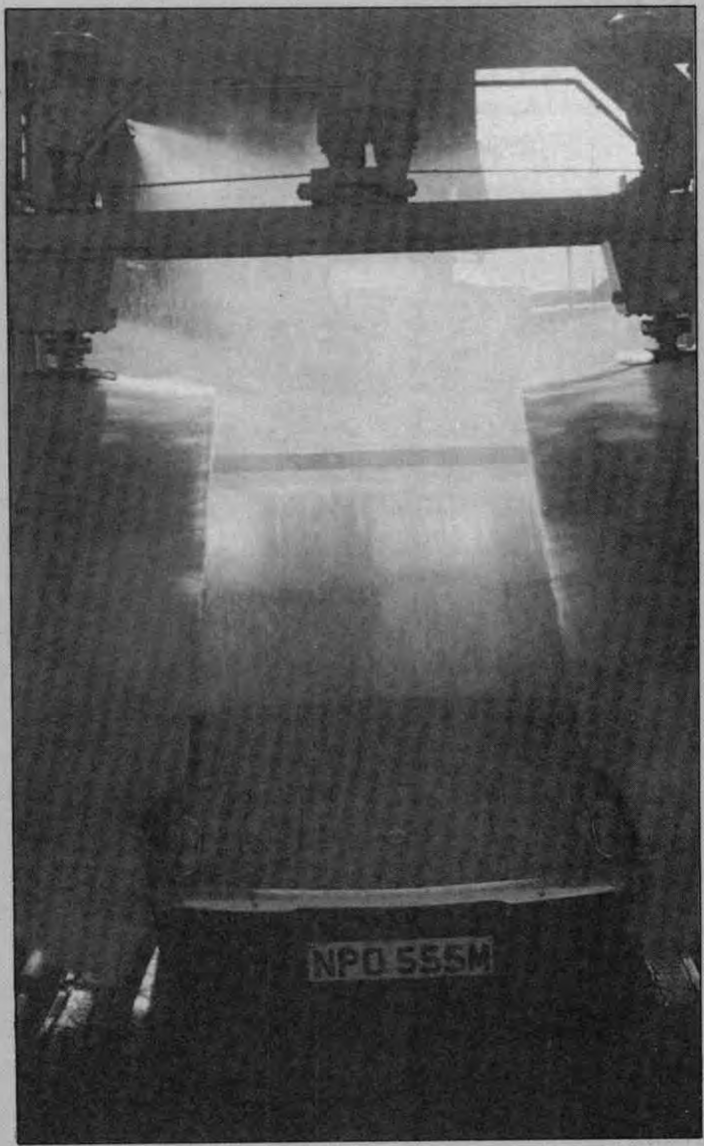
الآلة النمطية

تتكون الآلة النمطية لغسل السيارات من ثلاث اسطوانات دوارة كبيرة ، مصنوعة من النايلون الكثيف جداً واللدن أيضاً ، أو من خيوط البوليثيلين ذات الأطراف السائبة . وتقوم تلك الخيوط بإزالة القاذورات من على الجسم الخارجي للسيارة ، من خلال دوران الاسطوانات **بالخيوط (أو الفُرَش) بسرعة تكفي لوصول أطراف الفُرَش إلى مسافة ٣١ سنتيمتراً.**

والاسطوانات الثلاث ـ التي يبلغ طول كل منها حوالى المترين ـ موضوعة بحيث تكون أولاها أفقية (لتنظيف السطح العلوي للسيارة) والاثنتان رأسيتين لتنظيف جانبي السيارة .

أما السيارة فإما أن تتحرك ـ خلال عملية الغسل ـ على عجلات دوارة، أو أن تظل ثابتة في مكانها ، بينما تتحرك الاسطوانات الثلاث من فوقها وعن جانبيها . ولئن كانت الطريقة الأخيرة (ثبات السيارة) أرخص تكلفة ، وتحتاج حيزاً أقل ، فإن الطريقة الأولى (تحرك السيارة) تسمح بالتعامل مع خط مستمر من السيارات ، وبالتالي تزيد الانتاجية .

والأسطوانات مزودة بصمام احتياط.. أي إنه إذا كانت الأسطوانتان الرأسيتان عاملتين، ثم اصطدمت إحداهما بمرآة السيارة ـ مثلاً ـ فإن ذلك الصمام يوقف الاسطوانة فوراً ويبعدها عن جسم السيارة حسب بُعد المرآة عن الجسم ، ثم يُعيدها إلى الاحتكاك بالسيارة بمجرد انتهاء حيّز المرآة . وهكذا يساعد هذا الصمام ـ مع الاستفادة بالأطراف اللدنة **لفُرشة الأسطوانة ـ على غسل الأجزاء** البارزة والغائرة في السيارة بدقة وفعالية . أما الاسطوانة الافقية فليست مزودة بذلك الصمام لأنها حرة الحركة من أعلى إلى أسفل وبالعكس .



هذا ، وبعد أن تقوم الفُرَش الثلاث بغسل السيارة، يتم تجفيف السيارة بإحدى طريقتين :

١ ـ إما أن يحمل الحزام السيارة إلى خارج المحطة حيث يتم تصفية الماء منها تلقائياً ..

٢ ـ أو تقوم مضخات هواء ضخمة بضخ الهواء الدافئ في الاتجاه الأسفل وإلى الخارج ، حيث يقوم الهواء الدافئ بتبخير الماء من على السيارة وتجفيفها .

تجدر الإشارة إلى أن المحطة الواحدة تستطيع غسل ثلاثين سيارة في الساعة الواحدة ، في حين تقوم المحطات ذات العمل الاستمراري الجماعي بغسل عدد يتراوح بين ستين ومائة سيارة في الساعة الواحدة .

على أن هناك نوعاً آخر من تلك المحطات لا يستخدم الاسطوانات ذات **الفُرَش..** بل يستخدم إطاراً مثلث الشكل ، قاعدته إلى أسفل ، ومعلق بخرطوم يضخ ذرات من ماء مزود بحامض مخفف ، ينطلق إلى السيارة بقوة دفع هائلة . وبعد رش الحامض بدقيقة واحدة يندفع من المثلث ذاته سائل قلوي مخفف . وبعد ذلك بعشر ثوان ، يتم تجفيف السيارة ، بينما يرتفع المثلث إلى أعلى .

***

مِنَ المَكْتَبَةِ السُّعُودِيَّةِ



● **العنوان: ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم**
● **المؤلف : د. أحمد سليمان ياقوت**
● **الناشر: عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود بالرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨١م**

هذا الكتاب جيد لأنه يطرق موضوعاً مهما جعل قاعدته بعض ما تقدمه المناهج اللغوية الحديثة التي يراها المؤلف أقرب إلى طبيعة لغتنا التي ترفض الأسس الموضوعة مقدما، ثم يحاول تطبيقها تطبيقاً آلياً لا حياة فيه. وبهذا المنطلق الصحيح - وهو لا ينكر فضل قدمائنا ولكن يصحح سبيلهم - وصل إلى كتاب الله بالتطبيق الإعرابي.

ولم يكن ذلك سهلاً، بل ركب المؤلف كل صعب وحاور المصادر والأثبات القديمة، وحاول بالاستقراء الخروج بعوارض الصناعة النحوية التي كان بعضها ذا نفع مؤكد، كما عرض للتفاعل الذي تم في المحيط الإسلامي بين الفقه وأصوله من ناحية، والإعراب من ناحية أخرى.

وقد اقتضاه كل ذلك إلى أن يتتبع - تاريخياً - ظاهرة الإعراب، **فتبيّن أنه قديم. وقد ظهر في اللغة** التي سبقت تأسيس القصيدة الجاهلية - والشعر كما يقول الجاحظ حديث الميلاد صغير السن وله حتى مجيء الإسلام خمسون ومائة عام أو مائتان على الأكثر - وعمادها النقوش التي سبقت العربية التي نعرفها وبها نزل القرآن الكريم، وعليها آثار إعراب كما كان في الأكادية التي تحدث بها العرب القدماء في العراق.

على أن هذا القدم كان من الغموض بحيث لا يمكن لأحد أن يتصوّر كل شيء عن الإعراب، تماما مثلما نحاول فهم أساطير القدماء فنعرف بعضها، ونجهل معظمها ولو من ناحية طقوسها التي تشمل الأداء صوتياً أو إيقاعاً يرتبط بما لعله كان من وسائل البيان.

والأمر على أى حال يتعلق - بعد ذلك - بأنواع الشعر والنثر التي قبلت الإعراب بعد استواء العربية تماماً. ولو تتبعنا ظواهر ذلك الاعراب في تلك اللغة العربية لوجدناها تنزع من التعميم أو الشمول إلى التخصيص الذي يفرق بين المعاني، ويتدرج من البدائية إلى التعقيد.

والمؤلف على أي وجه من وجوه النظر يرى أن الإعراب في أول أمره لم يكن دقيقاً كما هو الآن - بمعنى أنه لم يكن حاسماً في عملية التفريق بين المعاني - فلما تقدمت العقول أو استقامت، دقت عمليات الإعراب وتركت ما نسميه على سبيل المثال بلغة أكلوني البراغيث كان نقول بها: ضربوا الرجالُ زيداً! وبالإعراب: ضرب الرجالُ زيدا. لكن لعل ما نلحظه في إعراب المستثنى بأنواعه، ومعه العدد والمعدود، مما يدلل على ما يريد المؤلف أن يقول.

وتطور العربية الذي صاحبه تطور العقل العربي، كان يخضع لأسباب اجتماعية، وكذلك لأسباب صوتية. أي سنن التغير لعبت دورها في تحديد مفهوم الإعراب، حتى وهو يختلط بمفهوم النحو. ووصول المؤلف إلى هذه النقطة جعله يعقد فصلاً كاملاً - هو الثاني (ص ١٥ - ٣٤) - جاء فيه من اللسان «نحا الشيء ينحاه وينحوه إذا حرّفه، وقال ابن السكيت: ومنه سمي النحو، لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب!».

وفي الوساطة يورد الجرجاني ما يدل على أن النحو هو الإعراب، وذلك راجع - فيما يقول المؤلف (ص ١٦) - إلى أن الإعراب كان سبباً في نشأة النحو فسمي باسمه، واستأثر الإعراب باهتمام الناس، وإلا فبم نفسر صنيع أبى الأسود الدؤلي وقد بدأ بوضع الحركات الإعرابية فوق الحروف؟ (ص ١٨).

ومن هنا أصبح الإعراب بمعنى الإفصاح أي الايضاح، كما كان العرب الأصلاء يوضحون، ومن هنا قال ابن جنيّ إن النحو هو انتحاء سَمْت كلام العرب في تصرفه من إعراب كالتثنية والجمع والنسب والإضافة. وهذا قريب مما قصد إليه اللغويون المحدثون في علم التراكيب وعلم الصرف، وقد جمع العِلمان في باب واحد هو النحو.

ويشرع المؤلف في مسائل لغوية دقيقة بادئاً بالمورفيمات التي تدل على معان وظيفية في اللغات الأجنبية - وهذه عكس السيمانطيقا وقد سماها هو دوال الماهية - عابراً بالوجود الذهني والوجود العيني ليمسك بتلابيب بعض المستشرقين الذين اقحموا انفسهم على اللغة (ص ٣٤) وليهاجم بعد ذلك كل الداعين إلى ترك الإعراب للتسهيل، والمقصود في الحقيقة منه تقويض دعائم الفصحى.

وبعد أن قدم المؤلف عرضاً لحركات الإعراب وحروفه، ناقش «نظرية العامل» ثم أفاض في عرض الصناعة النحوية - بما صاحبها من خلافات مذهبية وشخصية إلى ضرورات شعرية ومدرسية - ليعود من جديد إلى الإعراب في تأثراته بالفقه وأصوله، ولاسيما أن كثيراً من الاصطلاحات الفقهية - كالقياس (ص ١٦٢) اقتحم مجال الإعراب، وبالقدر نفسه أثر الإعراب في الفقه (ص ١٧٧).

وهكذا يصل بنا المؤلف إلى الباب الرابع من كتابه (ص ١٨٥ - ٢٥٧) أي إلى قضية التطبيق الإعرابيّ في القرآن الكريم: فمن ناحية خدم هذا الإعراب كل المفسرين الذين اعتمدوا الرأي، كالمعتزلة والمتصوفة بعامة والشيعة. ومن ناحية أخرى تبينا من خلال تفسيراتهم أصولهم الكلامية، وأحياناً تأويلاتهم التي تفرض ضروباً مختلفة من **ليّ الإعراب للخروج به عن وجهه الصحيح.**

لكن الأمر لا يقف عند هذا، فإن المؤلف منذ البداية وهو يحرص كل الحرص على إثبات جدوى الإعراب في التعامل مع القرآن الكريم. من ذلك مثلا «الوقف» فثمة ارتباط بينه وبين الإعراب، وهذا الارتباط جذب اهتمام النحويين والقراء على حدّ سواء.

وأما أحرف القرآن الكريم وقراءاته فأكثر حاجة إلى الإعراب الذي لم يكن أحد الأحرف السبعة التي وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسّر منه» **(ص ٢١٥) والمعروف أن القرآن الكريم كان خير حافظ للغات واللهجات بفضل** عناية القراء وتدقيقهم في الضَّبْطِ.

ومن ناحية أخرى كان الإعراب في توجيهاته من لدن المتخصصين البعيدين عن الأهواء إزاء الآيات القرآنية التي قرئت بأكثر من وجه، عامل إثراء اللغة ونحوها جميعاً، وكذلك تفريعاً للدرس اللغوي بما يحتمله من التفريعات. مثال ذلك قوله تعالى «وأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءُ الحُسنَى» (ص ٢٢٢) ومثاله أيضاً «ولا تَسْأَمُوا أن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أو كَبِيراً إلى أَجَلِهِ» (ص ٢٢٤) وقريب من ذلك تماماً فواتح السور ودور الإعراب فيها.

ولقد وضعت كتب كثيرة في «إعراب القرآن» يحفز إلى تأليفها قول الرسول صلى الله عليه الله عليه وسلم «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه» يقصد الإبانة وليس المرفوع والمنصوب ونحوهما! ومع

من المكتبة السعودية

الإبانة سار التفسير ، أو فلنقل إن الإعراب كان في أدوات التفسير ، ولم يخطىء من قرر انه أحد فروع علم التفسير . ومن أشهر المؤلفين في هذا الباب قطرب ، وابن حبيب القرطبي ، والسجستاني ، والمبرد ، وثعلب ، والانباري ، والتبريزي ، والعكبري ، والفاقي . وكان ذلك من هؤلاء العلماء ـ وقد رتبوا هنا تاريخياً ـ صنيعاً دونه أي صنيع .





● **العنوان : المرافئ الطبيعية على الساحل السعودي الغربي.**

● **المؤلف : الدكتور محمد أحمد الرويثي.**

● **الناشر: مطبوعات دارة الملك عبد العزيز. ط(١) الرياض ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. (٧٧ص).**

على الرغم من صغر حجم الدراسة ـ دراسة المرافئ الطبيعية على الساحل السعودي الغربي ـ التي قدمها لنا الدكتور محمد أحمد الرويثي ، فإنها غنية بالجهد والدقة والموضوعية والتقصي لاكتساب المعلومات الهامة والمفيدة ، سواء أكانت عن طريق مراجعه العربية وغير العربية ، أم عن طريق اعتماده على الدراسة الميدانية ، ومن واقع الساحل السعودي الغربي مباشرة .

ويبدو أن المؤلف لصيق بموضوعه ، وقد أعطاه كل اهتمامه وحبه ، لاسيما وأن (الموانىء السعودية على البحر الأحمر) كانت موضوع دراسته ـ دراسة جغرافية اقتصادية ـ لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة عام ١٩٨١م . ولأن الموانىء أو المرافئ تعتبر من الوجهة الاقتصادية المعاصرة «من أهم مرافق الدولة ، لكونها المنفذ الاقتصادي للتجارة الخارجية من صادرات وواردات .. وهي أيضاً حلقة الاتصال بين النقل البحري ووسائل النقل الأخرى التي تسجل دائماً تقدماً كبيراً في الحجم والسرعة ، الأمر الذي يجعل من الضروري النهوض بهذه المرافئ ، وتحسين أوضاعها لكي تتلاءم مع باقي المرافق الأخرى» .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن ثمة دوافع أخرى دفعت بالمؤلف إلى تقديم هذا البحث القيّم هي : الحاجة الملحة لربط الجامعة بالبيئة ، ولتحقيق نوع من الاستقلال العلمي للجامعة ، ولتكون ـ كما يقول المؤلف ـ أول محاولة علمية من نوعها وأحد المراجع في مجال جغرافية الموانىء باللغة العربية .

ولقد أكسبنا الرويثي ـ من خلال هذه الدراسة المكثفة ـ الكثير من الحقائق الجغرافية والاقتصادية والاستراتيجية المعاصرة ، بثقافة جديدة ، ورؤية نافذة نافعة . عرفنا ـ من خلال مباحثه الأربعة لمضمون الكتاب ـ أن البُعد التاريخي لنشاة المرافئ يُحدَّد بـ «الفرضات» المنتشرة في اجزاء متفرقة من الساحل ، والتي يطلق عليها جغرافياً مصطلحات مثل : مرسى ، أو رأس ، أو شرم .. والتي وجدت قبل أن تنشأ المراكز العمرانية التي قامت حولها .

وقد استخدمت فرضات الساحل الغربي السعودي ـ خلال العصور القديمة ـ لأغراض عسكرية أو اقتصادية ، وبرزت قيمة وأهمية كل فرضة في أي جزء من الساحل ، على حسب هيمنة القوى الأجنبية السياسية المتعاقبة على المنطقة .. «فإذا تفوق البطالمة انتقلت الأهمية من (إرجا) اللحيانية إلى (أمبلوني) البطلمية ، وإذا تفوق الرومان انتقلت الأهمية من أمبلوني إلى (لوكي كومه) وهكذا» .

وبرزت شهرة بعض الفرضات في القسم الأوسط من الساحل ، في القرن السابع الميلادي وبعد ظهور الإسلام ، والتي تقوم أمام المدينة المنورة مثل : **الجار، وينبع.. والشعيبة وجدة اللتين تقومان** أمام مكة .. وكلها منافذ بحرية تصل عن طريقها المعونات الاقتصادية أو لنقل الحجاج . وبرزت أهمية الساحل الجنوبي لنشاطه الزراعي ، فقامت عليه عدة فرضات بحرية قديمة من أهمها : الشرجة ـ في الشمال من مصب وادي جيزان ـ وعثر في الجنوب . كما برزت تلك الأهمية بهيمنة وسطوة حكام المخلاف السليماني .. واختفت أهمية الشرجة بمنافسة جيزان لها .

«وعلى الرغم من الجمود والركود الذي تعرضت له جدة وينبع وجيزان حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين إلا أنها عادت مرة أخرى إلى النمو والتطور» ؛ وذلك لقيام المملكة عام ١٩٣٢م ، ولأهمية تلك الموانىء من طريق قناة السويس ، ولتطور شبكة النقل البرية ، واكتشاف البترول ، ولأهمية المنطقة الدينية . وعرفنا مرة أخرى ـ ومن خلال كتاب الرويثي ـ عوامل نشاة وتطور المرافئ الطبيعية ، من جغرافية والتي تُعد من أهم العوامل التي تؤثر في نشاة المرفأ ومركزه العمراني وتطوره ومقدرته على الوفاء باحتياجات الإنسان اليومية .. وكذلك من عوامل تاريخية واقتصادية **وما تمارسه من وظيفتي الشحن والتفريغ والصيد.**

كما عرفنا إمكانية تقسيم المرافئ الطبيعية إلى أربعة أنماط :

المرافئ القديمة التي ارتبطت نشأتها بشعوب قديمة ، وعوامل اقتصادية وعسكرية .. والمرافئ الاستراتيجية التي تطورت في ظروف سياسية مختلفة . فمثلاً يرجع استمرار الوجه ورابغ وضباء والمويلح في العهد العثماني إلى الرغبة في حماية ساحل البحر الأحمر الشرقي وطريق الحج القديم . كما تعود أهمية (حقل) إلى قيام اسرائيل واغتصابها فلسطين وإشرافها على رأس خليج العقبة .. مما أدى إلى تزايد أهمية حقل والتي أصبحت أحد قواعد الجيش السعودي المواجهة لاسرائيل منذ عام ١٩٦٧م .

ثم المرافئ الطبيعية السعودية التي نشأت معظمها لضرورة اقتصادية . والمرافئ التي أصبحت مراكز عمرانية وعواصم إدارية لإمارات تحمل اسمها . كما أننا عرفنا أموراً كثيرة أخرى في مقدمتها الوظائف والتركيب المورفولوجي للمرافئ ومدنها .. وذلك نظراً لاختلاف الظروف الطبيعية والبشرية والتاريخية لتلك المدن .

ولقد أقنعنا المؤلف أنه بالرغم من أن هذه المرافئ تأتي في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية الاقتصادية والسكانية بالنسبة لمنطقة الساحل.. **إلا أنها تؤدي دوراً كبيراً في حياة سكانها.**



● **العنوان: من عمق الروح وصلب الفكر (دراسات في الأدب والتاريخ والإعلام الإسلامي).**

● **المؤلف : سهيلة زين العابدين حماد.**

● **الناشر: الدار السعودية ـ جدة، ط(١) ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م (٣٢٣ ص).**

يبدو لمطالع هذا الكتاب ، انه يجمع شتى المعارف ، أو يعرض مختلف صنوف المعرفة : الأدبية والصحفية والتاريخية والدينية .. ولكنه لا يجمع فناً أدبياً محدداً ، أو نوعاً واضحاً من الكتابة .. وهذا مرجعه أن المؤلفة كتبت مواد هذا

الكتاب في عدة مناسبات ، وعلى أزمنة متقطعة ، ونشرت كلها في جريدة (المدينة المنورة) ، ما عدا موضوع (الحركة الأدبية النسائية في المملكة العربية السعودية) ، فكان حواراً أجرته مراسلة عالم حواء في جريدة «عكاظ» مع المؤلفة .. وأيضاً موضوع الباب الثالث للكتاب وهو : (آخر المخططات الصهيونية على الإسلام .. بحث تاريخي) إذ استغرق خمساً وعشرين صفحة ، ولم تشر المؤلفة إلى أنه قد سبق نشره .

وقد قسمت المؤلفة كتابها إلى خمسة أبواب هي : دراسات ومقالات في الأدب ، ودراسات إعلامية ، وآخر المخططات الصهيونية ... والمدينة الإسلامية أين هي ؟ وأخيراً مقالات متنوعة . كما قسمت كلا من البابين الأولين إلى فصلين . فاشتمل الباب الأول على : خواطر وبحوث ومقالات أدبية متنوعة ، والمرأة السعودية والأدب . أما الباب الثاني فكان فصلاه : الصحافة ، وحقاً نحن أمة لا تقرأ ولكن ..

المقصود بهذا الاستطراد أنه لا حاجة إلى إظهار الكتاب وكأنه بحث واحد ويتطلب مثل هذا التقسيم ، مع العلم أنه كان ـ كما رأينا ـ بحوثاً ومقالات متنوعة وخواطر .

كما يبدو لمطالع هذا الكتاب أن المؤلفة متشبعة بمبادىء الإسلام وتعاليمه ، فكانت تنطلق ـ في عمق روحها وصلب فكرها ـ منطلقاً إسلامياً وفي كل الاتجاهات التي تقودها إليها بحوثها ومقالاتها وخواطرها ، وكان قاسمها المشترك لصنوف معارفها هو الإسلام ، أو أنها متسلحة بثقافة إسلامية تبدو بوضوح في جولاتها ونقاشها، وتستحيل ـ في معظم الأحيان ـ إلى واعظة دينية ومرشدة اجتماعية في تشديدها على أسلوب يجب .. وعلينا .. وما في معنى الواجبات .

وأحكام المؤلفة عن المرأة من خلال نظراتها الدينية والعملية الإبداعية لا تتبلور لديها إلا على ضوء الشريعة.. فبمقدار التصاق الشاعر بالدين ومثله وأخلاقه يقترب من النجاح والتفوق والإعجاب ..ولهذا كانت المؤلفة ثائرة على الشعراء حسين سرحان ، وصلاح عبدالصبور ، ونزار قباني ، لأن الأول يرى بأن شعر الفقي «غزير ولكن بلا معنى» ، والآخرين «لا يوضعان اطلاقاً في مجال مقارنتهما به ، ولا يصلان إلى مرتبة تؤهلهما لهذه المقارنة» .

ومع هذا فهي تجري المقارنة من خلال نظراتهم للمرأة . فهما وصفا المرأة وصفاً مشوهاً ومناقضاً لروح الإسلام ، وقالا غزلاً مادياً وحسياً ، والفقي لم يقل إلا غزلاً عفيفاً طاهراً ، ولم يذكر وصفاً حسياً للمرأة .

وقد كتبت المؤلفة في هذا المعنى عن غزل الفقي في أكثر من خمس صفحات . مع أن شعر محمد حسن فقي الغزلي كما وصفه صاحب كتاب : (الحب والغزل في الشعر السعودي المعاصر) بأنه «يصدح عبر هاتين المعزوفتين : معزوفة الإنسان ومثاليته ، ومعزوفة الرجل وماديته . ويكتمل جماله الشعري حين يدغم الإنسانية بالرجولة في جذورنا الحسية وأعماقنا الوجدانية . وهذا التناغم بين الإنسان والرجل ، والتلاحم بين المثال والواقع ، وبين ثنائية الأرض والسماء ، والهوة والسماك .. هي محور شخصية الشاعر الغزلية» .

وللمؤلفة بعض الرؤى الصائبة ، وبخاصة حين تحلل بعض الهموم المعاصرة للمرأة وترجعها إلى نظرة الرجل للمرأة .



● العنوان : بنو عباد في أشبيلية.
● المؤلف : د. يوسف بن أحمد حوالة.
● الناشر : دار العلم للطباعة والنشر بجدة. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

هذا كتاب هو في الأصل رسالة علمية نال بها صاحبها درجة الماجستير من جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة منذ نحو عشر سنوات . وعلى تواضع قيمتها بالمقارنة إلى ما كتبه روّاد التاريخ الأندلسي من أمثال المستشرقين آسين بلاثيوس (وقد رسمه المؤلف خطأ بلاجيوس) وليفي بروفنسال . وغومس ، وبيدال ، وبالانثيا ، والعرب أحمد العبادي ، والأهواني ، وعنان ، ومؤنس ، ومحمود مكي ، فإنها تبدو ضرورية ولاسيما في ظروف المرحلة التي نعيشها هذه الأيام ، والتي يحاول صدام العراق تسوّدها بالوقيعة والغدر وبث الفرقة بين العرب .

وما أشبه الليلة بالبارحة !

بل ما أشبه مساحات خلافاتنا ـ بعد الواقعة ـ بمساحات الانقسام فيما أطلق عليه المعنيّون بشؤون الأندلس اصطلاح عصر الدويلات أو عصر إمارات الطوائف ، وقد اتسم بالضعف السياسي والتمزّق الفكري .

وكانت مملكة بني عباد أو إمارتهم التي تبدو صورة مكررة لإمارات بني الأحمر وبني هود في سرقسطة وبني سابور في بطليوس وبني ذي النون البربر في طليطلة ، وبني زير في غرناطة ، تحمل في عروقها ـ مُذ ولادتها عقب انهيار الخلافة الأموية في نهايات القرن الرابع الهجري ـ جرثومة فنائها . وقد كان أكبر خطر واجهها ، استفحال الشوفينية الأوروبية . وهذه راحت ترعى في أرض مزقتها باسم العروبية مرة ، والبربرية مرة والإسلام مرات مطامع الحكام وإحنهم وأهواءهم . فاستهدفت طرد هؤلاء ، وتطهير المدن الإسلامية منهم تحت راية الصليب والكراهية .

● تاريخ بني عباد : يبدو تاريخ بني عباد في إسبانيا الإسلامية قصيراً ، ربما لا يشغل إلا ثمانيا وستين سنة ميلادية ونحو سبعين سنة هجرية تقع بين ٤١٤ و ٤٨٤ . إلا أنه ينم على مجد عريض ، ليس بالموازنة بين سائر إمارات الطوائف فحسب ، وإنما أيضاً بموازنتها بالبلاد الإسلامية خارج الأندلس .

ولقد كان من سوء طالع ملوكها اللخميين ـ من اليمن ـ أنهم جاؤوا وكلمة المسلمين موزعة ، والنصرانية من ناحية أخرى ممثلة في الصقالبة ، والقوط ، وفلول الرومان والنورمان ، وجيوش البابوية تتطاول على المسلمين بالسلاح والخيانة ، والتنكيل وانتهاك أعراض المسلمات بوحشية ضارية ـ وما جرى في مدينة بربشتر Barbastro مجرد نموذج محزن ودال على تلك الوحشية ـ فضلاً عن قصور ملوك الطوائف عن استيعاب واقع العصر : حتى إن بعضهم لم يدرك بعد سقوط **طليطلة** أن الدائرة ستكون عليه. بل أرسلوا ـ فيما يرويه ابن الكردبوس في كتابه «الاكتفاء في أخبار الخلفاء ـ يهنئون الفونسو باسترداد تلك المدينة من المسلمين . وقيل إن المعتمد بن عباد كان أحد المهنئين . وأكثر من هذا ظل أبوه العباد المعتضد بالله يدفع صاغراً باسم أشبيلية إتاوة سنوية للملك فرديناند بن سانشو نظير مظاهرته !

ولعل هذا هو ما حدا بمفكري المرحلة وأدبائها ـ أبي حفص الهوزني مثلاً والسميسر خلف الإلبيري ـ إلى أن ينادوا بالتوحُّد والتعاضد ونبذ الخلاف والتفرّق ، بل إلى حمل السيوف لمقاومة زحف القوى المستظلة بالصليب .

لكن هذا كان شيئاً وما خطّه القدر شيء آخر . فإن بني عباد ـ فيما ذكر المؤلف ـ طوال مدة حكمهم

من المكتبة السعودية

«التي ناهزت بضعاً وسبعين سنة» ص (٩) ، لم يوفقوا التوفيق الذي يثبت اقدامهم . فقد جاءهم الإعصار عاتياً من شمال أفريقيا .. اندفع به المرابطون ليعصفوا بالدولة ويقضوا على حكامها ، على الرغم من انها كانت نموذجاً للتقدّم الحضاري المتميِّز .

● حضارة العباديين : كانت المنطقة التي أرّخ لها يوسف حوالة قد عبرت مرحلتي حكم الولاة الأمويين الأوُل في الأندلس (٧١١ ـ ٧٩٩م) ، وحكم الدولة الأموية (٧٩٩ ـ ١٠٩١) التي استحدث فيها عبدالرحمن الناصر الخلافة المناوئة للخلافة العباسية في بغداد . وكان هذا يعني ببساطة أن المسلمين في الأندلس لم يعودوا في حاجة إلى اعتماد ما تفيض به بغداد أو دمشق أو البصرة أو غيرها ، وأنهم ـ بمرور الزمن عبوراً بعصور تقليد النماذج المشرقية ـ استقلوا عن المشارقة سياسياً واجتماعياً وفكرياً وفنياً . ومن ثم صار من العبث أن يذهب الأندلسيون بعيداً عن أشياء هي **متوافرة** لديهم، وأن يصر النقاد والمؤرخون على تقويم حضارتهم باعتبارها صورة مشرقية فيما لاحظه هنري بريس وهو يدرس ابن حزم .

على أن ما يريد أن يوضحه المؤلف هو أن إشبيلية كانت شاهداً على هذا التحوّل الإبداعي حتى قبل تسلط بني عباد على زمامها ، بل قبل أن يتولى أمورها بنو حمود ويخلعهم كبير العباديين ومؤسس دولتهم القاضي محمد بن إسماعيل اللخمي ، برغم تزايد حركة الاسترداد المسيحي ومناهضة الحلْف البربري الصقلبي له ، وما أكثر الحملات غير المجدية التي شنها طرفا الحِلْف على دولته !

ولقد بدت الدولة مع ذلك ، ومع الانقلابات الداخلية التي من أشهرها انقلاب اسماعيل بن **عباد المعتضد بالله على أبيه، تدير عجلة التطوّر** الحضاري قدماً . ومن خلال الأبواب الخمسة التي عقدها حوالة لبحث أوضاع إشبيلية في ظل بني عباد ، نتبيّن صورة لدولة راقية تنعم بالدعة وتخطط بنجاح لتقوية نفوذها .

ونلاحظ ههنا أن الجانب التاريخي سياسياً طغى على ما عداه ، ولم تستقل «الحضارة» بمعناها الدقيق culture إلا بالفصل الخامس فقط ، وضمّن هذا المدلول اصطلاح مدنية أو عمران Civilization ومن ثم جاء الباب على النحو التالي :

نظم الحكم (٣٧٣ ـ ٣٩٥) ، الحياة الاجتماعية (٣٩٦ ـ ٤٠٣) ، الحياة الاقتصادية (٤٠٤ ـ ٤٠٨) شديدة الإيجاز والغموض ، ثم الحياة العلمية والادبية (٤٠٩ ـ ٤٢٢) مضطربة مختزلة مع أن هذا الجزء من البحث هو ما يدخل في اصطلاح الحضارة بمدلول culture ، فضلاً عن العمران (٤٢٣ ـ ٤٣١) الذي ينتظمه اصطلاح Civilization .

وهذا يعني أمرين : أولهما أن الكتاب الذي شغل (٤٣١) صفحة باستثناء صفحات الخاتمة التقليدية والملاحق ، لم يكن متوازن الأبواب والفصول . فقد شغل الباب الأخير ثمانية وخمسين صفحة فقط ، وبقية الصفحات معاد معار ، ويشكل نوعاً من التاريخ يُكتفى فيه غالباً بتنظيم ما سبق إليه الأولون .

وأما الأمر الثاني فإنه إذا كان عنوان الكتاب يشي بنظرة جديدة إلى التاريخ تجعل منه موضوعاً حيوياً ومهماً في حقل المعرفة وله دوره في فهم **الحاضر، فقد أخفق المؤلف ـ ودليل إخفاقه** هو تكرار ما قيل بلا تمحيص ولا جدة ـ نقول أخفق في جعل ذلك الحيّز الزماني المكاني جزءاً من حركة التطور العالمية ، بل جزءاً من البحث الذي يرى أن الثورات الحضارية ليست إلا نتائج متصلة لجهد كل الشعوب ، وما أغزر ما قدم شعب إشبيلية في حضارة أوروبا الراهنة من علوم وفنون وفلسفة تزعزع النظرية الغربية التي تقرر أن حضارتها ليست وليدة الحضارات القديمة ومنها حضارة الإسلام !

إن الباحث مطالب بالمقارنة ، ولو اعتمدها لتبيّن دور إشبيلية في بناء الحضارة الراهنة ، ولصار البحث كله غير البحث ، والله الموفق .

الشعر والشاعر

شعر : د. صالح الرّحال

إذا شَمَمْتَ عَبيرَ الشِعرِ واحترَقَتْ ... في أصْغَرَيْكَ القوافي الآيَةُ العَجَبُ

وَسَالَ مِنْ قَلمِ الإبداعِ مُنْتَظَماً ... في الطِرْسِ ترصُدُهُ الأفلاكُ والشُهُبُ

هَوَىً يُفتِّتُ أكبادَ الصخورِ لِما ... يجتاحُهُ مِنْ لَفيحٍ وَقْدُهُ لَهَبُ

أوْ فِكَرةٌ مِنْ خَيالٍ شاءَ مُبدِعُها ... أنْ يشتهي ثَغرَها التاريخُ والحِقَبُ

أو أنّها مِنْ سماءٍ كَوثَرٌ سُفِحَتْ ... أو زفرةٌ في عَميدٍ هَدّهُ النَصَبُ

وإنْ سَمَوْتَ بِهِ حَتى التَحَفْتَ سُهىً ... وَطرتَ والكونُ مَشدوهٌ وَمضْطَرِبُ

وَأنتَ في عالَمٍ سِحريّ لامِلاً ... يَرقى إليكَ ولا يَقتادُكَ الطَلَبُ

فَاعلَمْ بِأنَّكَ أنتَ الشِعرُ مبدعُهُ ... لا فرقَ بينكما ، أوْ أنتُما الأدَبُ

موضوع علمي

مخترعات سبقت إليها الحيوانات

إعداد ورسم: د. هشام أبو عودة



أعجب لمن يقول بأن الإنسان هو الذي توصل إلى جميع المكتشفات العلمية التي ينعم بها الآن، وأنه أقدر مخلوقات الله على الاكتشاف واستغلال هذه المكتشفات لمصلحته. فالمتأمل للكون سيجد أن الإنسان في بعض الأحيان ما هو إلا مجرد «مُقلِّد» لمخلوقات الله الأخرى، ولا يحق له التباهي بأنه أول من اكتشف النظريات والحقائق العلمية وطوّعها لخدمته. لقد أنعم الله على الإنسان بنعمة العقل والتفكير، ولكنه لم ينس مخلوقاته الأخرى فأعطاها سعة الحيلة والتدبير وفطرها وأتاح لها أن تكتشف ما يتناسب مع أمور معيشتها، وهكذا فإنها سبقت الإنسان إلى تلك المكتشفات.

لقد قام المكتشفون من البشر في كثير من المرات بتكرار ما تفعله النباتات والحيوانات منذ آلاف السنين. ويقول أحد العلماء في هذا الصدد: إن تقنية الإنسان ما تزال متخلفة عما هي عليه في الطبيعة. فعلى سبيل المثال، اكتشف الإنسان أن أشجار الكينا يمكن استخدامها كدواء لشفاء الأمراض عندما لاحظ أحد العلماء في غابات الأمازون أن القردة تضع أوراق هذه الأشجار بعد مضغها على الجروح التي تصيبها. وبتحليل الأوراق وجد العالم أنها تحتوي على مادة «الكينين» والتي دخلت حيز الاستخدام الطبي منذ ذلك اليوم وإلى هذا التاريخ. وسوف نستعرض على الصفحات التالية بعض هذه الاكتشافات التي سبقتنا إليها مخلوقات الله الأخرى.

تكييف الهواء

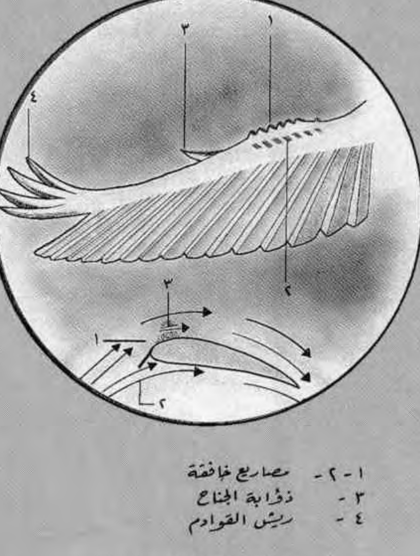
يستمتع الإنسان بأنه يعيش في بيوت مكيفة الهواء صيفاً ، ولكنه لا يدري أن **بيوت النمل الأبيض كانت مكيفة الهواء** منذ أن ظهرت هذه المخلوقات على سطح الأرض ، **وما تزال** كذلك . ويقوم النمل الأبيض ببناء بيوت من الطين هرمية الشكل يبلغ ارتفاعها ستة أقدام في الصحراء الحارقة وخصوصاً **صحراء كالاهاري الإفريقية** ويحفر أنفاقاً تحت هذه البيوت تصل أعماقها إلى خمسمائة قدم بحثاً عن جداول الماء الجوفية . وعندما يصل إلى الماء ، فإن الماء يتبخر صاعداً إلى الأعلى في بيوت النمل ليزيد من مستوى الرطوبة فيها .. ويبني النمل الأبيض شبكة أخرى من الأنابيب بالقرب من السطح ليصعد منها الهواء الحار القديم بينما يدخل هواء آخر يتم تبريده في غرفة التهوية في قاع البيت ومنها يتوزع على بقية أجزاء البيت . ولبعض بيوت النمل منافذ وفتحات في أسفل البيت يدخل الهواء **النقيُّ المتجدد منها.**

ولبناء هذا العمل الهندسي المحكم تقوم ملايين الشغالات «العمياء» بتنسيق الجهود فيما بينها **حيث تشرف كل مجموعة منها على بناء جزء من أنفاق التهوية، بينما تقوم المجموعات الأخرى** باستغلال الرطوبة في إنماء الفطر داخل البيت وهو الغذاء الرئيسي للنمل الأبيض في هذه الصحراء الجرداء .

الطـائرة

إن تصميم جناح الطائرة تم بناء على دراسة أجنحة الطيور على مر السنين ، فالتقوس والتحدب في جناح الطائر يعطيه دفعاً للأعلى **يحتاج إليه للتغلب على قوة الجاذبية الأرضية، ولكن إذا انحرف الجناح إلى أعلى بدرجة كبيرة توقف الطائر أو سقط.**

ولتلافي ذلك ، فإن للطائر **مصاريع خافقة flaps من الريش** على حواف الجناح ترتفع إلى أعلى عندما يزداد الانحراف وتجعله يحافظ على ارتفاعه وذلك بمنع تيار الهواء الرئيسي من الانفصال عن سطح الجناح . وهناك سمة أخرى للتحكم في **الدوامات الهوائية وهي ذؤابة الجناح** alula وهي عبارة عن نتوء من الريش بإمكان الطائر رفعها مثلما يرفع الشخص إبهامه . وللتخلص من تأثير الدوامات الهوائية فإن لبعض الطيور مثل **طائر السَّمامة ، وطائر القطرس** أجنحة رفيعة ومسحوبة ذات أطراف صغيرة . أما الطيور الأخرى مثل **الصقور الكبيرة ، والعقبان** التي لها أجنحة كبيرة تتسبب في حدوث دوامات هوائية ، فإن الطائر يتحاشى الدوامات بفرد **ريش القوادم** pinions في مؤخرة الجناح . ولقد تبنى مصممو الطائرات العديد من هذه السمات ، ومع ذلك فإن أجنحة الطائرات **ما تزال** بعيدة كل البعد عن الإعجاز الهندسي الذي تتمتع به الطيور .



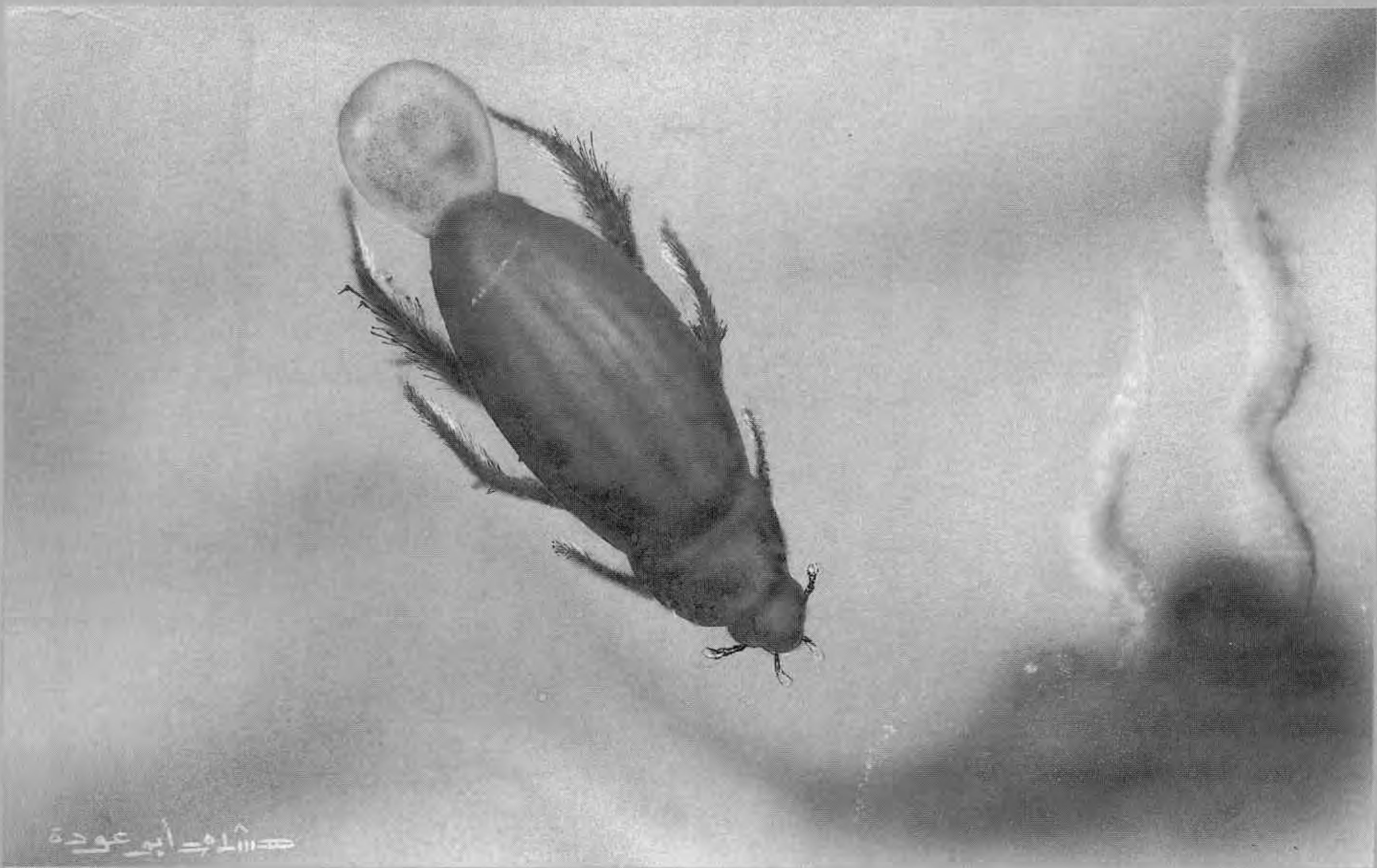
١ - ٢ - مصاريع خافقة
٣ - ذؤابة الجناح
٤ - ريش القوادم

جناح الطائر

مضادات التجمد

يستخدم البشر **مادة الجلايكول glycol** في مُشِّع السيارة **(الرادييتور)** كمادة مضادة للتجمد إذا كانوا في مناطق باردة ، أو كمادة لمنع غليان ماء التبريد إذا كانوا في مناطق حارة إذ **إنها** تزيد درجة الحرارة التي يغلي عندها الماء . ولكن بعض النباتات الدقيقة تستخدم مادة شبيهة **بالجليسرين glycerol** لتقي نفسها من التجمد في البحيرات القطبية الجنوبية ، وتوجد المادة أيضاً في الحشرات التي تعيش في بيئات لا تزيد درجة حرارتها **على** أربع درجات فهرنهايت تحت الصفر . **وتوجد أسماك تقوم بإنتاج مضادات التجمد مما يمكنها من العيش في مياه المحيطات القطبية** ، كما أن **بعض الأشجار** تستطيع البقاء في درجات حرارة تصل إلى أربعين درجة تحت الصفر لأنها تحتوي على ماء نقي جداً دون جسيمات غبار أو شوائب يمكن أن تتكون عليها بللورات الثلج .





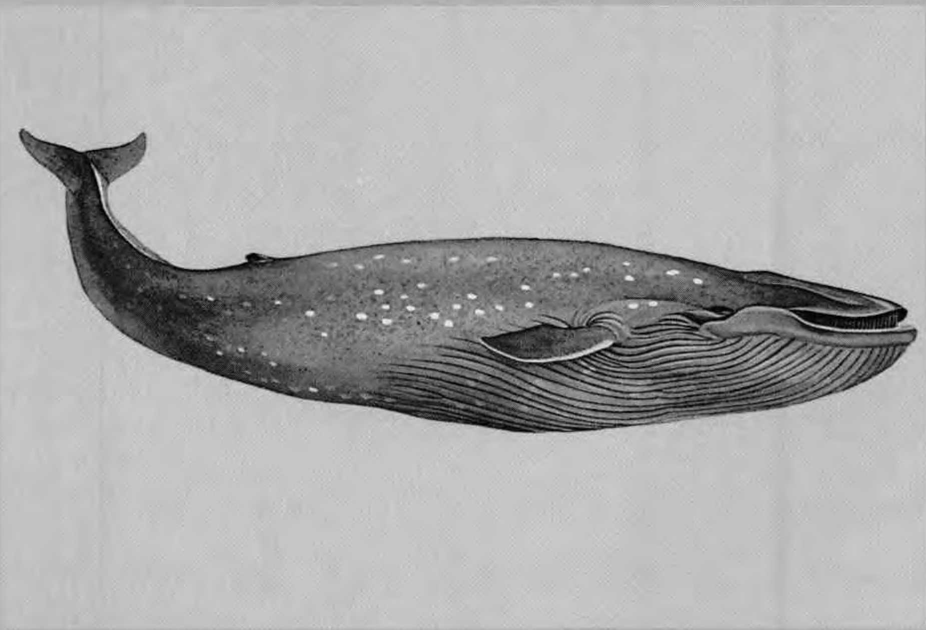
التنفس تحت الماء

يربط الغطاسون خزانات الهواء على ظهورهم ليتمكنوا من البقاء تحت الماء لمدة تقارب الساعة ، ولكن **بعض خنافس الماء تقوم بنفس الشيء منذ الأزل ولكن بطريقة أكثر بساطة** من ذلك حتى إن فترة بقائها تحت الماء تزيد على الساعة ، فهي تأخذ فقاعة من الهواء ثم تغطس . وتؤدي هذه الفقاعة عمل الرئة **للخنفساء** إذ تأخذ **ثاني أوكسيد الكربون** من الخنفساء وتسربه إلى الماء ، ثم تأخذ **الأوكسجين** المذاب في الماء لتتنفسه الخنفساء في انتظارها الطويل تحت الماء لاصطياد غذائها .

تحلية المياه

يبني البشر مصانع ضخمة لإزالة الملح من مياه البحر لاستعمالها في الشرب ، ولكن **أشجار المنغروف mangrove** (وهو شجر استوائي تنبثق من أغصانه جذور جديدة) لها جذور تمتص ماء البحر وتقوم بترشيحه خلال أغشية خاصة . وهناك نوع منها يطلق عليها اسم **ابن سينا** Avicenna له غدد على السطح السفلي لأوراقه للتخلص من الملح . أما **طيور البحر مثل النورس ، والبجع ، والغاق ، والقطرس ، والنوء** ، فإنها إذا عطشت شربت ماء البحر **وتقوم بترشيح الملح بواسطة غدد في رؤوسها** . وتوجد هذه الصفة في **طائر البطريق ، وسلاحف البحر ، وعظاية الإجوانا** أيضاً .





الكهرباء

هناك خمسمائة نوعٍ من **الأسماك الكهربية ذات نوع من المراكم (البطاريات) في أجسامها.** **فسمك القط الإفريقي** مثلاً يمكنه انتاج طاقة كهربية تصل إلى (٣٥٠) فولط، كما أن **سمكة الشفنين** ray fish العملاقة والتي تعيش في **شمال الأطلنطي** تُوَلِّد نبضات كهربية مقدار كل منها ستون فولطاً. أما **سمك الأنقليس الكهربي** electric eel الذي يعيش في **أمريكا الجنوبية** فتبلغ قوة الصدمات الكهربية التي يولّدها (٨٨٦) فولطاً.

الــورق

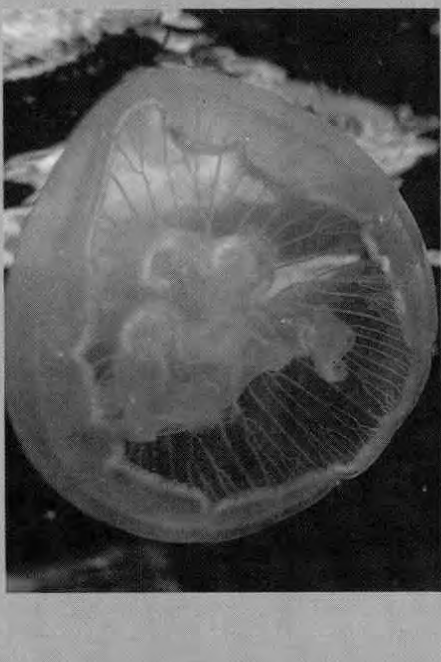
صنع **المصريون القدماء** الورق **من البردي** منذ آلاف السنين وتبعهم **الصينيون** في صناعة الورق من لب الخشب ولكنهم جميعاً **جاؤوا** متأخرين عن **حشرة الدبّور wasp** ، **وحشرة دبور السترة الصفراء** ، حيث تقوم شغالاته المجنّحة بمضغ الخشب المتحلل لإنتاج ورق رمادي اللون تصنع منه أعشاشها . أما **دبّور الهورنيت** فيقوم بصنع أعشاش كبيرة مستديرة الشكل يعلقها على الأشجار ، ويكون الغطاء الخارجي للعش مصنوعاً من ورق قوي يقوم بإنتاجه، ويفصل الطبقات بعضها عن بعض بفراغات هوائية لعزل الحرارة. وتبلغ كفاءة جدران العش الورقية كفاءة جدار سُمكه أربعون سنتيمتراً.

الدفع النفاث

عندما تسافر في **طائرة** فإنك تسافر **بقوة الدفع النَفّـاث** . ولكنك لا تـدري أن كثيراً من الحيوانات تستخدم الدفع النفاث منذ آلاف السنين ، **فالأخطبوط والحبّار** متفوقان في هذه الناحية ، فهما يمتصان الماء في غرفة خاصة في جسميهما ثم يطردانه بواسطة عضلات قوية فيحدث رد الفعل المضاد الذي يدفعهما للأمام . ومن الحيوانات التي تستخدم الدفع النفاث **حيوان النوتي ، والأسقلوب ، ويرقة حشرة اليعسوب ، وقنديل البحر** ، وحتى بعض أنواع العوالق البحرية **(البلانكتون)** .

المحركات

سبقت **البكتيريا** الإنسان بآلاف السنين في صناعة المحركات الدوارة ، فبعض البكتيريا لها زوائد كالشعر مجدولة بعضها مع بعض لتكوين لولب قوي مثل مفتاح الزجاجـات .. وتقوم البكتيريا بإدارة هذا الذيل مثل رفّاس السفينة فيدفعها إلى الأمام ، كما أن بإمكانها أن تعكس حركته أيضاً . ولا يعرف العلماء حتى الآن الطريقة التي يعمل بها هذا المحرك . ويزعم أحد التقارير العلمية أن البكتيريا يمكنها أن تكتسب سرعة تعادل حوالي (٤٨) كيلو متراً في الساعة .



المصباح الكهربائي

سجل التاريخ **لتوماس اديسون اختراعه للمصباح الكهربائي** ، ولكن هذا المصباح لا يتمتع بكفاءة عالية حيث إنه يفقد معظم الطاقة الكهربية على شكل حرارة . ولكن **اليراعة firefly (ذبابة النار)** تقوم بعملٍ أفضل في هذا المجال حيث إنها تضيء مصباحها الكهربائي وتطفئه وقتما تشاء ، كما أن بإمكانها أن تنتج ضوءاً بارداً لا يفقد أي طاقة على الإطلاق . وهناك الكثير من **أنـواع الإسفنج والطحـالب والبكتـيريـا والديدان تشع ضوءاً باهراً** ويُطلق على هذا الضـوء اسـم **الضـوء الحيـوي** **bioluminescence** .

وتشع **بعض أنواع البكتيريا البحرية** بأضواء في الظلام كأضواء الفلورسنت الخافتة حيث تقوم بتصنيع خميرة (إنزيم) تُدعى **لوسيفيريز Luciferase** من شأنها أن تنشط تفاعلاً كيماوياً تكون نتيجته هذا الضوء . وهناك فصيلة من **القشريات البحرية** تدعى **سيبريدينا** تنتج ضوءاً حيوياً كالذي تنتجه ذبابة النار ، وقد استغل **اليابانيون** ذلك فكانوا يأخذون هذه



الحيوانات البحرية ويصنعون منها مسحوقاً ، وكان ضباط البحرية اليابانية يستخدمون الضوء الناتج عنه في قراءة الخرائط في الظلام أيام الحرب ، كما كان الجنود يستخدمونه وذلك بأن يضعوا قليلاً من هذا المسحوق على ظهورهم ويبللوه بلعابهم حتى يرى الجنود بعضهم بعضاً وهم يسيرون بعضهم وراء بعض في الغابة أثناء الليل.

ومن الديدان المنتجة للضوء دودة «سكة الحديد» Rail Road worm ، فهي كالقطار الصغير تتحرك وعلى رأسها أضواء أمامية حمراء اللون وأحَدَ عشر زوجاً من الأضواء البيضاء أو الخضراء الشاحبة على جوانبها والتي تبدو كنوافذ القطار .. ومن الأسماك المضيئة سمكة لم يجد العلماء أفضل من اسم **«المشعل الكهربائي» flashlight fish** لتسميتها به .

السونار والرادار

وكما يعرف الجميع **فالرادار RADAR** يكشف عن مواقع الأجسام الطائرة بواسطة إشارات الراديو التي يرسلها فترتد إليه من تلك الأجسام ، أما **السونار SONAR** فيستخدم للكشف عن مواقع الأجسام تحت الماء باستعمال **الموجات الصوتية** . وما تزال تقنية البشر متخلفة في هذين المجالين عن التقنية التي تستخدمها الحيوانات . فرادار الخفاش باستطاعته رصد



مواقع الأجسام الصغيرة جداً والتي لا يستطيع الرادار الذي صنعه البشر التقاطها ، ولو وضعنا خفاشاً في غرفة مظلمة تتدلى فيها غابة من الأسلاك الدقيقة فإن باستطاعته تفادي هذه الأسلاك بواسطة **الإشارات فوق الصوتية supersonic** . وتستخدم **طيور الزيت** أيضاً خاصية التعرف على **موقع الصدى** echo location كلما دخلت أو خرجت من الكهوف التي تعيش فيها ... أما **السونار** فيوجد في **الدلافين** ، **والحيتان** إذ تستخدمه منذ أن ظهرت على وجه الأرض للتعرف على موقع غذائها في أعماق البحر .

الغواصات

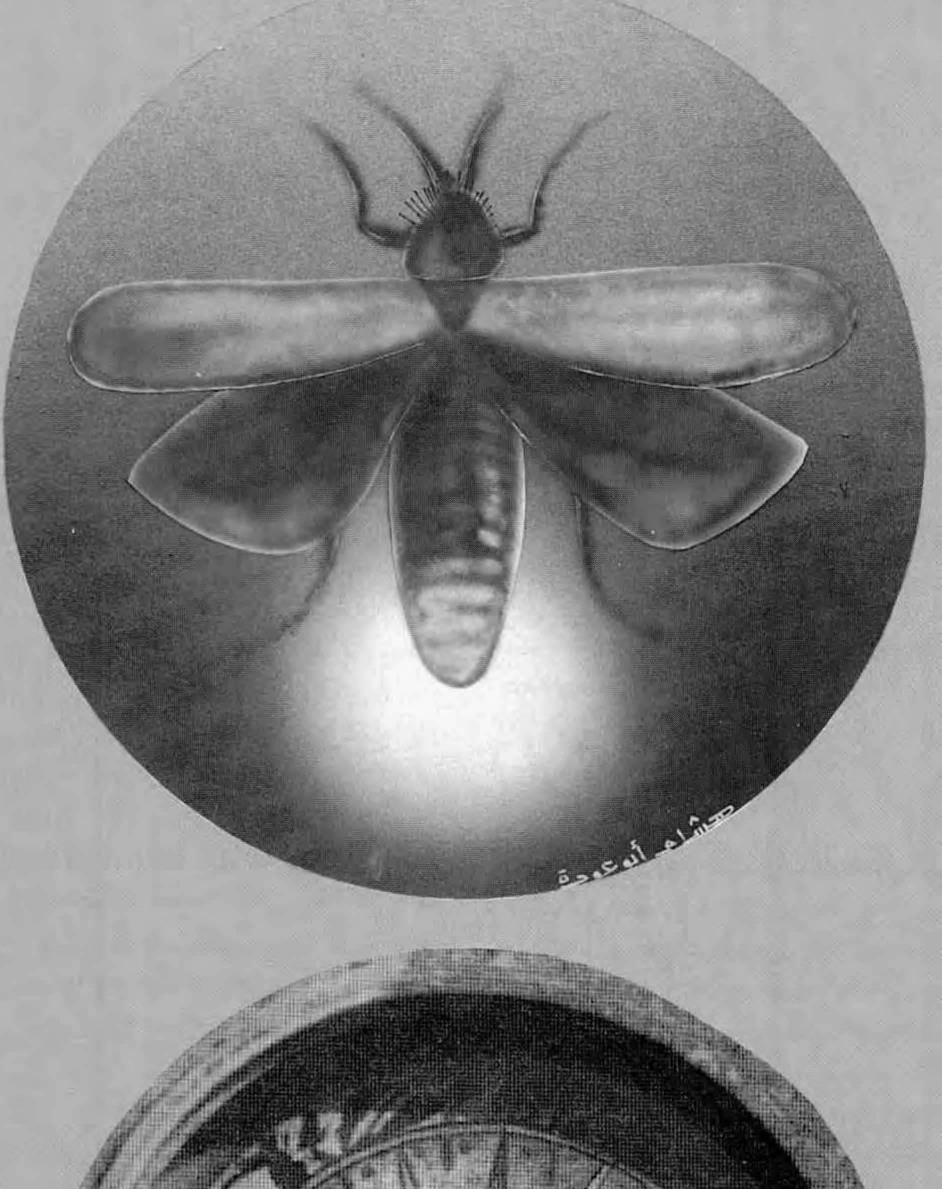
كثير من الغواصات كانت توجد قبل أن يخترعها الإنسان ، **فالشعوعيات Radiolarians الميكروسكوبية** لها قطرات من الزيت في **بروتوبلازم** خلاياها تستطيع بواسطتها تنظيم وزنها وبالتالي التحرك إلى أعلى وإلى أسفل في المحيط . أما **النوتي البحري** فإن له صدفة مقسمة إلى غرف تشبه صهاريج الطفو في الغواصات الحديثة . وبتغيير نسبة الماء والغاز في هذه الصهاريج يستطيع الغوص إلى العمق المناسب الذي يرغب فيه . ولهذا أطلق عليه العلماء اسم **النوتي ذو الغرف Chambered Nautilus** أما اللسان العظمي **لسمكة الحبّار** (وهي الصدفة الداخلية المتكلسة) فهو مملوء بالتجاويف ، وللتحكم في عملية الطفو يضخ الحبّار الماء خارج جسمه مما يسمح للغاز بأن يملأ تجاويف اللسان العظمي التي تقوم بوظيفة خزان الماء في الغواصات . ولن نتحدث عن كيس العوم في الأسماك فالصغير والكبير يعرف ذلك .

مقياس الحرارة (الترمومتر)

اخترع الإنسان **مقاييس الحرارة** في القرن السابع عشر الميلادي ولكنها لا تقارن بتلك الموجودة في الطبيعة ، **فقرن استشعار الناموسة** يمكن أن يحس بتغير في درجة الحرارة يبلغ مقداره جزءًا من ثلاثمائة جزء من درجة فهرنهايت واحدة . أما **الحية ذات الأجراس** فإن لها تجويفين على جانبي الرأس تحس بهما التغير الطفيف في درجة الحرارة والذي لا يتعدى جزءاً واحداً من ستمائة جزء من درجة الفهرنهايت

موضوع خاص

مخترعات سبقت البشر الحيوانات



الواحدة . كذلك يستطيع **ثعبان البوا boa (الأصلة)** الاستجابة للتغيّر في درجة الحرارة للتعرف على فريسته في زمن لا يزيد عن (٣٥) ميللي ثانية (أي ٣٥ جزء من ألف جزء من الثانية) حتى إذا كان ذلك التغير أقل من درجة واحدة .

البوصلــة

في حوالي القرن الثالث عشر الميلادي بدأ الناس في **استخدام الإبر المغناطيسية** التي تطفو على كوب من الماء **كأول بوصلة في التاريخ** ، ولكنها ليست الأولى بأي حال ، **فالبكتيريا** تحتوي على خيوط من جزيئات مغناطيسية تصلح لأن تكون بوصلة ، وهذه البوصلة تهتدي بها البكتيريا إلى الأوساط الغذائية المناسبة .

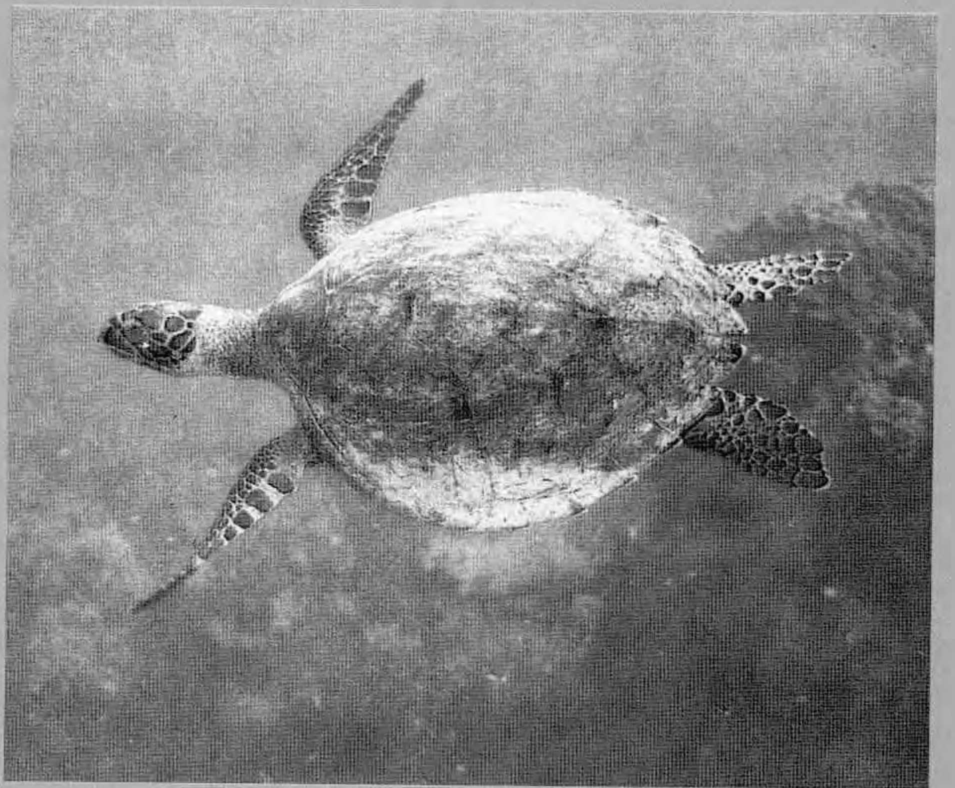
ويوجد **أوكسيد الحديد الأسود (المغنتيت) magnetite** في مخلوقات عديدة أخرى كالطيور ، والنحل ، والفراش ، والـدلافين ، والمحـار ، وغيرها . والكل يعرف قدرة **الحمام الزاجل** على الاستدلال بالمجال المغناطيسي للأرض للعودة إلى المكان الذي انطلق منه . وسمعنا كذلك عن البـوصلات المغنـاطيسية في رؤوس الطيـور المهاجرة .





الحاضنات

يصنع الإنسان الحاضنات لتفقيس البيض ولكنه في ذلك جاء متأخراً ، **فسلاحف البحر** وبعض الطيور تضع بيضها في الرمال الدافئة لحضانتها . وتضع طيور أخرى بيضها في **الرماد البركاني الدافيء** لنفس الغرض . وفي بعض الأحيان تغطي **التماسيح** بيضها بخضروات متحللة ومتعفنة لإنتاج الحرارة اللازمة لها .





ولكن في هذا المجال فإن **طائر المَلّي** هو أكبر الخبراء ، إذ يقوم بحفر حفرة كبيرة يملؤها بمواد خضارية ثم يدفنها مرة أخرى ، وتقوم الحرارة الناجمة عن تخمر تلك المواد بتدفئة البيض . وتقوم أنثى الملي بوضع بيضة واحدة فيه كل أسبوع وتستمر على هذا المنوال مدة ستة أشهر ، وخلال ذلك الوقت تنحصر مهمة الذكر في فحص حرارة الموقع بغرز منقاره فيه ، فإذا كانت الحرارة عالية أزال بعض الرمل ، وإذا قلت الحرارة وضع المزيد منه أو المزيد من المواد الخضارية إذ إن درجة الحرارة في هذه الحاضنة يجب الا تتعدى ثلاثاً وثلاثين درجة مئوية مهما كانت درجة حرارة الطقس والتي تتراوح بين الحرارة العالية والتجمد خلال فترة ستة الأشهر

الســاعة

قبل أن يستعمل الناس **المزولة الشمسية لتحديد الوقت** استخدمت المخلوقات الحية الأخرى ساعات أدق لنفس الغرض ، فعند انحسار المد تظهر **النباتات الميكروسكوبية** المسماة **دياتومات diatoms** (وهي من الطحالب البحرية) على الشاطىء الرملي المبلل ، وعندما يعود المد تختفي في رمال الشاطىء مرة أخرى .
وإذا أخذنا هذه المخلوقات إلى المعمل ووضعناها تحت ظروف اصطناعية مشابهة لبيئتها الأصلية فإنها ستصعد فوق الرمل ثم تختفي فيه في الوقت نفسه الذي تعودت أن تقوم بهذه العملية فيه وكأن المد والجزر موجودان مما يدل على وجود ساعة بيولوجية تدق في خلاياها في أوقات محددة .
أما **السرطان العازف Fiddler crab** فإنه يتحول إلى لون داكن ويخرج إلى الشاطىء من مكمنه عند الجزر ، ويتحول إلى لونٍ شاحب ويتراجع أثناء المد . وفي المعمل بعيداً عن المحيط ، يتحول إلى لونٍ داكن في الوقت المحدد للجزر تماماً وإلى اللون الشاحب في الوقت المحدد للمد .

□□□

المراجع

(١) هشام أبو عودة : «الحشرات تقودنا إلى الذهب» ..تحت النشر .

2. Janos. Leo: Bacteria's motors Work in forward, reverse, and twiddle. Smithsonian, sept. 1983, P. 134.

3. How Life Learned to live, by Helmut Tributsch, 1982, P. 204, P. 68, P. 172.

4. Science Newsletter, Aug. 1975 23/30, P. 126.

أخاف ليالي القمر



سمو الأمير عبد الله الفيصل

شعر: عدنان أسعد

مهداة إلى الأمير الشاعر عبدالله الفيصل معارضة لقصيدته «أخاف من الظلام»

التي نشرتها مجلة «الفيصل» ع ١٣٦، شوال ١٤٠٨هـ/مايو ١٩٨٨م.

فتىً يهواك. لا يشقىٰ سواهُ
أجَلْ. وخُطاهُ، لا تقوىٰ خُطاهُ

تراهُ وبَسْمةُ الراضي عليهِ
وترثي حالَهُ إذْ ما تراهُ

ويحسبُهُ الخليُّ قريرَ عَيْنٍ
وعيناهُ يبلِّلها شجاهُ

ودنيا الناسِ قد ضاقتْ عليهِ
وما وَصَفَ الطبيبُ لهُ دواهُ

يَحِنُّ لأمسِهِ أبداً حنيناً
وهيهات الرجوع إلى صِباهُ

أخاف ليالِيَ القَمَرِ المُعَنَّى
وكنتُ أخاهُ.. لا أرضىٰ سواهُ

حبيبي شاقني للحبِّ شوقٌ
فلا تحرمْ على صَبٍّ هواهُ

ودَعْني أستعين بحسنِ ظنِّي
على الأملِ المضيَّع أو أراهُ

بكيتُ وخانني مطلولُ دمعِي
وما عهدِي بهِ يُلقي عصاهُ!

حياتي غُرْبةٌ مِن بعد أُنْسٍ
وليلي ألْيَلُ حاشا دُجاهُ

وعمرِي ضاع في دنيا الأماني
تلاشى الصوتُ لم أسمعْ صداهُ

من أمراض الأطفال الناشئة عن أسباب عاطفية

بقلم: د. نصر محمد عبدالرحمن

وجع البطن كثير الانتشار بين الأطفال، ولذلك فإنه يمكن أن يقلّل من مردود دراستهم، لأنه يتكرر كثيراً، وينقص مجموع زمن دوامهم في مدارسهم. وإذا حصل هذا لطفل من الأطفال، ينبغي أن يثير اهتمام العائلة والمعلم والطبيب، وأن يتعاونوا كلهم على تقصّي الأسباب ومحاولة إزالتها. وهي في أغلب الحالات أسباب عاطفية.

تقدّر المراجع الطبية أن وجع البطن المتكرر يصيب واحداً من كل تسعة أطفال، من الذين تتراوح أعمارهم بين سنة وخمس عشرة سنة. **فإذا لم يكشف الفحص الطبي الدقيق سبباً عضوياً لوجع البطن الذي يتكرر مرات لا تقل عن ثلاث مرات ويدوم مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر، فإن الأسباب تكون أسباباً عاطفية.**

ومن الملامح العامة للتركيب النفسي (السيكولوجي) للطفل الذي يتعرض لهذه الاضطرابات العاطفية التي ينتج عنها المرض الجسماني أنه يكون على الأغلب قلقاً، عصبياً، كثير الخضوع، قليل المهارة في بناء العلاقات الاجتماعية والصداقات الشخصية.

وجع البطن المتكرر وأسبابه

يمكن أن تكون هناك أسباب عضوية لمرض وجع البطن المتكرر، ولما يصاحبه من أعراض، مثل أعراض البطء في حركة الأمعاء والشلل التشنجي في القولون. وقد دلّت الفحوص التي أجريت على مثل هؤلاء الأطفال أن القولون عند بعضهم مصاب بالمرض. كما أن نوع الغذاء الذي يتناوله الطفل بشكل متكرر قد يكون أحد عوامل الإحساس بالألم، ولاسيما سكر اللبن.

ولكن نسبة المصابين بوجع البطن لأسباب عضوية فقط هي واحد من بين عشرين، على وجه التقريب. أما آلام البطن المتكررة الناشئة عن أسباب غير عضوية فهي أكثر شيوعاً بين الناس من مختلف الأعمار، ولكن بين الأطفال بشكل خاص. وقد يبقى وجع البطن المتكرر الناشئ عن اضطرابات عاطفية مع الشخص المصاب به من أيام الرضاعة، عبر سنوات الدراسة، وحتى سنّ الكبار. وقد يكون مصحوباً بوجع الرأس. يخطىء إذن من ينظر إلى الأمراض التي ليس لها سبب عضوي على أنها أمراض وهمية.

كثيرة هي أنواع التغييرات التي تحدث في حياة الطفل والمراهق، فتسبب لهما هزّات عاطفية، وإذا كانت الصدمة العاطفية الناشئة عنها قوية، فإن ردّة الفعل لها يمكن أن تكون مرضاً متكرراً في عضو من أعضاء الجسم، أو في أكثر من عضو، مثل وجع البطن، ووجع الرأس ومرض الإسهال ومرض الإمساك والقرحة في الاثنىْ عشري والقرحة في القولون ومرض الربو ووجع الأطراف.

عندما يحوّل الطفل الرضيع من ثدي أمه إلى زجاجة الرضاعة تهزّه تجربة إجباره على هذا التحول هزّةً عاطفية قوية؛ وعندما يبلغ مرحلة تعلّم المشي، فإنه يتساءل لماذا يدرب على هذا النوع من الاستقلال ولكن لا يشجع على نيل أشياء كثيرة يعتبرها من حقوقه؛ وإذا انفصل الطفل الصغير السن عن أمه مدة من الزمن فإنه يفقد حنانها وحمايتها وتشجيعها، فيكون **هذا الفقدان سبباً في انحراف عواطفه** وشخصيته، وكذلك الحال إذا انفصل الطفل مدة من الزمن عن أبيه؛ والطفل الذي يداوم على المدرسة يحس بالتذمر من طلبات معلميه التي يتوجب عليه الخضوع لها من غير أن يفهمها؛ والمراهق تثور عاطفته على عوامل مقيدة كثيرة، ولا سيما القيود التي يفرضها عليه والداه.

حاجات الطفل العاطفية

مثلما يحتاج الطفل إلى أشياء مادية أساسية من أجل نموه، يحتاج أيضاً إلى أشياء عاطفية أساسية؛ **وأهم هذه الاحتياجات العاطفية الأساسية ثلاثة: الحنان المستمر، والقبول، والاستحسان**. فالحنان الذي تعبّر عنه الكلمات والأنغام والاحتضان وأفعال أخرى، يجب أن لا يذهب ويجيء، مثل ماء الصنبور، وإنما يجب أن يبقى مستمراً

ويجب أن لا يهدد الأبوان طفلهما بسحب حنانهما منه، عقاباً له على الأخطاء التي يرتكبها. والقبول ضروري في البيت، لأنه يعني أن الطفل ينتسب إلى العائلة، سواءٌ كان البيت حسناً أم سيئاً، وسواءٌ كان الطفل حسناً أم رديئاً. وأما الاستحسان فإنه ضروري من أجل بناء حسّ الأمن وحسّ الثقة بالنفس عند الطفل. وحاجة أخرى هامة هي حاجة الطفل إلى أن يعبّر عن نفسه، وإن شكلاً من الأشكال التي يعبّر الطفل بها عن هذه الحاجة الأخيرة هو اللجوء إلى المقاومة واتخاذ المواقف السلبية في بعض الأحيان.

المشكلات العاطفية والسلوكية

إن كل ما يحول دون إرضاء الحاجات العاطفية الآنفة الذكر إرضاءً حقيقياً يزيد في **قلق الطفل، فيكون له تأثير معوّق في نمو** شخصيته، ومن الممكن أن يتسبب في حدوث مرض عضوي فيه، بالإضافة إلى الأمراض **العصبية. وتكون المشكلات العاطفية التي** تتعرض لها نفس الطفل أخطر ما تكون في المرحلة الواقعة بين السنة الثالثة والسنة العاشرة من عمره، حيث تكون مشاعره نحو والديه، مثلاً، غير متّصفة بامتثال الأوامر،

ويكون في ذلك إزعاج لهما. فكثيراً ما يكون عدوانياً، سلبياً، عنيداً، وغير مطيع.

ويتعرض لنوبات من حدّة الطبع، وللكوابيس أثناء النوم، بسبب قلقه الزائد. ويعتبر كثيرون من الآباء والأمهات أن هذه الظواهر غير عادية، والحقيقة هي أنها ظواهر عادية؛ ففي خلال هذه الفترة، ينبغي أن يعطى الطفل الفرص لكي يعبّر عن عدوانيته بشكل معقول، لكي يتعلم حقيقة طبيعة هذا الإحساس، ويتعلم

من أمراض الأطفال الناشئة عن أسباب عاطفية



كيف يتعامل معه بشكل فعّال ، ولكن ينبغي الاهتمام بعدم تمديد هذه الفترة من حياة الطفل ، التي يحتاج فيها إلى إرضاءٍ كافٍ لرغباته الحسية الصبيانية الزائدة ؛ كما ينبغي عدم تقصير الفترة المذكورة أكثر من اللازم ، لأن تقصيرها يسبب للطفل إحساساً بالقلق المفرط المؤلم بعد انتهائها ؛ أما تطويلها فإنه يؤدي إلى عدم تعلم الطفل تحمل القلق المعتدل في حياته النفسية .

القلق النفسي

إن القلق الذي ينتج في نفس الطفل عن وفاة الأب أو غيابه الطويل عن البيت ، أو عن وفاة الأم أو غيابها ، أو عن وفاة شخص آخر مهم في حياة الطفل ، أو عن مرض أحد الأبوين أو فقده لوظيفته ، أو عن المسببات الأخرى للاضطراب العاطفي ، تتولد منه ردّة فعل قوية في نفس الطفل؛ **فيحولها الطفل، تحويلا نفسياً داخلياً ، إلى أمراض جسدية** ، مثل عسر الهضم أووجع البطن أووجع الرأس أوعدم السيطرة على المثانة . إن هذه الإحساسات المرضية الداخلية تكون في هذه الحالات أعراضاً تحويلية ثانوية ، يعبّر بها الطفل عن حالته العاطفية المضطربة .

يضاف إلى ذلك أن **المعاملة القاسية** التي يعامل بها الطفل من قبل القائمين على تربيته تسبب له المرض النفسي المعروف باسم حب تعذيب النفس (الماسوشية) ، وعندما يكون هذا المرض النفسي قوياً ، فإن الأمراض الجسدية وآلامها تصبح مطلباً هاماً عند ذلك الطفل .

إن إعطاء مثال على الوظيفة التحويلية للمرض العضوي الناشىء عن اضطراب عاطفي يفيد في توضيح الفكرة . إن الطفل الذي يصاب بقلق شديد أو بصدمة عاطفية بسبب المعاملة القاسية التي يَلقاها في المدرسة، أو بسبب تبديل مدرسة أخرى بمدرسته، يعاني نوبة ألم في البطن؛ فإذا أبقت الأم هذا الطفل في البيت من أجل الراحة فإن هذا يزيد من وجع البطن عنده . وينتج عن ذلك أن الطفل يحس فيما بعد بالألم في بطنه كلما رغب في الغياب عن المدرسة ، حتى في غياب المسبب الأصلي للقلق الذي نشأ من عوامل مدرسية من قبل . وتصبح هذه الأفعال نموذجاً ثابتاً فيما بعد لهذا الطفل . وقد تساهم المدرسة في تقوية هذا النموذج إذا اقترحت بقاء الطفل في البيت عندما تطرأ عليه آلام البطن .

إن ردّ فعل الجسم بالمرض العضوي على الاضطرابات العاطفية والآلام السيكولوجية يحدث للكبار كما يحدث للأطفال ، ولكن هذا النوع من ردّ الفعل يكون أسرع لدى أجسام الأطفال ، ونسبة الإصابة به عند الأطفال أكبر منها عند الكبار ، لأن عواطف الأطفال أشد تأثراً بالمحرضات الخارجية والداخلية من عواطف الكبار ، ولأن أعضاءهم الداخلية أشد حساسية للمؤثرات العاطفية .

التأثيرات العائلية

إن الجزء الأكبر من التأثيرات العاطفية التي تفعل فعلها في نفس الطفل وفي صحة أعضاء جسمه يجيء من العلاقات العائلية في بيته . فالدلائل القوية تشير إلى الدور الكبير الذي تلعبه التأثيرات العائلية في اللاوعي في كل عضو من أعضاء العائلة طوال حياته، وفي أطفالها بصورة خاصة ، ولاسيما في سنوات عمرهم المبكر . **إن الاضطرابات العصبية والعقلية ، وكذلك الأمراض الجسدية الناشئة عن اضطرابات عقلية ، الموجودة في عضو من أعضاء العائلة ، تؤثر في الصحة العقلية والبدنية عند الأعضاء الآخرين فيها** ، ويكون تأثيرها في الأطفال أكبر ، إذ أثبتت الأبحاث وجود تأثيرات تقمص عاطفي بين الطفل وأبويه .

إن التأثير المتبادل بين مرض الطفل وأحوال عائلته يعمل في اتجاهين :

فمن الناحية الأولى : يغلبُ أن يكون مرض الطفل ناشئًا عن الأوضاع السيكولوجية المضطربة في داخل العائلة. على سبيل المثال، إذا فقد الطفل حب أبويه ودفء حنانهما، بسبب الغياب أو لأي سبب آخر ، فإن هذا الفقدان يجعل الطعام غير مقبول عنده ، فتنشأ عن ذلك اضطرابات معوية ومعدية في جسمه ، بما في ذلك احتمال التهاب غشاء القولون المخاطي . ومثال آخر هو ما يحدث عندما يقوم أحد الوالدين بمحاولات غير حكيمة لتشديد القبضة على الطفل ، ولفرض الإرادة عليه بشدة زائدة . إذْ تحدث مقاومة سلبية وثورة مكبوتة من جانب الطفل على هذه السيطرة الزائدة ، وتصحب الثورة المكبوتة أعراض عصابية تضر بصحة الطفل ، ويفرغ الطفل هذه الثورة المكبوتة على شكل نوبات من القلق والخوف . ويغضب الطفل من هذه السيطرة ، ويريد أن يعبر عن غضبه ، ولكن هذا غير مسموح به في العائلة ، فيصاب بخيبة الأمل ، وكثيراً ما تؤدي هذه الانفعالات إلى إصابته بوجع البطن .

ومن الناحية الثانية : يكون مرض الطفل على الأغلب عاملاً مؤثراً في الأوضاع السيكولوجية لجميع العائلة ، ويصبح محوراً تدور حوله صراعاتها . فقد لاحظ الباحثون أن العائلات المهمومة هي التي ينتمي إليها الأطفال الذين يصابون عادة بمرض البطن المتكرر . إن هذه العائلات تواجه صعوبة في الاتصال مع غيرها كلامياً ، وفي التعامل مع الصراعات فيما بين أفرادها، لأنها تكون عاجزة عن حل المشكلات وهكذا فانه بالإضافة إلى أن الصراعات العائلية تنتقل إلى داخل جسم الطفل على شكل قلق ومخاوف ومرض عضوي ، يصبح مرض الطفل ذاته مركزاً تلتقي عنده هموم أفراد العائلة ، لأن هذا التركيز يسمح لهم بتجنب النظر في أمور أخرى تحتاج إلى حل ، مثل الصراع بين الزوجين ، ومثل مشكلات الصغار الآخرين. وفي بعض العائلات ، يغلب وجود نموذج ثابت في مواجهة الصراع العائلي ، حيث يعالجون القلق والتوتر الموجود في العائلة بإصابتهم جميعهم أو معظمهم بالآلم : فالأم ، مثلاً ، تصاب في هذا الظرف بوجع الرأس ، ويصاب الأب بآلام الظهر ، إضافة إلى إصابة طفلهما الصغير بألم البطن .

المنشأ العاطفي للمرض

يشكو الطفل ، على نحو نموذجي متكرر ، من نوبات من الآلم يحسّ بها قرب السرة ، توقفه عن اللعب ، وتجعله يستلقي على الأرض أو الفراش ، ويصفرّ وجهه أثناء الإحساس بالآلم ، ويمكن أن يتقيّأ . وبعد بضع ساعات ، تتحسّن حالته وتزول الأعراض . ويكون السبب سبباً عاطفياً في أغلب الحالات . **ومن الأدلة على المنشأ العاطفي لمرض وجع البطن المتكرر التماثل في شخصية الأطفال الذين يصابون بهذا المرض . فهم عادة أطفال مشدودو الأعصاب ، كثيرو الضوضاء وسريعو التهيج، كثيرو الذعر، والتهيّب ، شديدو التعلق بالأم ، يخافون من**

أشياء وهمية ، ويعانون مصاعب في نومهم ، ويواجهون مشكلات في تعاملهم مع طعامهم، ومشكلات أخرى في دراستهم. وجميع هذه الأعراض تدل على اضطرابات عاطفية . وكثيرا ما تنشأ عن الاضطرابات العاطفية آلام أخرى متكررة بالإضافة إلى ألم البطن ومتزامنة معه ، مثل التقيؤ المتكرر وألم الرأس المتكرر والحمى وآلام الأطراف المتكررة .

العــلاج

إذا اكتشف الطبيب أن المرض عضوي فإن علاجه يكون محدداً . أما إذا أصبح الطبيب على ثقة من أن المرض العضوي غير موجود في الطفل ، ومن أن سبب المرض هو سبب عاطفي ، فإن **العلاج النفسي (السيكولوجي) يكون هو الحل للمشكلة.**

يبدأ الطبيب بالتأكيد للطفل ولذويه أن المرض العضوي غير ممكن تشخيصه في هذه الحالة ، وهذا التأكيد ضروري لأنه يبني أساس الثقة بين الطبيب والمريض وذويه. ويوضح الطبيب للعائلة وللطفل حقيقة وجود الألم ، وطريقة نشوئه ، ويبين لهم أن السبب الكامن وراءه هو القلق ، وأن الألم هو ردّ فعل الجسم لهذا القلق .

وغالباً ما يكون هذا التوضيح كافياً لعلاج الألم ، لأن الطبيب يؤكد مع التوضيح أن على الطفل أن يقبل بالألم ، فيصبح اقتناع الطفل بمسؤوليته حافزاً على أن يصمم على تجاهل المرض .

أما في الحالات التي لا يكفي فيها تأكيد الطبيب وتوضيحه عن كيفية نشوء المرض ، فإنه يعلم الطفل وذويه طرق السلوك المناسبة لعلاج المرض ، ويبين أهمية تعاون الأبوين والمدرسة في ذلك .

ويقوم برنامج العــلاج الذي تتنـاوله إرشادات الطبيب على قاعدتين :

أولاهما : اعتراف الطفل بالألم وتشجيعه على الكلام عن الأسباب النفسية التي تكمن وراء ردود الفعل المرضية في جسمه . إن تشجيع المريض على التعبير عما يخفيه صدره يفيد كثيراً في معالجة المرض النفسي وكذلك المـرض العضوي الناشيء عن اضطرابات عاطفية ، لأنه وسيلة سيكولوجية جيدة لإنقاص درجة التوتر العاطفي . على سبيل المثال ، عندما يغيب أحد الوالدين أو كلاهما عن الطفل ، فإنه يمر بفترة حداد ، يعبر فيها عن حزنه بطريقة تختلف عن طريق تعبير الكبار تماماً . إن الكبار يعبرون عن حزنهم على فقد شخص عزيزعليهم بالتعبير اللفظي وبالطرق السيكولوجية . أما الأطفال فإنهم يعبرون عن عواطفهم الحزينة باستعمال الأجهزة الحسية الحركية وأجهزة الهضم ، بدلاً من أجهزتهم السيكولوجية . **إنهم يعبرون عن خوفهم بفقد السيطرة على المثانة وعن حزنهم الشديد باضطرابات في القناة الهضمية ، تظهر على شكل تقيؤ أو إسهال أو إمساك أو غير ذلك ، أو بسلوك يثير إزعاج الآخرين** . وتطول مدة هذا النوع من ردّ الفعل أشهراً أو سنوات . فإذا قبل الكبار هذا التصرف من جانب طفلهم بحنان ، وشجعوه على الكلام عن الأسباب العاطفية التي أدّت إليه ، فإنهم يساعدونه على التخلص من مشكلته ؛ وأما إذا انتقدوه ووبخوه وعاقبوه على ردود الفعل المذكورة ، فإنهم يزيدون مشكلته تعقيداً .



القاعـدة الثانيـــة للعــلاج النـــفسي للأمراض العضوية الناشئة عن أسباب عاطفية هي : أن يعلم الطفل كيف يتجاهل المرض وينساه بشكل تدريجي . ونعني بالتدرج في تجاهل الألم أن يعمد الطفل إلى تجاهله في اليوم الأول من أيام المعالجة قبل موعد توقفه الاعتيادي بربع ساعة ، وفي الأيام التالية يبكر بعملية النسيان العمدي للألم ربع ساعة في كل يوم أكثر من اليوم الذي قبله ، وتأتي أهمية استعمال طريقة تجاهل الألم في معالجة المرض العاطفي ، مثل وجع البطن ، من حقيقة أن المشاكل العاطفية لدى الطفل ولدى عائلته هي السبب الذي أدى إلى المرض. **فإذا استطعنا إزالة المشكلات العاطفية من نفسه، زال المرض وزالت أعراضه. إن المعالجة النفسية للمرض العاطفي ينبغي أن تتجه أساساً إلى إزالة العامل النفسي المسبب للاضطراب العاطفي، ولو عن طريق إسدال الستار عليه تدريجياً.**

ويستطيع الوالدان أن يساعدا طفلهما على إزالة النموذج المرضي من حياته بتجنبهما المبالغة في إبداء جزعهما له أثناء مرضه وبعده ، لأن جزعهما يقوي رسوخ نموذج المرض فيه ، ولا يساعده على نسيانه . وعندما يمر الطفل في دور النقاهة من مرض ناشيء عن أسباب عاطفية ، ينبغي على والديه أن يشجعاه على أن يحصل على سرور من تأدية الأعمال التي يتطلبها سد احتياجاته الشخصية بالاعتماد على نفسه ، لأن قيامه بتلك الأعمال يكون شكلاً من أشكال التجاهل للمرض . كما ينبغي عليهما أن يعلماه بلطف وحزم كيف ينقص إلى الحد الأدنى شعوره بإرضاء الذات من جراء المرور بتجربة الإصابة بالمرض .

المراجـــع

- Apley, John, **Paediatrics.** London: Bailliere Tindall, 1979.
Stone, F. **Psychiatry and the Paediatrician.** Sevenoaks: Butterworths, 1976.
- Ehrenwald, Jan. **Neurosis in the Family and Patterns of Psychosocial Defense.** New York: Harper & Row, 1963.
- English, O. Spurgeon and Pearson, Gerald H.J. **Emotional Problems of Living.** London: Allen & Unwin, 1947.

بعض الأسس الفكرية

إن الفكر لدى الأمم هو معيار التقدم الذي تتمايز به أمة عن غيرها ، وان انطلاقة الفكر وسعة ميدانه ، يدلان على حريته ، وعلى أنه موضع اعتبار وتقدير من هذه الأمة التي تفسح له هذا المجال .

وقد أطلق الاسلام للفكر أوسع مجال ، فقد أطلقه يسوح في السموات والأرض للتفكر في خلقها وابداعها ، كما أطلقه في النفس الانسانية لسبر أغوارها واكتشاف آيات الله فيها .

والفكر في الاسلام هو الذي قامت عليه دعوته . لأن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن على محمد ليبلغه للناس ، لأنه دعوة فكرية تخاطب العقل ، وتبني عليه التكاليف .

ونتيجة لذلك وجدنا أن الأمة العربية التي أنزل عليها القرآن ، وتفاعلت معه ، انطلقت بعد زمن قصير لتعلم الناس ما نُزّل إليهم، ولتنتشلهم من الظلمات إلى النور . فكان علماؤها منارات يُهتدى بها على تعاقب الأجيال ، ولايزال هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم.

التعامل الاقتصادي

إن التعامل الاقتصادي سابق للفكر الاقتصادي ، لأن التبادل التجاري (مقايضة ، أو بيعاً وشراء) ، جاء متطوراً مع وجود الإنسان وتطوره ، وأعقب ذلك التفكير في وضع قواعد وضوابط لهذا التعامل ، تدرجت أيضا تبعاً لرقي الأمة وعراقتها بالحضارة .

وقد جاء الإسلام وللعرب قواعد وأصول في التعامل ، فاقر بعضها وعدّل من بعضها ، وحرّم بعضها ، ووضع قواعد أساسية ألزم المتعاملين بها .

واعتناء الإسلام بالناحية الاقتصادية لا يقل عن اعتنائه بالنواحي الأخرى التي ترتبط بها حياة الإنسان على ظهر هذه الأرض .

بل إن التعامل الاقتصادي إنما هو جزء من التطبيق العملي للعبادة، لأنه صورة من صور الحلال والحرام .

وقد تضمن القرآن قواعد أساسية ، وأوامر وتوجيهات . تتعلق بالسلوك الواجب اتباعه في التعامل . وفي كسب المال . وأرشد إلى سبل الإنفاق المحمودة ففرض بعضاً منها . وحث على صدقة التطوع والمسارعة في الخيرات .. **وفتّت الثروة بالإرث.** ليؤدي كل ذلك مفعوله في تداول الأموال، وإيجاد الرخاء بين أفراد المجتمع ، **ونهى عن التقتير والبخل** ، وذمَّ الشح وأهله ، وأعلن الحرب على الربا . **وأحلّ البيع والتجارة** ، واشترط فيهما التراضي ضمن الحدود الشرعية ، وبيَّن وجوه التعامل في كثير من الأمور لضمان حسن التعايش بين الناس . وأمر بالعدل والإحسان ، كما أمر بالوفاء بالعقود وأداء الأمانات . وحرّم أكل الأموال بالباطل .. ونهى عن بخس الناس أشياءهم ، وحرّم الخيانة والغش والتطفيف بالميزان .. وأحل الطيبات وحرّم الخبائث .

هذا كله وكثير مثله ، مرتبط بالتعامل الاقتصادي ، على اختلاف ضروبه ، تحكمه أسس فكرية مدعومة بالتوجيه الأخلاقي ، **لأن الإسلام أخلاق وتعامل وسلوك ، مرتبط بعضه ببعض ، ومتوازن في أموره كلها .**

وفي القرآن العظيم وفي السنة النبوية تتجمع أسس الفكر الاقتصادي في الإسلام .

المال غير مذموم لذاته

المال عصب الحياة الاقتصادية ، وهو غير مذموم لذاته ، بل على النقيض هو مطلوب ومحمود ، لأن الله سبحانه وتعالى يذكر في أكثر من آية فضله على عباده في أنه أمدهم بالمال ، وذلك في قوله بحق أحد المشركين : «**وجعلت له مالاً ممدودا**» وفي قوله عن قوم عاد : **واتقوا الذي تعلمون، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون**» . وفي قوله سبحانه عن قارون : «**وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة**» .

وقد جعل سبحانه **الاستغفار** سبباً في الحصول على المال فقال على لسان نبيه نوح : «**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**» .

وهذه الآيات وأمثالها تؤكد أن المال هو من نعم الله ، وأنه سبحانه يذكّر هؤلاء جميعا بفضله عليهم أن أمدهم بالمال وبغيره من نعمه .. فلو كان المال مذموماً لذاته ، لما جعله الله في عداد فضله الذي يمنّ به على عباده ، ولما منّ بالغنى على رسوله الكريم في معرض تعداد فضله في قوله سبحانه: «**ووجدك عائلاً فأغنى**» .

وقد سمى رب العالمين المال في بعض آيات القرآن خيراً فقال سبحانه : «**وإنه لحب الخير لشديد**» .

ولم يحدد الإسلام حداً لتملك المسلم مادام يتم ذلك بصورة مشروعة .

وإننا نرى في القرآن الكريم توجيهات عديدة إلى بذل المال وفعل الخيرات ، ولا يتم ذلك إلا بتوافر المال لدى المسلم حتى يتمكن من إنفاقه في الوجوه التي يأمربها الله سبحانه .. وقد جعل الإسلام **اليد العليا خيراً من اليد السفلى ، واليد العليا هي اليد المنفقة .**

ولا يتحقق الإنفاق والبذل إلا عند توافر المال فلو كان المال حقيقة مذموماً لذاته ، لما كان السعي مطلوباً من الفرد ، ولكان النظام الاجتماعي تغير تغيراً كلياً، ولقعد الناس عن العمل وطلب الرزق .

أما أن يكون المال هو الغاية التي يسعى الفرد إلى تحقيقها ، لا لغرض انفاقه

للاقتصاد الإسلامي

بقلم: د. محمود محمد بابللي

في السبل المشروعة ، بل لاكتنازه وحجب منفعته عن الآخرين ، أو لاساءة استغلاله وإنفاقه في غير السبل التي أمر الله بها وأرشد إليها ، فهذا ما لايقره الإسلام ، وما لايرضى به الله لعباده المؤمنين .

الكيل والميزان

إن التشديد في أمر **الكيل والميزان** ووجوب مراعاة **القسط** فيهما ، والتحذير من بخس الناس أشياءهم ، وتجنب الفساد في الأرض ، ورد في عديد من السور مع اختلاف في أسلوب العرض ، للتنبيه على أهمية هذه الناحية وأثرها في التعامل ، وفي أن الذين ينحرفون عن الأمانة والاستقامة تسوء عاقبتهم ، وتؤدي بهم وبأمتهم إلى الهلاك ، لأن هذا النوع من التعامل شديد الصلة بالناس ، وكثير الوقوع . وهو ميزان في الحقيقة لعدالة النفس وعفّتها وحسن صنيعها ، وأن من يسهل عليه التطفيف بالميزان ، يسهل عليه الغش والخيانة في غيره ، فيكثر في الأرض الفساد ، وتضطرب أمور الناس ..

وقد قال رسول الله ﷺ لأهل الكيل والميزان : **إنكم قد وُلّيتم أمرين ، هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم»** .

وإن أول آية عامة نزلت في هذا الموضوع ما ورد في سورة الأعراف في قوله سبحانه :

«وإلى مدين أخاهم شعيبا قال: ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين» الآية (٨٥)

أما ما ورد في **سورة المطففين** بهذا الصدد ، فإنه تنديد ووعيد للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، فهي تَصِمُ هؤلاء بوصمة الفجّار ، عندما يتابع رب العالمين تهديده فيقول : **ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، كلا إن كتاب الفجّار لفي سجين ، وما أدراك ما سجين ؟»** .

وقد استلهم رسول الله ﷺ هذا المعنى عندما مرّ على الناس وهم يتبايعون ، فناداهم : «**يامعشر التجار ، فاستجابوا له ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال :**

«**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى وبرّ وصدق»** .

أكل الأموال بالباطل

نهى الإسلام عن أكل الأموال بالباطل إطلاقاً دون تحديد ، فقال سبحانه :

«ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون» ، (البقرة ١٨٨) .

ويدخل في هذا النهي : **القمار والخداع ، والغصب ، وجحد الحقوق ،** وما لاتطيب به نفس مالكه ، أو ماحرمته الشريعة ، وإن طابت به نفس مالكه .. وكذلك من أخذ مال غيره لا على وجه شرعي. فقد أكله بالباطل.

ومن الأكل بالباطل أن يقضي القاضي لك وأنت تعلم أنك مبطل . فالحرام لا يصير حلالاً بقضاء القاضي ، لأنه إنما يقضي لك بظاهر حجتك وعجز خصمك عن إثبات حقه .

وقد روت **أم سلمة** عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إنكم تختصمون إليّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له على نحو مما أسمع ، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً ، فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من نار ، فليحملها أو يذرها»** .

ويقول سبحانه في سورة النساء : «**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم»** (٢٩) .

ففي هذه الآية تأكيد لما سبق النهي عنه ، ومعه استثناءٌ ، بأن التعامل التجاري لا يعتبر باطلاً مادام **الرضى** متحققا بين المتعاملين . وهذا التراضي لا يحل التجارة في أشياء محرمة ، لذلك ورد النص على أن البيع ، وهو التجارة ، حلال ، وأن الربا هو الحرام ، لقوله سبحانه : «**وأحل الله البيع وحرّم الربا»** .

فالبيع هو تبادل سلعة بعوض ، أي بثمن قام مقام العوض . **والربا** : هو تبادل نقد بنقد ، أي تبادل مالٍ بمال من جنسه ، مع اشتراط زيادة فيه .

وهذا التبادل لا يفيد شيئاً، ولو جرى عن رضا المتعاقدين، إذا لم يكن لقاء عوض أو خدمة .. لأن النقد وسيلة للحصول على شيء آخر من غير جنسه . فهو وحده لا غناء فيه . إن لم يستعمل لقضاء حاجة أو تحقيق رغبة .. وعلى هذا فإن النقد لا يستعمل إلا في مقابل سلعة أو خدمة ، لا في مقابل نقد مثله .

ومن أكل أموال الناس بالباطل بخس الناس أشياءهم ، وأكل أموال اليتامى ظلماً .

والكسب - على اختلاف أنواعه - يجب أن يكون حلالاً طيباً، لما روي عنه ﷺ أنه قال :

«**يأيها الناس إن الله طيب ، لا يقبل إلا طيبا . وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين** » فقال تعالى :

«**يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً**» . وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم» . ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يارب ، يارب . ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام، وغُذّي بالحرام فأنّى يستجاب له.

فمن يريد أن يستبرىء لدينه ، عليه أن يبتعد عن الحرام ، وأن يتقي الشبهات لأن من وقع فيها ، وقع في الحرام . كما هو صريح حديث رسول الله .. وبخاصة أننا أصبحنا في زمان يصدق علينا قوله ﷺ: «**يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه ، أمن الحلال أم من الحرام»** .

قصة قصيرة

الرحلة

بقلم: عبدالوهاب الأسواني

شقّ الظلام الكثيف في غابة النّخْل وراء الدليل .. تساءل حين شعر بالإجهاد : **أين ؟**

- الصَّبْر ..

ضاق صدره لركود الهواء .. إذا كان هذا حال الغابة في النهار ،فكيف حالها في الليل :

- أليس لهذا النّخل أصحاب ؟

- بينهم قضايا في المحاكم ، هجروه بلا تقليم ولا تلقيح إلى أن توحَّش .

اصطدم طرف جريدة بجبينه ، وضع كفّه على وجهه تحسُّباً للمفاجآت ، قال الدليل : **احترس ، توجد ثعابين هنا .**

- ثعابين ؟

- لا تنزعج .. حين تحسّ بنا ، ستبتعد عن طريقنا .

- وإذا لم تبتعد ؟

- الخطورة إذا دسناها .. تمهَّل في مشيتك .

- وافرض دسناها ؟

- هي لا تخرج من مكامنها إلّا حين تشتدّ الحرارة ، الجوّ طيب الآن .

- لكن ..

- هل تحب العودة ؟

- لا ، لكن متى نصل ؟

- قريبا .. احذر .. تحتنا أرض موحلة.

- حذائي ابتلّ ، سأخلعه .

- كلاّ.. شمِّر أكمام البنطلون فقط .

- لابدّ من خلع الحذاء .

- إياك أن تخلعه ، توجد عقارب هنا .

- عقارب ؟

لا تخش منها مادام الحذاء في قدميك .

- لكن ..

- هل تريد العودة ؟

- كلّا ..

أحسّ بخيوط العنكبوت تلتفّ حول عنقه ، أزاحها بعصبية :

- ما هذه الرائحة ؟

- أظنه حيوان ميّت .

- أي نوع من الحيوانات ؟

- ربما ثعلب أو ذئب .

- أتوجد ذئاب هنا ؟

- لن تهاجمنا مادمنا لا نتحرَّش بها .

- الذي أعرفه أنها تهاجم إذا كانت جائعة .

- وما الذي أدراك أنها جائعة الآن ؟

- افرض ..

- هل تحب العودة ؟

- لا ..

- دع الأمور لله ..

- ونعم بالله ..

- لولا أنك عزيز على نفسي ، لما عرّضت نفسي للخطر وجئت لأدلّك ..

- لن أنسى لك هذا ..

تعثّر في شيء ما ، تساءل : **متى نصل ؟**

- دقائق ..

استأنف السير إلى أن وجد نفسه في بقعة يتسلل إليها ضوء الشمس في حلقات بحجم النقود المعدنية ، تلفَّت حوله محاولاً التعرُّف على المكان ، وقع بصره على الجواد فخفق قلبه .. هو نفسه .. حصان الحاج « **عبدالرحمن الأشْموني** » بلونه البُنِّي ، الذي بدا أسود الآن ، يثْني عنقه وينظر إليهما، وهو مربوط بحبل غليظ، وثمة شكالان من الحبال يصل أحدهما ساقه الخلفية اليسرى بالأمامية اليمنى، ويصل الآخر اليمنى الخلفية باليسرى الأمامية ومُكَمَّم بشكيمة ليفيّة خشنة، لعب بأصابعه في مَعْرَفَتِهِ، انتهى أسرك الآن ياحصان الأحبَّة..

انْهمك الدليل في تنفيض ثوبه ، نظر « **زايد** » إلى قميصه ، وجده امتلأ ببقع من خيوط العنكبوت ، مضى يزيلها، كل شيء يهون في سبيل « **عائشة** » ، أشار الدليل إلى الجواد :

- مدبولي وأقاربه اختاروا له هذا المكان ، الجنّ الأزرق لا تستطيع الوصول إليه .

- الحاج الأشموني كاد يجنّ لضياعه .

- طبعاً ، علاقة المحبّ للخيل بحصانه أو فرسه تُشبه علاقته بكائن عاقل .

- فعلاً ، حينما مات حصانه الأول ، كان يتقبَّل فيه العزاء كأنه فرد من أسرته .

- سمعت ، لكن لماذا أنت مهتّم بالحصان تبحث عنه كالمجنون ؟

- هل اعترف لك ؟

- إذا أردت ..

- منذ رأيت ابنته عائشة وأنا لا أنام الليل .

- تطمع في الزواج ؟

- نعم ..

- لكن ..

- لكن ماذا ؟

- لا تؤاخذني ، ربما « الأشموني » لا يرضى .

- المهم في الأصل .. اسم جدِّي بثلاثين فدانا ..

- قلت لي مرَّة إنها ضاعت ..

- مازالت « التكاليف » باسمه ..لو جلست بجوار محصِّل الخراج في بلدنا ، لسمعت اسم جدِّي يتردَّد عشرات المرات .. أنا في نظر أهل بلدنا ، ابن أصل .. ثم انني قضيت سنتين في الجامعة ، وأنا الآن موظف محترم.

- الوظائف كانت زمان ..

تحرَّك الجواد كأنه يتعجَّل فك قيوده ، أجاب زايد :

- أزرع نصف فدّان ، أحصل منه على إيراد لا بأس به ، وحين أصل إليه ومعي حصانه ، سيُجنّ من الفرح ، هو الآن في حالة لو قالوا له بِعْ أحد أولادك مقابل استرداد الحصان ، لوافق .

- على كل حال أنت أدرى به منّي، أعطني ما اتفقنا عليه.

- سأعطيك نصف المبلغ ، وأوّل الشّهر أعطيك الباقي .

توقّف الآخر عن تنفيض ثيابه :

- كلّا ، تعطيني حقِّي بالمِلّيم .

- لا ترفع صوتك هكذا ..

- حقِّي على داير القرش ، أنا عرَّضت نفسي للقتل من مدبولي ورجاله ..

- خُذ الساعة ..

- لا تساوي بَصَلَة ..

ـ اشتريتها بسبعين والفاتورة موجودة .

تردّد الدليل قليلاً قبل أن يقول :

ـ وتكتب لي إيصال أمانة بالباقي .

ـ فوق الساعة ؟

ـ سأعيدها إليك بعد أن تعطيني بقية فلوسي.

بحث في جيوبه حتى عثر على رسالة من أخيه ، اقترب من بقعة



ضوء ، فَصَلَ الجزء الفارغ منها وقال :

ـ إيصال فقط ، لا داعي لحكاية الأمانة .

ـ معنى هذا أنك لا تنوي السَّداد ؟

ـ أنْوي والله .

ـ ماذا يخيفك منه إذا كنت ستُسدِّد ؟

جرى قلمه على الورقة وهو يطحن أسنانه ، أشار الدليل إلى الجواد :

ـ حلال عليك البنت الزِّينة ، ما اسمها قلت ؟

ـ عائشة ..

فك الشكيمة من فم الجواد وألجمه ، وضع السَّرْج فوق ظهره ، فك قيوده ، تذكّر أيامه الخوالي حين كان يدخل مرماح الخيل بجواد جارهم **الشيخ عبدالودود** ، قفز فوق السَّرْج برشاقة ، أحسّ بأنه ملك الدنيا ، أردف الدليل خلفه ، أنزله خارج غابة النَّخل ، ساق الجواد ، ضربت الريح وجهه فانعشته ، ترى .. ماذا ستقول عائشة حين تعرف ؟

★★★

ـ زايد مَنْ ؟.. أنا لا أذكره ..

ـ كيف يا عائشة ؟.. رأيناه معاً .

ـ أين ؟

ـ هو الشاب الذي دفع لنا أجرة « **اللنْش** » حين ذهبنا لحضور عرس « **بدرية** » وساعدنا في النزول إلى البرّ .

ـ آه .. النحيف الذي كان يلبس البدلة الكحلي ؟

ـ بالضبط .. الآن فهمت .. واضح أن إعجابه بك قديم .

ـ بصراحة هو أنقذ أبي .. كاد يموت قهراً حين ضاع الحصان .

ـ ما رأيك فيه ؟

ـ من أي ناحية ؟

ـ إذا تقدَّم لك .. يعني .

ـ لا أعرف .

ـ رفضت **عبدالعال** ، **وسليمان** ، **وأحمد** .. ماذا عنه ؟

ـ هؤلاء لم يعجبوني ..

ـ وهو ؟

ـ قلت لك لا أعرف .

ـ هذا الردّ من علامات الرضا .

★★★

طريق النيل أكثر أماناً رغم طوله .. الجواد يتبختر في مشيته ، استرداده لحريته أعادت له الثقة في نفسه ، النَّسْمة لطيفة والجرف العالي يُعطي الطمأنينة بحجبك عن البلد ، ستكون عُرْضة لانتقام « **مدبولي** » ورجاله ، يُقال إنه وراء قتل « **عبدالعاطي** » يرحمه الله فعليك بشراء مسدّس ، كله يهون في سبيل عائشة ..

قبالة الموردة الصُّغْرى صعد الجرف .. حقول البرسيم تترامى إلى ما لا نهاية ، العصافير تتقافز فرحة على هامات النخل ، أشجار المانجو والسّيسبان والحنّاء تثير البهجة ، ثمّة هُدْهُد يُغَنِّي ، الأيام القادمة تحمل في طيّاتها السّعادة ..

ظهر بيت « **عبدالرحمن الأشموني** » .. يقوم وحده وسط الحقول ويسمِّيه صاحبه « **القصر** » ..

توقَّف شاب ، يبدو أنه ممن يعملون عند الأشموني ، عن العمل ، رفع قامته وتساءل لاهثاً :

ـ حصان الحاج ؟.. من أين جئت به ؟

ـ من فم الأسد !

ألقى بفأسه وطار في اتجاه « **القصر** » وهو يلملم طرف جلبابه .. سوف يحصل على مبلغ كبير نظير « **البشارة** » ، كيف يكون وقع الخبر على عائشة ؟

ظهرت البهجة في حركات الجواد وهو يصعد المرتفع .. دار حول نفسه مرتين ثم قطع الجسر الذي يصل مابين ضفّتي الترعة ، هبط في اتجاه البيت .

الرحلة



رأى الحاج الأشموني بجسده الممتلىء ووجهه المتغضّن ، يضع كفّيه حول خاصرتيه ويحدّق فيه بعينيه الضيّقتين .. حوله بضعة أشخاص منهم **عبدالفتاح التاجر** .. لكن لماذا هُم صامتون إلى درجة الوجوم ؟

سلام عليكم ..

لم يجب غير عبدالفتاح التاجر .. هبط من فوق الجواد ، أحاط به ثلاثة أشخاص شلّوا حركته ، قال الحاج بحنق :

قُل عن شركائك ..

شركائي ؟.. أنا أحضرت الحصان من أجل خاطرك ياحاج ..

جئت تأخذ الفدية ؟

أي فدية ؟

عرفتم بأن الشرطة تحاصركم فأردتم اللعب على ذقني ؟.. ياولد **ياعمران ..**

أنا حاضر ياحاج ..

هاتوا الحبال كتّفوا اللص .

هرول رجل قصير مبتعداً ، قال الحاج متوعّدا وشاربه الأبيض الخشن يتحرك مع كلماته :

سياط الشرطة ستجعلك تدلّ عليهم .

يتلفّت « **زايد** » حوله فاغراً فاه .. ملامحه أعطت انطباعاً بأنه أبله :

أنا .. أنا .. أنا ..

تحسَّس الحاج الجواد والهواء يتلاعب بقميصه الأبيض ، قال مُتهكِّماً :

لست أنا الذي يخضع ..

عاد الرجل القصير يحمل لفّة من حبال التِّيل ، لكن عبدالفتاح التاجر أمسك بها ، قال معترضاً :

اتركوه ياحاج ..

هل تعرفه ؟

هذا ابن المرحوم « درويش أبو صالح » ..

تساءل الأشموني وهو يدور حول الجواد ويتفحَّصه :

درويش أبو صالح مَنْ ؟

من النَّجْع التَّحتاني ..

لم أسمع في النَّجع التَّحْتاني عن واحد بهذا الاسم .

درويش أبو صالح البَغْل ..

يعني هذا من عائلة البغْل ؟

نعم ..

رمقه وهو يقول :

أهلك يمشون جَنْب الحيط ، ماالذي رماك في طريق الحرام ؟

مازال « **زايد** » يفغر فاه ، أجاب عنه **عبدالفتاح التاجر** :

أنا أصدِّق أنه عثر عليه وجاء به .

عجزه عن الكلام يدلّ على أنه شريك ..

ابتسم التاجر فكثرت التجاعيد حول عينيه :

اتركه يذهب لحاله ، وحصانك وصلك .

لو تركته من غير عقاب ، شجّعت اللصوص على معاودة السرقة ..

واستطرد بعد أن تمخَّط ومسح أصبعيه في جدار البيت الاسمنتي :

لكن لو اعترف ، أتركه لوجه الله .



فن المُنَمنَمات التركية في القرن (١٦) اعتمد على الكتب العربية والفارسية

ترجمة: نجلاء حسن حامد

ظهـر فن «المنمنمـات» أو «الرسوم المصغرة» في تركيا خلال القرن السادس عشر من خلال تقديم الرسوم التوضيحية لبعض الكتب ذات الأهمية التاريخية أو الأدبية أو الدينية . ومن أبرز الكتب التي صاحبتها رسوم المنمنمات كتب : سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ، والشاهنامة وكتاب عجائب المخلوقات في بحر قزوين .

والملاحظ أن معظم الكتب الموضحة برسوم مصغرة وترجمة تركية هي في الأصل من أمهات الكتب العربية والفارسية .

بداية فن المنمنمات

يعد فن الرسوم المصغرة أو المنمنمات العثمانية التركيـة فناً متميزاً ومختلفاً عن سائر أنواع رسوم المنمنمات الإسلامية وذلك باقترابه الشديد من الواقعية القائمة على الملاحظة الفعلية . وخير نموذج على هذا يوجد في الأعمال الأدبية الشهيرة مثل (**كتاب الشاهنامة**) الذي يتناول مآثر بعض السلاطين والأحداث الهامة التي وقعت في عهودهم وكذلك كتب الاحتفالات التي تتناول **الأعياد والاحتفالات** التي تصاحب حفلات ختان صغار الأمراء .

وقد بدأ تقليد شرح الأحداث المعـاصرة بمصـاحبـة الـرسـوم المصغرة في عهد **السلطان سليمان** (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) واستمر حتى منتصف القرن (١٨) باستثناء أوقات توقف فيها خلال هذه الفترة .

وفي النصف الثاني من القرن (١٦) وخلال **عصر السلطان مراد** (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) انتجت أهم الكتب التي تتناول بيان الانتصارات العسكرية ، والأحداث التي تهم السلطـانَ تـوضحهـا الـرسـوم المصغرة .

وخلال الفترة القصيرة التي تولى فيها **السلطان محمد الثالث** حكم البلاد ، زاد إنتاج هذا النوع الفني على يد مدارس الرسم التي انتشرت في القصور وتنوعت مجالاته بحيث شمل مختلف الموضوعات بالإضافة إلى الأحداث التاريخية .

أهم كتب رسوم المنمنمات

من ابرز كتب فن المصغرات التي ظهرت في أيام **الدولة العثمانية** ، كتاب (**سيرة النبي**) **عليه الصلاة والسلام** الذي ظهر في عهد السلطان مراد الثالث ، وكان يتناول حياة النبي عليه الصلاة والسلام ، وهذا العمل يتكون من ستة مجلدات تشتمل على (٨٠٠) رسم مصغر تتشابه في معظمهـا مع نمـاذج المنمنمات التي كانت سائدة أيام السلطان محمد الثالث .

كذلك ظهر في هذه الفترة عملان آخران يشتملان على الحكايـات الشهيرة الشائعة مثل التـرجمة التركية لكتاب (**عجائب المخلوقات في القزوين**) وكتاب آخر عن **روائع الفن والطبيعة** ولكن الفنان وعنوان الكتاب غير معروفين . وقد نقل كتاب «الشـاهنامـة» المكتـوب بـاللغـة الفارسية إلى اللغة التركية في **عهد السلطان مراد الثالث** بناءً على أوامره والطريف أن معظم الأعمال الأدبية الشهيرة التي أجريت لها ترجمة تركية وصاحبتها الرسوم المصغرة ، كانت منقولة عن أصول عربية وفارسية .

ويعـد كتاب (**بحـارستـان**) للشاعر الشهير (**مولاجامي**) الذي ظهر في عهد السلطان محمد الثالث من الأعمال الهامة الممثلة لهذا الفن ولكنه لم ينشر وظل حبيس أدراج مكتبة (**قصر توبكابي**) .

وهذا العمل موجود في جزأين، **الأول**يشتمل على الترجمة التركية لبـعض القصص في الكتـاب وتتضمن ٩٤ رسماً منمنماً ، والجزء الثاني يشتمل على الأمثلة التركية الشهيرة وهو مزود بحوالي (١٨) رسماً مصغراً وقد قام الفنان الفارسي الشهير (**حسان باشاحقي**) بتنفيذ رسوم (٨) قصص من الجزء الأول وأربع من الجزء السادس من المجلد الأول .

قصص من كتاب بحارستان للمؤلـــــف مولاجامـــي
Jami's Baharistan

يفيد الكتاب أن العمل الأدبى ترجم بناء على طلب **الاغا بابا ساد** ، كبير الأغوات في قصر الحريم ، وفي بداية الكتاب نجد اسم الآغا موضوعاً فى شكل دائري محاط برسوم مزينة، ومنذ قراءة السطور الأولى في الكتاب نجد عبارة (يارب اعط العمر المديد للاغا الأبيض) .

وكلمة الاغا الأبيض هنا تشير إلى **الاغا بابا ساد** الذي عين في هذا المركز الهام خلال فترة حكم مراد الثالث وعمل في القصر لمدة تزيد على ٣٠ عاماً وكان واحداً من الأشخاص القلائل الذين لهم تأثير قوي على مراد الثالث ومحمد الثالث إلى أن قتل في عام ١٦٠٣م .

ونحن هنا نعرض أولاً ، الرسوم العثمانية الأولى من الكتاب **للفنان حسان** التي أعدها بدقة فجاءت على نحو كبير من الجمال والإتقان .

غباء الذئب وذكاء الثعلب

في هذه القصة ، نجد أن ثعلباً أنشأ صداقة مع ذئب ، وذهب الاثنان معاً إلى أحد البساتين وكانت الفتحة التي يدلفان منها إلى داخل البستان صغيرة جداً ، ولم يكن هناك طريق آخر للمرور . لذا أكل الثعلب كمية قليلة من الفاكهة وعند الخروج من البستان مر بسهولة من الفتحة ولكن الذئب الشره أكل كمية كبيرة من الفاكهة وبالتالي لم يستطع الخروج من الفتحة لذا عثر عليه حارس البستان وانهال عليه ضرباً بعصا غليظة .

ويبين الرسم الثعلب ، وقد هرب بينما بقي الذئب محصوراً في الفتحة لا يستطيع الدخول أو الخروج يتلقى الضربات المبرحة ، وفي الرسم نجح الفنان في بيان معظم التفاصيل التي وردت فى القصة .



غباء الذئب وذكاء الثعلب

السلحفاة والعقرب

التقت سلحفاة مع عقرب وعرضت عليه أن تحمله فوق ظهرها خلال رحلة يقوم بها الاثنان عبر النهر . وعندما حاول العقرب الحقود أن يلدغ السلحفاة التي أبدت نواياها الحسنة تجاهه ، قامت بمعاقبته وألقته من فوق ظهرها في الماء .

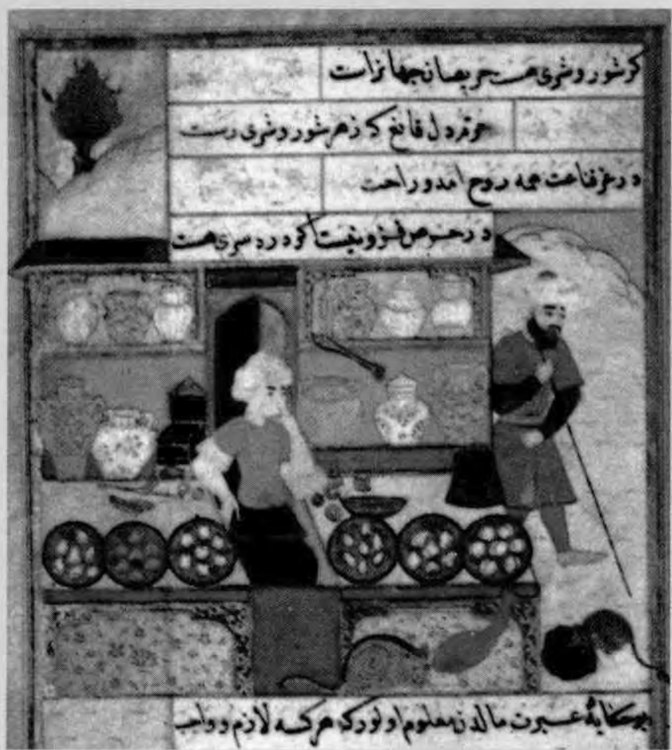
ويوضح الرسم مرحلة حل العقدة فى القصة وذلك ببيان السلحفاة وهي تسبح في النهر ، بينما العقرب الذي ألقته من فوق ظهرها على وشك الغرق والرسم مقدم بطريقة مبسطة .

الفأر ناكر الجميل

طبقاً لأحداث هذه القصة ، نجد



السلحفاة والعقرب



الفأر ناكر الجميل

أن فأراً اعتاد على الحياة داخل متجر بقال وفيه ينعم بتناول الفاكهة المجففة بلا حساب ، ولم يعبأ صاحب المتجر كثيراً بكميات الفاكهة المجففة التي تقل يوماً بعد آخر . إلى أن جاء يوم فاصل وسرق الفأر عملة ذهبية من كيس دراهم البقال وحملها إلى جحره ليخبئها، وهنا استشاط البقال غضباً وأمسك بالفأر وربط قطعة من الحبل حول رقبته ليكتشف مكان الجحر ، ونجح فعلاً في معرفة مكانه واسترد نقوده وفي النهاية قدم الفأر إلى القطة نوعاً من العقاب .

وفي الرسم نرى الفأر يقف أمام جحره مربوطاً بحبل في رقبته والقطة تنتظر في شوق استلام فريستها والبقال ومتجره وكيس الدراهم الأحمر اللون كذلك أضاف الفنان رسماً لأحد المارة .

ولهذا الرسم أهمية خاصة ، فهو يبين واحداً من مناحي الحياة اليومية في عهد **الأمبراطورية العثمانية** ويقدم صورة حقيقية لمتجر البقال : فالفاكهة الغضّة موجودة في أوعيتها الخاصة على باب المتجر ، والفاكهة المجففة موضوعة داخل أوانٍ من البورسلين على الرفوف في الداخل وتبدو أيضاً الموازين والمكاييل مرسومة بتفاصيل دقيقة.

ظلم الراعي للكلب



ظلم الراعي للكلب

يبين الرسم كلباً يتلقى ضربات مبرحة دون سبب واضح من أحد الرعاة لأنه أنشأ صداقة مع ذئب في الوقت الذي يستمع أحد الثعالب إلى محادثتهما في حبور .

وفي مقدمة المنظر ، نرى الصديقين الكلب والذئب يتحدثان ، بينما يستمع الثعلب إليهما ، وفي خلفية الصورة نجد عناصر ثانوية في القصة مثل الراعي مع اثنين من غنمه ، وتبدو معهما مجموعة من الأحجار البرتقالية اللون . والألوان والمناظر الطبيعية الموجودة هنا تعد صورة طبق الأصل لفن المنمنمات

الذي ظهر في القرن (١٦) .

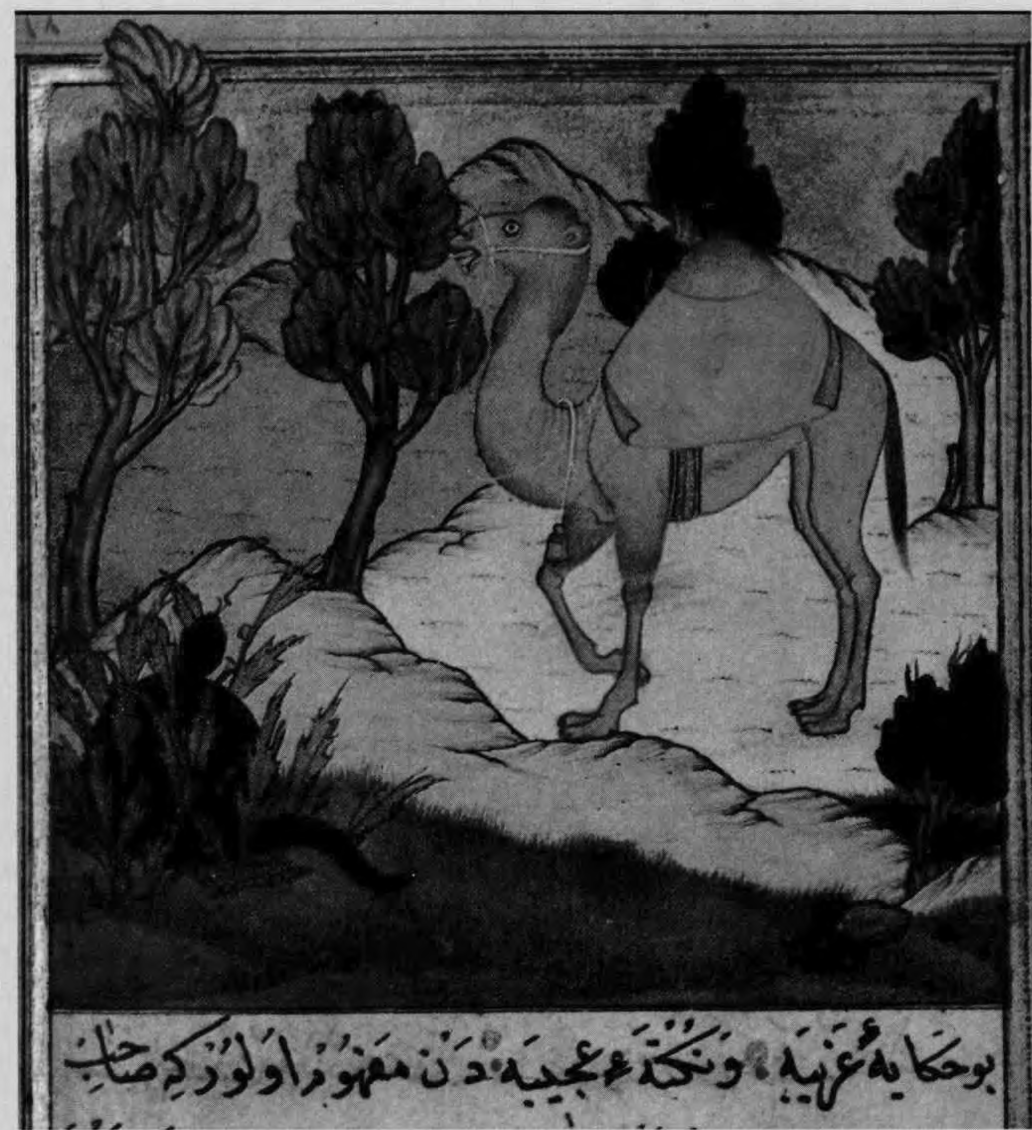
الجمل الجبان

هذه القصة تقدم حساباً عادلاً وسريعاً وواضحاً لجمل هجر أكل العشب الأخضر الغضّ عندما رأى حية ترقد أسفله ، وطريقة رسم المروج الخضراء وخاصة الألوان وكذلك استخدام الأسطح المتقاطعة يعد مثالاً لفن المنمنمات في القرن (١٦) .

صداقة لم تتم

يشرح هذا الرسم قصة **الضفدع** الذي أراد أن يكون صداقة مع سمكة ولكنه أخفق.

الفرق الوحيد بين الرسم والقصة يتمثل في أن الفنان استبدل بالضفدع سلحفاة ولأن السلحفاة لا تستطيع الوصول إلى البحر ،لم تنجح في إقامة صداقة مع الأسماك ، وبالتالي تظل منتظرة على الشاطىء تنظر إلى البحر في حسرة ، ولإعطاء انطباع بحجم البحر واتساعه الذي تعيش فيـه السمكة أضاف الفنان رسماً لقارب وعـدد من الجزر الصغـيرة في الخلفية .



الجمل الجبان

الثعلبان الصغير والكبير

استخـدمت في هذه القصـة تكوينات مشابهة للرسوم السابقة توضح قصة الثعلب وابنه . المعالجة البسيطة للقصة في الرسم وبيان الطبيعة وكذلك الألوان ،تعد نموذجاً لفن المصغرات أو المنمنمات الشائعة في القصور التركية خلال هـذه

صداقة لم تتم



الثعلب الكبير وابنه الثعلب الصغير



الفترة .

الجمل الوحيد

تدور هذه القصة حول فأر صغير شعر بالشفقة على جمل وحيد وأراد أن يصطحبه إلى جحره، ويبيـنّ الرسم الفأر الذي أحضر الجمل إلى الجحر مربوطاً بحبل من قدمه بينما يقوم الجمل بتوبيخه أثناء وقوفهما أمام الجحر ويحسب للفنان هنا أنه أجـاد التقـديم الحي الـدقيق للحيوانات .

وهذه الرسوم الثمانية الأولى المصاحبة للقصص ، يقوم احتمال قوي على أنها من رسم فنان واحد هو **حسان حقي** ويبيِّن اختيار الألوان مع تغلب الألوان البرتقالية والزرقاء والبنفسجية ، وكذلك وجود ظلال التلال وأشكال الأشجار النموذج السائد في المدارس الفنية الموجودة في عهد السلطان محمد الثالث .

الرسوم المصغرة الستة الأخرى

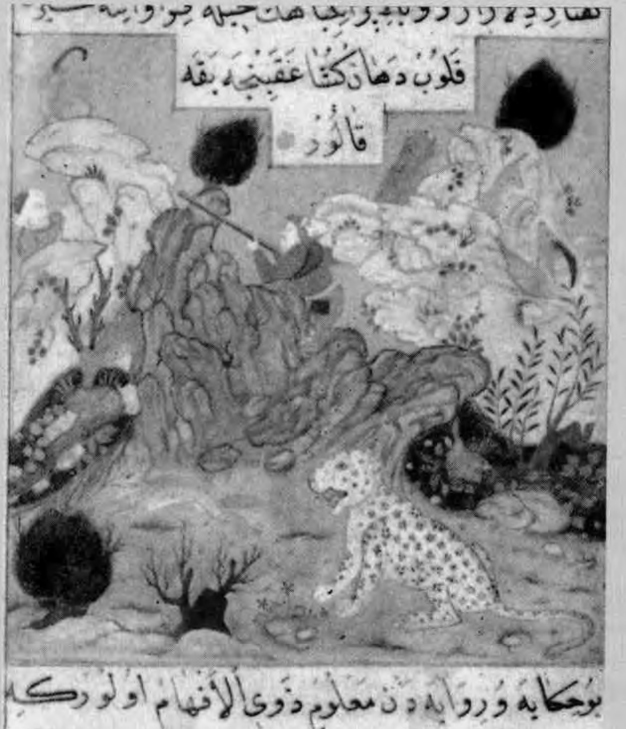
هــذه الـرسـوم والقصص المصاحبة لها والتي يبلغ عددها ستة مختلفة تماماً عن النوع الأول ، ويبدو أن الذي قام برسمها فنان آخر غير الفنان حسان الذي قام برسم المجموعة الأولى .

الثعلب والضبع

أول هذه الرسوم، يحكي قصة ضبع أمسك بثعلب وعلى الرغم من توسلات الثعلب ، رفض الضبع أن يطلق سراحه وفكر الثعلب الماكر في حيلة تجعل الضبع يطلق سراحه دون أن يدري، فما كان منه إلا أن ذكر شيئاً أشعل نار الغضب في قلب الضبع وعندما فتح فمه ليرد ، انتهز الثعلب الفرصة ولاذ بـالفرار .. والرسم يوضح عقدة الرواية المتمثلة في هـرب الثعلب وبقاء الضبـع يراقبه .



الجمل الوحيد



الثعلب والضبع

وقد قام الفنان برسم نمر بدلاً من الضبع كما أن تقديمه للصيادين والحيوانات الأخرى وهي تلهو غير مرتبط نهائياً بأحداث القصة مما كان له أثر عكسيٌّ تمثل في صرف الإنتباه عن الموضوع الأساسي في القصـة ، كما جـاءت الأشكـال والألوان ضعيفة التباين .

الجمل.. والحمار

تدور أحداث هذه القصة بين جمل وحمار، ومن أحداث القصة يتبيّن أن الجمل والحمار رحلا معاً حتى وصلا إلى ضفة نهر كبير وعندما غاص الجمل في الماء وجد أنه ضحلّ بالنسبة لطوله فدعا الحمار لكي يتبعه .

ويبيّن الرسم الجمل وهو في الماء يتلفت حوله ويتحدث إلى الحمار . والسمات والملامـح المقدمـة هنا تتشابه مع الموجـودة في المنظر السابق ، فالتكوين غني بعدد من العناصر الفنية مثل الشجرة التي فقدت أوراقها في حين أن مجموعة الأشخاص الذين يشاهدون الحدث من وراء أحد التلال وأيضاً مجموعة الطيور والأسماك ليس لهم أدنى علاقة بالموضوع .



الجمل والحمار

القاضي.. والسكّير

يمثل الرسم قصة لقاء حدث بين قاضٍ من **بغداد** أثناء ذهابه لأداء صلاة الجمعة وأحد السكارى . ونرى في الصورة كيف أمسك الناس بالسكير وهو يحاول أن يحمل القاضي عنوة فوق ظهره ، وفي خلفية الرسم يوجد مسجد وعدد من المتاجر والتكوين في الرسم واستخـدام الألوان هنا ناجح تماماً .

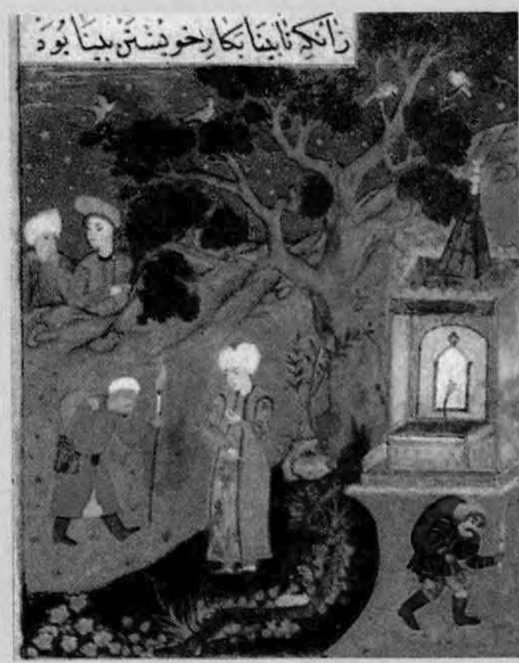
النساج والعالم

توضح قصة النساج الذي ترك أوراقاً مالية في منزل أحد العلماء ، وتبيّن العالم وهو يتحدث إلى النساج

أثناء إلقائه الدرس على تلاميذه .. وهذا الرسم رائع بسبب تفاصيل الطبيعة التي أوردها .

الأعمى والأحمق

وتعد واحدة من أجمل قصص المنمنمات في هذه المجموعة ، سواء في مضمونها أو رسمها . وتدور حول رجل أعمى يحمل فانوساً في يده لكي يصل به إلى بئر الماء . وعندما رأى أحد الرجال الثرثارين الرجل الأعمى وفانوسه ردد على سمعه بأن



الأعمى والأحمق

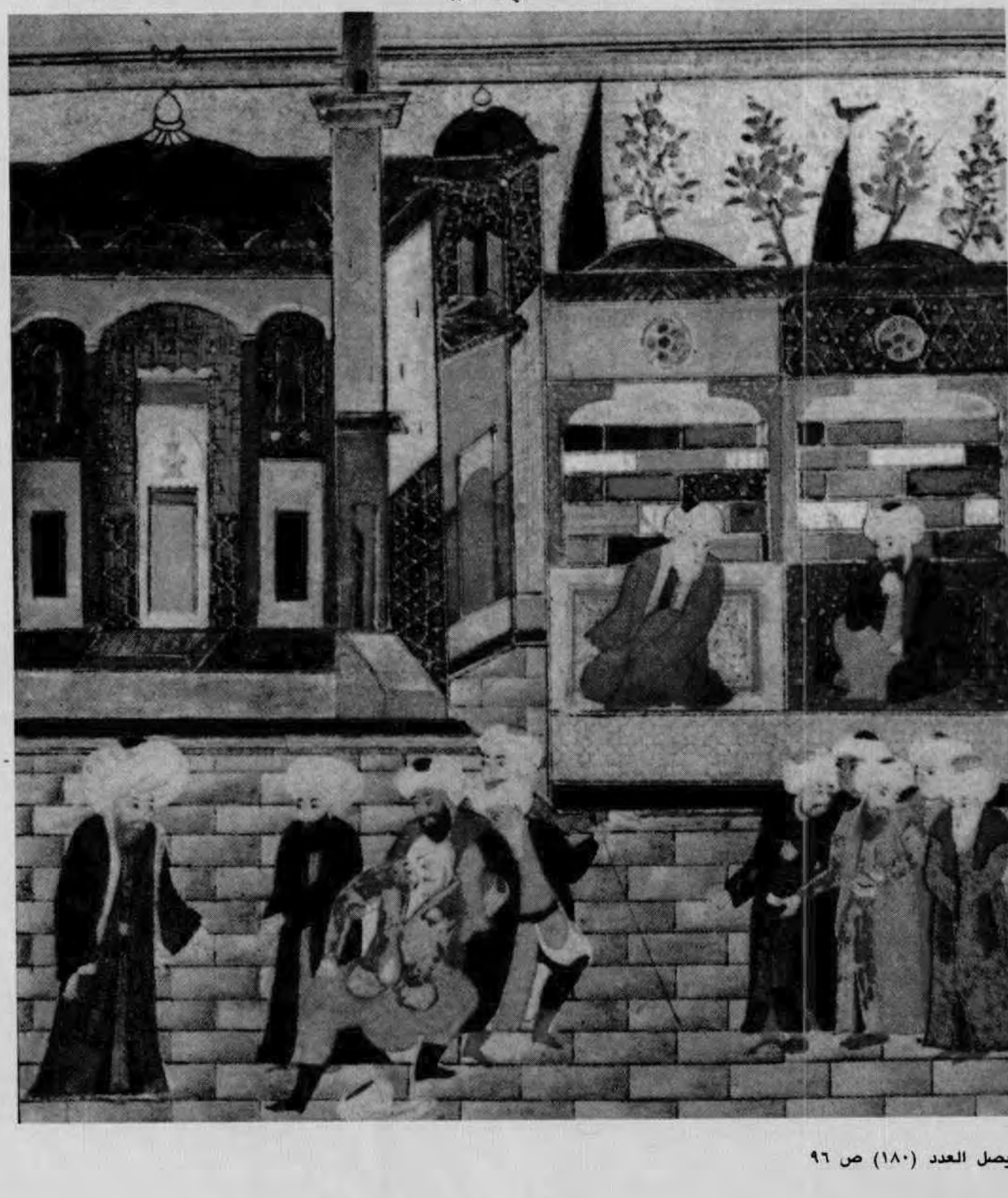
الليل والنهار لديه يتساويان فلماذا إذن يحمل فانوساً في يده ؟

فرد عليه الأعمى ببلاغة قائلاً : إن الفانوس ليس له وإنما للحمقى فاقدي نور البصيرة والقلب مثله لمنعهم من الاصطدام به وكسر الإبريق الذي يحمله .

وقد نجح الفنان في تصوير هذه القصة على نحو بارع جداً وعبّر عن زمن القصة التي حدثت في الظلام باستخدام اللون الأسود وظهور النجوم في السماء وقد سرقت النافورة التي وضعها الفنان في جانب الرسم الأضواء والانتباه من كافة التكوينات الفنية الموجودة وهي في الوقت نفسه تعتبر نموذجاً للعمارة العثمانية .

كذلك أثرى الفنان المنظر ، برسم رجل يعود من مكان البئر - النافورة - بعد أن أخذ حاجته من المياه مع وجود شخصين ينظران إلى ما يحدث من خلف التلال .

القاضي والسكير



فطنة رجل

القصة الأخيرة المرسومة هنا ، تصور رجلاً بدوياً ، أقسم عندما فقد جمله أنه إذا وجده يوماً ما فسوف يقوم ببيعه مقابل قرش واحد ، وعندما عثر فعلاً على الجمل شعر بالأسف الشديد للقسم الذي أخذه على نفسه ، ولكن تفكيره هداه إلى حيلة ذكية :

فقد وضع القط في رقبة الجمل ومضى يصيح : جمل للبيع بقرش واحد وقط بمائة كراونة.. ويبيِّن الرسم المحادثة التي دارت بين الرجل البدوي وأحد المارة حول الجمل ، كما يظهر الجمل والقطة مربوطة في عنقه بالإضافة إلى عدد من المروج الخضراء .وفي الرسم نجد أن التكوين متوازن والخطوط العريضة مرسومة بدقة غير أن الألوان داكنة .

تعقيب

القصص الست الأخيرة ذات



النسّاج والعالم

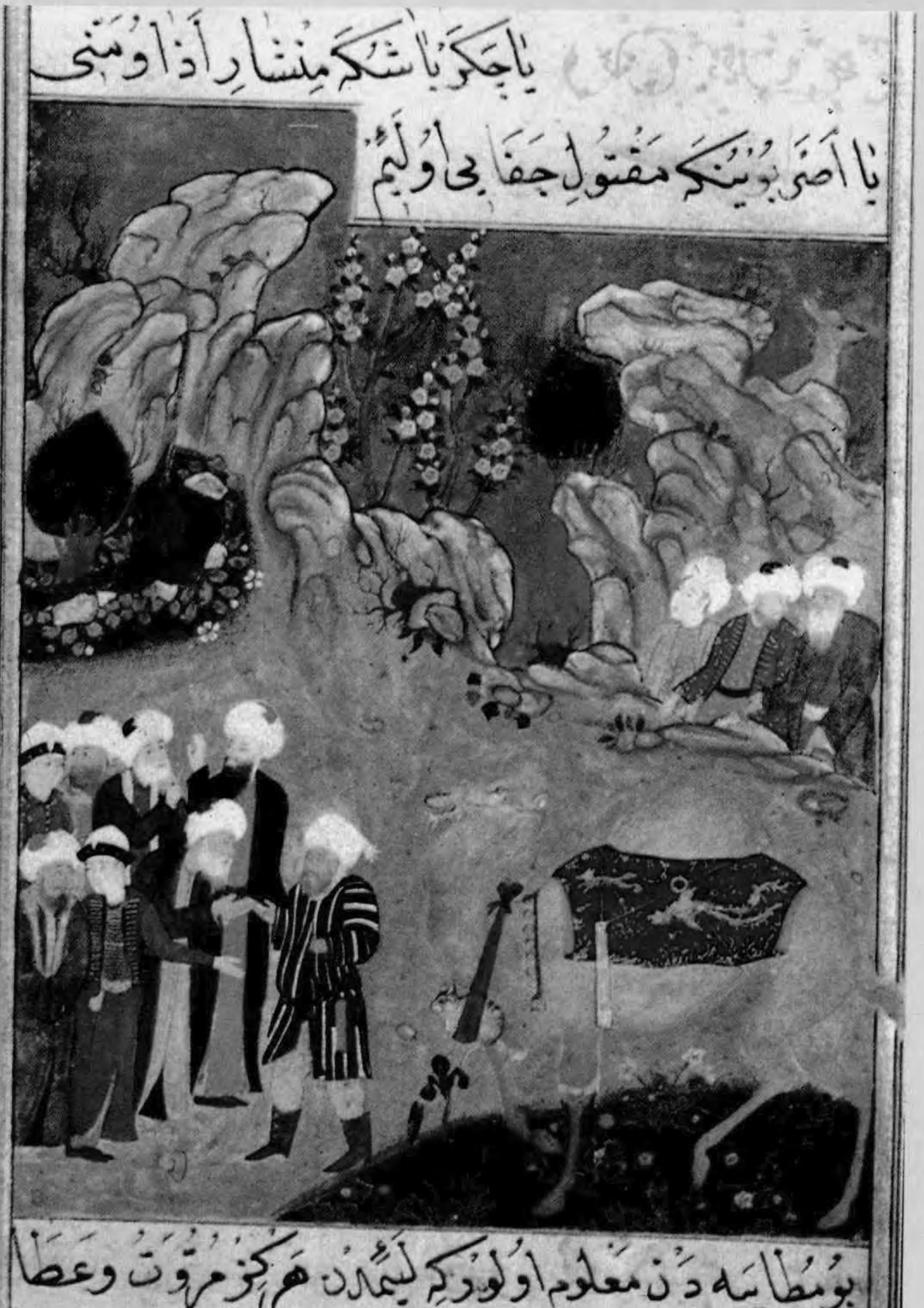
الفترة ما بين ١٥٩٥ و١٦٠٣م ، في فترة حكم السلطان محمد الثالث ، واحتلت مكانة كبيرة في فن المنمنمات التركية العثمانية . ورسوم المجموعة الأولى بالذات لها أهمية كبيرة لأنها تبيِّن أسلوب الفنان حسان حقي في تقديم الأعمال التاريخية والحروب وعروض الجيوش والمناسبات المختلفة .

شيء هام آخر في هذا العمل ، وهو أنه أُعد بناء على طلب « **الاغا الأبيض** » وتبيِّن الوثائق والسجلات أن عدداً كبيراً من الأعمال الأدبية والفنية الهامة ، أهديت إليه وهذا يعني أنه كان راعيا للفنون والمعرفة، والعمل الأخير بالذات يبيِّن مدى تأثير الآغا في القصر في المجال الفني .

كذلك كان هناك عملٌ فنِّيٌ آخر يتم بناء على طلب الآغا وهو **قصة حب** يصاحبها «٣٤» رسماً مصغراً، وفي هذا العمل ، يذكر« **الفنان شريف** » الذي أضاف الرسوم والتوضيحات للقصة أنه قام بها بناء على طلب الآغا . شيء طيب آخر يضاف لأعمال الآغا وهو قيامه بإنشاء مجمع يتكون من مدرسة ـ يشغلها الآن **متحف البلدية** ـ ومقبرة ونافورة .

المصدر

(1) Turkish Treasures 1978/2 .



فطنة رجل

الرسومات المصغرة الموجودة في المجموعة الثانية ، تحمل سمات واحدة مشتركة مختلفة تماماً عن رسوم المجموعة الأولى التي قدمها فنان مختلف .

والثياب التي يرتديها الأشخاص الصغار الحجم، الموجودون في خلفية الرسوم والمروج المتدرجة والأرض ذات اللون الأزرق الرمادي أو الألوان المتعددة وطريقة سرد القصص واختيار الألوان في العناصر الأخرى للعمل ، كلها تدل على أن الفنان تأثر بالمدارس الفنية التي انتشرت أثناء **الفترة التيمورية ، ومدرسة قصر سفافيد** التي سادت في القرن (١٦) .

كل الرسوم الموجودة في قصص كتاب «**بحارستان**» تعود إلى

العقد الفريد .. لابن عبد ربه

بقلم: أحمد أبو النجا

من المصادر الجامعة التي تضم الشعر والنثر كتاب (العقد الفريد) لمؤلفه أحمد بن عبد ربه القرطبي، وقد ولد سنة ٢٤٦هـ، وتوفي سنة ٣٢٧هـ، وتثقف بثقافة عصره: الدينية والعربية، اللغوية والأدبية. وكان كاتباً ناقداً، كما كان شاعراً.

الكتـــاب

ألَّف **ابن عبد ربه** هذا الكتاب في **الأندلس** بعد ظهور كتاب **(عيون الأخبار)** في المشرق بنصف قرن أو أكثر، والقارىء للكتابين لا يستطيع إلا أن يخرج بالفكرة التالية، وهي أن **ابن عبد ربه** قد قرأ **(عيون الأخبار) لابن قتيبة** فأعجب به وبطريقته، وأراد أن يصنع على منواله كتاباً للأندلسيين أوفى بالحاجة وأحسن تنظيماً وتبويباً.

ويخيل إلينا أن **ابن عبد ربه** وإن لم يصرح باسم **ابن قتيبة** كان يعنيه أكثر من سواه حين أشار في مقدمة كتابه إلى مؤلفي كتب الأدب قبله وإلى رغبته في أن يكون كتابه أكمل من كتبهم وذلك حين يقول:

«وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفوقة في فنون الأخبار، ولا جامعة لجمل الآثار، فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجرى على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها وقرنت بها غرائب شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمقربنا على قاصيته وبلونا على انقطاعه خطاً من المنظوم والمنثور».

صنف ابن عبد ربه كتابه في خمسة وعشرين باباً بينها وبين أبواب **«عيون الأخبار»** العشرة شبه كبير، فهناك سبعة أبواب مشتركة بين الكتابين هي: السلطان والحروب، والعلم والأدب، والمواعظ والزهد، والطبائع والطعام، والنساء. كما أن عدداً آخر من أبواب العقد نجده مفرقاً في تضاعيف بعض أبواب **«عيون الأخبار»**، فكتاب الأجوبة وكتاب الخطب وهما الكتابان الثاني عشر والثالث عشر من العقد كلاهما من موضوعات كتاب العلم في «عيون الأخبار» وكتاب **«مخاطبة الملوك»** وهو الكتاب الخامس من العقد فرع من فروع كتاب السلطان في «عيون الأخبار» وكتاب **أخبار زياد والحجاج والطالبيين**.. وهو الكتاب السادس عشر من العقد معنى من معاني كتاب الحروب في **«عيون الأخبار»** وأخبار البخلاء والطفيليين التي تؤلف الكتاب الثاني والعشرين من العقد نجد ما يماثلها في كتاب الطعام من عيون الأخبار. كل هذا يؤكد سير **ابن عبد ربه** على نهج سلفه **ابن قتيبة**.

ترتيب أبواب الكتاب

وتبعاً لتسمية الكتاب بالعقد، جعل فصوله أو أقسامه، أو كتبه كما سماها مما ينتظم في العقد فهي:

١ ـ كتاب **اللؤلؤة في السلطان**.
٢ ـ كتاب **الفريدة في الحروب**.
٣ ـ كتاب **الزبرجدة في الأجواد والأصفاد**.
٤ ـ كتاب **الجمانة في الوفود**.
٥ ـ كتاب **المرجانة في مخاطبة الملوك**.
٦ ـ كتاب **الياقوتة في العلم والأدب**.
٧ ـ كتاب **الجوهرة في الأمثال**.
٨ ـ كتاب **الزمردة في المواعظ** والزهد.
٩ ـ كتاب **اليتيمة في النسب وفضائل العرب**.
١٠ ـ كتاب **العسجدة في كلام الأعراب**.
١١ ـ كتاب **المجنبة في الأجوبة**.
١٢ ـ كتاب **الواسطة في الخطب**.

وقد مد وأطال في عقده، حتى أوصله إلى خمس وعشرين جوهرة أو لؤلؤة. وعلى هذا.. فالعقد يتكون من خمس وعشرين جوهرة، وفي كل جانب اثنتا عشرة، وواسطة العقد هي الجوهرة الثالثة عشرة، وكل جوهرة كتاب، وجعل كل كتاب جزءين.

العقد..لا العقد الفريد

نسميه بالعقد، خلافاً لما هو معروف عند أكثر أدبائنا في هذا العصر، وخلافاً لما ورد في مقدمة الكتاب نفسه ـ في الطبعات التي بين أيدينا ـ حيث نرى: **«فجعلت (الضمير يعود إلى صاحب العقد)** هذا الكتاب كافياً جامعاً. وسميته كتاب **العقد الفريد** لما فيه من مختلف جواهر الكلم مع دقة المسلك وحسن النظام».[1]

نسميه بالعقد لأننا نظن أن نعته بالفريد هو أمر متأخر[2]، ليس من التسمية الأصلية التي وضعها **ابن عبد ربه** في شيء. ولعلنا ننصف **ابن عبد ربه** إذا أظهرنا خلو التسمية الأصلية من النعت. ودليلنا في هذا الأمر هو أن جميع المصادر الأولية التي بين أيدينا مما يذكره لا نرى (العقد) فيها منعوتاً بالفريد: **فالضبي** يذكر **ابن عبد ربه** ويقول: «وله الكتاب الكبير المسمى **(العقد في الأخبار)**».[3] ويذكره **القيرواني** في رسالته **(أعلام الكلام)** فيقول: «ومن تلك الجواهر نظم عقده وتركه لمن يتجمل به بعده».[4] ويذكره **ياقوت الرومي** فيقول: «وهو صاحب **العقد في الأخبار**».[5]

ويذكره **أبو الفداء** ويقول: «انتهى النقل من كتاب **العقد لابن عبد ربه**».[6] ويذكره **الشيخ أبو العباس القلقشندي** في كتابه **(صبح الأعشى)** ويقول عنه: «صاحب العقد».[7]

وفي موضع آخر: «هذا ما ذكره **ابن عبد ربه** في العقد».[8] ويذكره **المقري** كثيراً ويقول عنه **«صاحب العقد»**.[9] ويذكره **السيوطي** في كتابه **(تاريخ الخلفاء)** في أخباره عن **الخليفة الراضي** فيقول «مات في أيامه من الاعلام **نفطويه**، **وابن مجاهد المقرىء... وابن عبد ربه صاحب العقد**»[10] ويتصدى لذكره **ابن خلدون** في مقدمة تاريخية بمناسبة بحثه عن **موشحات الأندلس** فيقول: «**أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد**»[11].

ولا نستطيع الآن أن نعيِّن بالضبط الوقت الذي أضيفت فيه كلمة **«الفريد»** لتنعت **«العقد»**، كما **أننا لا نكتم دهشتنا لظهورها في كل الطبعات التي** بين أيدينا وعدم إشارة ناشري هذه الطبعات إلى هذا الأمر.[12] ولم تشر **لجنة فهارس دار الكتب المصرية** بشيء إلى أمر التسمية عند ذكرها وصف قطع النسخ الخطية من الكتاب المذكور[13]، لاسيما أننا نرى أن **حاجي خليفة** ينقل قول **ابن عبد ربه** من نسخة خطية للعقد يظهر أنه لم يكن فيها العقد منعوتاً «بالفريد»: «ألّفت هذا الكتاب وتخيَّرت نوادره من متخير جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان وسميته «بالعقد» لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع الغالب في الجمع والتصحيح»[14]. فقد كتبت فيما يظهر بعد موت **ابن عبد ربه إذ إن في النسخة المطبوعة بين أيدينا** عبارات تفيد ذلك مثل «رحمه الله»[15] (الضمير

يعود إلى ابن عبد ربه) ، أو «رضي الله عنه»[١٦] ، «أو تغمده برحمته» [١٧] إلخ. وقد يكون الناشرون أضافوها .

وكم كنت أود لو كانت بين يدي نسخ العقد الخطية المختلفة لأستطيع بواسطتها الجزم حيث ظننت ، أو الرجوع عما قطعت .

منزلته الأدبية

لا جدال في أن أقوى ظاهرة تبدو في العقد الفريد هي مسحته الأدبية . وأن القارىء يشعر بهذه المسحة في كل كتب العقد . ولعل ابن عبد ربه **قد قصد إلى هذا الأمر، إذ يظهر من قوله في مقدمة** عقده أنه اعتنى في أن يكون كتابه مجموعة من متخيّر جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان .

وقد رأيناه لا يعنى كثيراً بالإسناد لأن أخباره فيما يقول : «أخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها **الإسناد باتصاله ولا يضرها ما حذف منها».** ورأينا كذلك أنه عمد إلى اختصار أخباره «طلباً للاستخفاف والإيجاز . وهرباً من التثقيل والتطويل» ، وأنه يفتخر في أنه أحسن الاختصار وأجاد الاختيار : «وقصدت من جملة الأخبار وفنون الآثار إلى أشرفها جوهراً ، وأظهرها رونقاً ، والطفها معنى ، وأجزلها لفظاً ، واحسنها ديباجة ، وأكثرها طلاوة وحلاوة وأخذاً بقول الله تبارك وتعالى : «**الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه**» الزمر (١٨).

ولعله لم يجمع هذه الفنون المختلفة في عقده ـ حتى كاد يكون **دائرة معارف مختصرة لعلوم عصره** ـ إلا لأنه كان يرى ذلك من شروط الأدب ، وقد روى في عقده : «قال عبدالله بن مسلم بن قتيبة من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ، ومن أراد أن يكون أديباً فليتفنن في العلوم» .[١٨]

وقد وفّق ابن عبد ربه في تحقيق غايته ، وسبق الكثيرين ممن بحثوا قبله في هذه الناحية نفسها ، وامتاز على بعضهم بالوضوح وسهولة المأخذ وعلى غيرهم بالترتيب والتنسيق ، وعلى عمومهم في أن كتابه كان جامعاً لأكثر علوم عصره إن لم يكن كلها . وهذا يظهر لأول وهلة لمن يطالع جدول الكتب التي ضمها العقد . ناهيك في أن الصبغة الغالبة في أكثر هذه الكتب إنما هي صبغة الأدب كما كانوا يفهمونه يومذاك .

وفي العقد ما لا يقل عن عشرة آلاف بيت من الشعر لأكثر من مئتي شاعر في **العصر الجاهلي والأموي والعباسي** . وربما يصعب أن تذكر شاعراً معروفاً لا ترى عنه خبراً أو نتفاً من

العقد الفريد .. لابن عبد ربه

شعره ، واستشهد بها ابن عبد ربه لمناسبة ما . ناهيك بما ذكره لغير هؤلاء من المشهورين وغير المشهورين وبنوع خاص لابن عبد ربه نفسه ، فإن في العقد أكبر مجموعة شعرية من شعره الذي لم يفقد مع ما فقده في ديوانه .

هذا من حيث رواية الشعر وأخبار الشعراء . أما من حيث وصف المجالس الأدبية والخطب والرسائل ، ففي العقد كتاب خاص ، جعله **الواسطة** بين جواهر العقد ، ذكر فيه عيون الخطب ، وهو بحق من خير المصادر لمراجعة بعض خطب المتقدمين . زد على ذلك خطب الوفود وأقوالهم والرسائل التي تبودلت بين **علي ومعاوية** والتي إن صحت نسبتها إليهما لتدل على أن فن إنشاء الرسائل الطويلة قد تقدم عصر **عبدالحميد** ومعلمه .

كذلك للعقد قيمة أدبية من حيث النقد الأدبي . ففيه فصول في النقد نقل بعضها ابن عبد ربه عن **الشيباني** وغيره من الأدباء القدماء يجدر بعلماء النقد الوقوف عليها ، منها مثلاً ما يجب أن يأخذ الكاتب به نفسه في صناعة الكتابة[١٩] .

ومن الخير أن نشير هنا إلى القسم الأخير من جوهرته هذه ، أي باب «**ومن أمثال العرب**» وهو القسم الأكبر في **الجوهرة** قد أخذه فيما يقول عن رواية **أبي عبيدة** . وإذا رجعنا إلى **الفهرست**[٢٠] نرى أن بين الكتب التي وضعها **أبو عبيدة** كتاباً اسمه «**كتاب الأمثال**» ، فلا يبعد أن يكون هو الكتاب الذي رجع إليه ابن عبد ربه .

وقد ذكر ابن عبد ربه **أنه جرد هذه الأمثال من الآداب التي أدخلها فيها أبو عبيدة** وضم إلى أمثلة العرب القديمة ما جرى على السنة العامة من الأمثال المستعملة ، وفسر في ذلك ما احتاج إلى التفسير[٢١] .

وفي العقد أرجوزة عن مآثر **الخليفة الناصر** في حروبه **وهي تكاد تكون من أقدم الشعر القصصي الذي يدور على الملاحم** .

ولم يكن ابن عبد ربه أول من نظم الشعر العربي في بعض وقائع التاريخ ، فقد تقدمه شعراء المشرق في جاهليتهم وإسلامهم ولكنهم لم يقصروا قصائدهم على وقائع التاريخ ، بل ذكروا فيها فخرهم وحبهم وغير ذلك . كذلك لم يطيلوا في الشعر الذي ذكرت فيه وقائع تاريخية مثل ما أطال

ابن عبد ربه لا نستثني إلا **ابن المعتز** ، فقد سبق ابن عبد ربه بالزمن وشاركه بطول القصيدة واقتصارها على موضوع واحد عام .

ولعل ابن عبد ربه قد أخذ شيئاً عن **أرجوزة ابن المعتز** ، لاسيما إذا لاحظنا أن أول أبيات ابن عبد ربه تكاد تشبه من حيث المعنى أول أرجوزة ابن المعتز[٢٢] ، ومن يقرأ الأرجوزتين يشعر أن ابن المعتز صاحب القسط الأوفر من الفضل والتقدم في هذا المضمار .

وهناك في العقد ما له قيمة أدبية وتاريخية في الوقت نفسه ، ألا وهو بحث ابن عبد ربه أو جمعه لبعض الأمور في اصطلاحات الكتاب ، وأصول المخابرات الرسمية ، وتضمين الأسرار في الكتب . فكأن عمله من هذه الناحية نواة صغيرة لما كتبه في «صبح الأعشى» أبو العباس القلقشندي[٢٣] .

في المنهج التاريخي

يعد العقد مصدراً من المصادر الأولية المهمة التي يرجع إليها الباحثون في تاريخ العرب **السياسي والاجتماعي والأدبي، وقد امتاز من** كثير من الكتب القديمة بتبويبه واختياره ، كما أنه يذكر لنا بعض روايات الأقدمين **كالأصمعي ، وأبى عبيدة ، والعتبيي ، والشيباني** ، وغيرهم **ممن لم يترك لنا الزمن من آثارهم التاريخية والأدبية شيئاً كثيراً مجموعاً في كتب مستقلة.**

ويذكر العقد أخباراً كثيرة عن رجال الإسلام **الأوّل من خلفاء وأمراء وقواد في عصر الراشدين والأمويين،** وعن **أيام العرب الأولى واختلاف أمرهم في العصر الأموي، لا بد للباحث في تاريخهم من الوقوف عليها، كما أنه يذكر في بعض كتب العقد كثيراً من الفوائد التاريخية مما يتعلّق بالسياسة والاقتصاد والاجتماع والآداب وغيرها.**

وقد ذكر في كتاب النسب أخباراً دقيقة لها علاقة **ببعض الأمور التاريخية كأن يورد مثلاً في كلامه** عن **قريش** تسميه من انتهى إليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالإسلام ، ويشرح المكارم التي كانت لهم في الجاهلية من سقاية ، ورفادة ، وسدانه ، وحجابة ، الخ[٢٤] . وذكر في كتاب آخر من العقد أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولبعض الخلفاء والأمراء من بعده[٢٥] . ويروي في بعض الأحيان اخباراً لها أهميتها لمن يريد التخصص في درس بعض الشخصيات الإسلامية .

وللعقد قيمة تاريخية من حيث الرجوع إليه عند

نشر بعض الكتب التي أخذ عنها صاحبه ، أو التي أخذت عن رواة استند إليهم ابن عبد ربه أيضاً . وقد ألحقت لجنة **دار الكتب في القاهرة** عند نشرها كتاب «**عيون الأخبار**» زيادات كثيرة في متنه نقلتها عن العقد وصححت كثيراً من الأغلاط التي عثرت عليها في النسخ الخطية من «عيون الأخبار» عند مقابلتها بالعقد .

ويجب أن لا ننسى أن العقد من المصادر القديمة ، فصاحبه قريب عهد بكثير من الأمور التي وقعت وذكرها في كتابه . كما أن في العقد كتاباً **كبيراً قصره على تاريخ الخلفاء يمتاز عن كثير من كتب التاريخ القديمة من حيث الاختيار والاختصار اللذان قصد إليهما مؤلفه. فقد حشد في نحو (١٣٣) صفحة فوائد كثيرة عن الخلفاء في الشرق والأندلس حتى زمنه.**

آراء النقاد

وكتاب العقد الفريد وإن ظهر في الأندلس فإنه لا يختلف في ألوانه الثقافية عن كتب الأدب الشرقية ، ولولا النماذج الكثيرة التي يأتي بها **ابن عبد ربه** من شعره الشخصي ويبثها هنا وهناك في مختلف أبواب كتابه ، ولولا بعض الأخبار الأندلسية القليلة التي يلقاها القارىء عرضاً متناثرة في مواضع قليلة من الكتاب لقلنا إن الكتاب بجملته صورة من صور أدب المشرق . ويظهر أن أكثر الذين نعوا على ابن عبد ربه عقده قد قصدوا إلى هذه الناحية التي انتقدها **الصاحب بن عباد** ، أي عدم ذكر صاحبه أخباراً كثيرة عن الأندلسيين . فقد ذكر **المقري** أن **أبا علي التميمي القيرواني** ذكر **لابن حزم الأندلسي** في رسالة قال فيها : «إنه يلحقه فيه بعض اللوم لاسيما إذا لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه يتيمة سلكه من ترك ما يعنيهم وإغفال ما يهمهم»[٢٦] .

ويذكر **المقري** في موضوع آخر أن **القلفاط** الشاعر ـ معاصر ابن عبد ربه ـ كان يتعرّض لابن عبد ربه ويهجوه ويسمي كتاب العقد «**حبل الثوم**»[٢٧] . **وإذا استثنينا هؤلاء نرى سائر المؤرخين والأدباء يثنون على العقد وصاحبه خير ثناء .**

هل طبق المنهج التاريخي؟

والظاهرة الأولى التي تبدو في العقد هي ضعف صاحبه كمؤرخ . ونلمس هذا الضعف من نواح متعددة منها أن ابن عبد ربه يرى أن لا أهمية للإسناد في الأخبار . ويدوِّن مبدأه هذا بصراحة في مقدمة كتابه حيث يقول : «وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلباً للاستخفاف والإيجاز وهرباً من التثقيل والتطويل لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر **لا ينفعها الإسناد باتصاله ولا يضرها ما حذف** منها»[٢٨] .

وهو يخالف **أبا الفرج الأصبهاني** من هذه الناحية ، فإن «**الأغاني**» من الكتب المسندة (المعنعنة) . وقد أخذ ابن عبد ربه كثيراً من الأخبار عن مصادر أهمل ذكرها .

ونرى من ناحية ثانية أن له رأياً في الاختصار والاختيار ذكره في مقدمة كتابه إذ قال : «وقد ألّفت هذا الكتاب وتخيّرت جواهره من متخيّر جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجواهر ، ولب اللباب ، وإنما لي فيه تأليف الاختيار وحسن الاختصار ... واختيار الكلام أصعب من تأليفه ، وقد قالوا اختيار الرجل وافد عقله»[٢٩] .

ويظهر من ناحية أخرى أنه لا يمحص الأخبار بل تراه ينقل الكثير منها على علاته ، دون أن يسبرها بمعيار العقل والمنطق . وهو يشترك بهذا **مع كثير من مؤرّخي العرب المتقدمين، فيذكر مثلاً** أخباراً عن **المعمرين** منها أن أحدهم عاش (١٩٠) سنة فاسودّ شعره ونبتت أضراسه وعاد شاباً ويقول : «ولا يعرف في العرب أعجوبة مثله»[٣٠] . ومنها : «ومن بطون **غطفان نصر بن دهمان** كان من المعمرين وعاش مئتي سنة»[٣١] . والغريب أنه يعود فيذكر أنه مكتوب في «**الزبور**» من بلغ السبعين اشتكى من غير علة»[٣٢] .

ونرى ابن عبد ربه أيضاً لا يختلف كثيراً عن بعض مؤرخي العرب القدماء عند نقلهم الأخبار التاريخية ، في عدم تقديرهم للأسباب الحقيقة في كثير من الحوادث المختلفة .

وهو قليل التدقيق في كثير من الأمور التي يذكرها بحيث يورد في بعض الأحيان أخباراً في موضع ، ثم يوردها في موضع آخر بصورة تناقضها تماماً دون إشارة إلى أنه قد لاحظ هذا التناقض .

كلمة أخيرة

لقد وضع المؤلف في صدر كل كتاب تمهيداً أو فرشاً ، كما قال ، من إنشائه ، قبل تقديم ما يرويه وينقله . والكتاب ـ كما هو واضح ـ يعتمد على النقل والرواية ، إلا ما كان من تعليق أو شرح ، أو نقد للمختارات ، التي يرويها أو ينقلها .

الهوامش

(١) ابن عبد ربه ١ : ٤ .

(٢) لابد لنا من ذكر أن أول من أشار إلى ذلك هو بروكلمان . راجع مقاله المختصر عن ابن عبد ربه .

(٣) الضبي ١٣٧ .

(٤) القيرواني ٢٦ .

(٥) ياقوت ٢ : ٦٧ .

(٦) أبو الفداء ١ : ٨٥ .

(٧) طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٩١٦م ، ٩ : ٣٦٢ ، وفي ١ : ٣٩٣ «في كتاب العقد» .

(٨) طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٩١٦م ، ١٠ : ١٩٤ .

(٩) المقري ٢ : ٧٨١ ، ٨٣٢ ، و٤ : ٦٠٧ ، وطبعة أوروبة ٢ : ٩٠ .

(١٠) السيوطي (مصر ١٩٥٩م) ص (٣٩٣) .

(١١) ابن خلدون : ٥٤٠ .

(١٢) ابن عبد ربه ١ : ٤ وراجع طبعة المطبعة الجمالية بمصر ، ١٩١٣م ، ١ : ٤ ، وطبعة المطبعة الشرقية بمصر ١٣٠٥هـ ١ : ٣ .

(١٣) فهرس الكتب العربية الموجودة في دار الكتب ٣ : ٢٥٢ و٢٥٣ .

(١٤) ابن عبد ربه ١ : ٢ قبل المقدمة .

(١٥) ابن عبد ربه ٢ : ٢٤٥ و٣ : ١١٦ .

(١٦) ابن عبد ربه ٣ : ٦٠ .

(١٧) ابن عبد ربه ١ : ٨٣ .

(١٨) ابن عبد ربه ١ : ١٩٩ .

(١٩) ابن عبد ربه ٢ : ٢١٦ ، ابن عبد ربه ٢ : ٢١٧ .

(٢٠) ابن النديم ١ : ٥٤ و٥٥ .

(٢١) ابن عبد ربه ١ : ٣٣٣ .

(٢٢) راجع ديوان ابن المعتز (طبع في مطبعة المحروسة بمصر ١٨٩١م) جـ ١ : ١٢٦ ، وقابل بين ارجوزته هذه في المعتضد وارجوزة ابن عبد ربه في الجزء ٢ من عقده ص (٢٣٦) تروجه الشبه بين الأرجوزتين من حيث اللفظ في :

الحمد لله على آلائه
احمده ، والحمد من نعمائه

يقابلها عند ابن عبد ربه :

فالحمد لله على نعمائه
حمداً جزيلاً وعلى آلائه .

ومن حيث المعنى في اتفاقهما بذكر الفوضى التي سبقت حكم كل من الخليفين المعتضد العباسي ، والناصر الأندلسي .

(٢٣) ابن عبد ربه ٢ : ٢١٣ . راجع الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر ، طبع دار الكتب بالقاهرة ١٩٣١م ، نشر الدكتور زكي مبارك ص (١٠ ـ ١٤) . ويرى القارىء أن أكثر ما ذكره ابن عبد ربه في صناعة الكتابة والنقد موجود بها ، ابن عبد ربه ٢ : ٢٤٤ ، قابل ابن عبد ربه ٢ : ٢١٨ ، بالقلقشندي ٩ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

(٢٤) ابن عبد ربه ٢ : ٤٥ ـ ٤٦ .

(٢٥) ابن عبد ربه ٢ : ٢٠٧ .

(٢٦) المقري (أوروبة) ٢ : ١٠٩ ، وطبعة مصر ٢ : ٧٦٧ .

(٢٧) المقري (أوروبة) ٢ : ٢٠٠ ، وطبعة مصر ٢ : ٨٣٢ ، غير أن الرواية في الطبعة المصرية مشوشة .

(٢٨) ابن عبد ربه ١ : ٣ .

(٢٩) ابن عبد ربه ١ : ٣ .

(٣٠) ابن عبد ربه ١ : ٣٢٣ .

(٣١) ابن عبد ربه ٢ : ٦٢ .

(٣٢) ابن عبد ربه ١ : ٣٣٤ .



زيادة الجريمة وانخفاضها

تأليف: موريس كوسون ● عرض ومراجعة: د. محمود الذوادي

الجريمة وآليات الضبط الاجتماعي

يُركِّز هذا الكتاب لعالم الإجرام الكندي الفرنسي موريس كُوسُونُ Mourice Cusson على آليات الضبط الاجتماعي Iesmécanismes du Conlrôle Social التي تؤثر بطريقة حاسمة في طبيعة ازدياد او انخفاض نسب الجريمة والانحراف في كل من المجتمعات الغربية الحديثة مثل المجتمع الأمريكي والكندي والإنجليزي والفرنسي والألماني والسويسري من جهة والمجتمع الياباني الحديث من جهة أخرى .

يُؤكِّد صاحب الكتاب في كامل فصول كتابه على أنه كُلّما أصبحت آليات الضبط الاجتماعي متفككة أو ضعيفة ازدادت المؤشرات الإجرامية والانحرافية ارتفاعاً بتلك المجتمعات. فالمنظور الذي يتبناه المؤلف هنا منظور تغلب عليه الرؤية الاجتماعية (السوسيولوجية)، وأن الازدياد الهائل في نسب الجريمة بين الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ و٢٥ سنة في الستينيات بتلك المجتمعات يرجع في رأي **كُوسون** إلى العجز الخطير في قدرة الأُسر والمدارس وسوق العمل على التحكم في الشباب في سن مبكّرة . فالخلفية الاجتماعية التي ينحدر منها المنحرفون تتصف بخاصيات عدة، فالمنحرف من ناحية شاب في مقتبل العمر مستقل استقلالاً كاملاً عن تأثير سلطة أبويه، وهو من ناحية أخرى ليس بالشخص المنجذب والمدفوع إلى السعي إلى التعلم بالمدرسة ، ولا هو يلقى الترحيب في سوق العمل . وبعبارة علم الاجتماع ، فإنه فردٌ بعيد كلَّ البعد عن أن يكون مندمجاً اجتماعياً في نسيج مجتمعه. فهو عموماً على عكس ذلك، أي إنه هامشي ووضعه الاجتماعي يتسم بالهشاشة ففي هذه الظروف يسهل عليه الاندفاع إلى ارتكاب الجريمة والانحراف . وغالباً ما يجد نفسه منغمساً في جرائم المخدرات والعنف . ويخلص المؤلف إلى القول بأن خط بيان الجريمة والانحراف لفترة ما بين ١٩٤٨ م و١٩٧٥ م في أغلب هذه المجتمعات قد تأثر كثيراً بذلك النمط من آليات الضبط الاجتماعي .

النظم والضبط الاجتماعي

فالمجتمعات التي حددها المؤلف في كتابه قد عرفت ازدهاراً اقتصادياً مُهماً في هذه الفترة. فتعددت بالتالي فرص السرقات من كل أنواع المكتسبات والمبيعات خاصة بين الشباب المُهْمَلين اجتماعياً . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن **كُوسون** يعتقد أن النظم الجنائية والعقابية قد ساعدت هي الأخرى على إضعاف آليات الضبط الاجتماعي التي تملكها الدولة الحديثة في البلاد الديمقراطية الغربية المعاصرة . ويُنْسَبُ تدهور دور تلك النظم إلى تبني السلطة في تلك المجتمعات مواقف وسياسات هشة وغير حازمة في تعاملها مع المنحرف والمجرم.

وهكذا يرى المؤلف أن ما يُسمى بظاهرة تضخم زيادة إنجاب الأطفال Baby Boom **(أي العامل الديمغرافي)** التي عرفتها المجتمعات الغربية بعد الحرب العالمية الثانية ليست هي العامل الحاسم في حدّ ذاته في الازدياد الكبير للجريمة والانحراف كما يعتقد العديد من علماء الإجرام والاجتماع على الخصوص . فلو كان العامل السكاني ذا دور رئيسي في تقلبات نسب الجريمة والانحراف لعرف كُلّ من المجتمع **الياباني والسويسري** نسباً مُشابهة لذلك في الجريمة والانحراف .

انضباط آليات الضبط الاجتماعي في اليابان وسويسرا

إنَّ دراسة **كوسون** تبيّن أن نسب الانحراف والجريمة لا تتسم بالزيادة في كل من المجتمع **الياباني والسويسري** الحديثين . **فاليابان مثلاً ، قد اعتمد في مكافحته للجريمة والانحراف على ما أطلق عليه صاحب الكتاب بالسياسة الاستراتيجية** La polilique Stratégique . فالإحصائيات تشير إلى أن المجتمع الياباني لم يعرف زيادةً في نسب الجريمة والانحراف بل شهد على العكس من ذلك انخفاضاً فيها بين عامي ١٩٦٠م و ١٩٨٠م ويفسر المؤلف

ذلك بسبب أن تنفيذ الأحكام والعقوبات على الجاني يتصف بدرجة عالية من اليقينية Certitude .

وعلى مستوى آخر ، فإن عملية التنشئة الاجتماعية تجعل الفرد **الياباني** على وعي كافٍ بخصوص الانعكاسات الجسمية التي سوف يتعرض لها في حالة قيامه بارتكاب أعمال انحرافية وإجرامية . أما ما يسميه **كُوسون بالشرطة اليابانية النخبوية** فهي غالباً ما تلعب دور الوسيط بين المنحرف ومجتمعه .

وفي النهاية فإن النظام الجنائي الياباني يتمتع بمساندة واسعة ومستمرة من فئات المجتمع الياباني عموماً.

ورغم انتمائه للحضارة العربية، فإن نسب الجريمة والانحراف **في المجتمع السويسري** تشبه إلى حدٍ كبير نظيرتها **في المجتمع الياباني أي إن نسب** الانحراف والجريمة بين سكانه تميل إلى الانخفاض . ويرجع ذلك ، كما هو الشأن في **المجتمع الياباني**، إلى تأثير آليات الضبط الاجتماعي. **فنظام الأسر والمدارس وما يُدعى بالمجتمعات المحلية Communautés السويسرية** ، تحرص كل الحرص على تنشئة الفرد **السويسري** على احترام المعايير والقيم الثقافية للمجتمع . كما انه يغلب على الشرطة والقضاة الاندماج في مجتمعهما المحلي . فيساعدهما ذلك على كسب ثقة السكان وبالتالي القيام بعملهما بكفاءة عالية . ثم يقوم المؤلف بسرد وتحليل تلك الأمثلة والمقارنات لكي يصل إلى الخلاصة الرئيسية التالية :

تزداد نسب الجريمة في المجتمع بتردي وضع آليات الضبط الاجتماعي وتنخفض في المقابل كلما ازدادت هذه الأخيرة شِدَّةً وإحكاماً.

إحكام الضبط الاجتماعي

يطبق **كُوسون** خلاصته هذه أيضاً على انخفاض الجريمة والانحراف التى عرفتها نفس هذه المجتمعات في الثمانينيات . فنسب الجريمة والإنحراف أصبحت تميل إما إلى الاستقرار أو إلى الانخفاض البطيء . ويرجع ذلك إلى أن جيل فترة الإنجاب الضخم للأطفال Baby Boom قد بلغ مع الثمانينيات سنًّا تزيد على ٢٥ عاماً . وهي سنٌّ جعلت اندماجهم الاجتماعي في نسيج المجتمع اندماجاً أكثر عمقاً ، وبعبارة أخرى فإن آليات الضبط الاجتماعي أصبحت تتمتع بتأثير أكبر في الفرد . وبالإضافة إلى ذلك فإن انتشار حوادث الانحراف والجريمة قبل ١٩٨٠م كسرقات البضائع والسيارات والبنوك أدَّت



بشرائح عريضة من تلك المجتمعات إلى اتخاذ تدابير دفاعية ضد فئات المنحرفين والمجرمين الأكثر تهيؤًا للانسياق في اقتراف الجرائم والانحرافات. فأدت هذه التدابير إلى التقليل عند المنحرفين والمجرمين من حدَّة جاذبية بعض الفرص الحافزة أصْلاً على ارتكاب أعمال الانحراف والجريمة. وهذا ما يبرر في رأي صاحب الكتاب انخفاض نسب الانحراف والجريمة في تلك المجتمعات منذ ١٩٨٠م.

إسهام الكتاب وقصوره

فباستعماله لمنظور تحليلي متناسق لحركية الجريمة والانحـراف بالمجتمعات الحديثة، يعتقد **كوسون** أن كتابه يُقدم فعلاً إسهاماً هاماً في بناء نظرية في ميدان علم الإجرام ، وما ١٧٠ صفحة (هي كل صفحات هذا الكتاب) إلا لتحديد الأسس الرئيسية لهذه النظرية التي أطلق عليها المؤلف **نظرية الضبط الاجتماعي** للجريمة والانحراف وهي ترتكز على عكس نظرية **الضبط الذاتي Self Control Theory** لعالمي الإجرام الأمريكيين **جُوتفردْسُنْ Gottfredson وهِرْشي Hirchi** [1] فبينما تُرجع نظرية **كوسون** المسؤولية في ازدياد الجريمة وانخفاضها والانحراف إلى آليات الضبط الاجتماعي فإن نظرية الضبط الذاتي تعطي اهمية كبرى لشخصية الفرد كمتغير (مؤثر) حاسم في توجهه لارتكاب الجريمة والانحراف .

إن المتأمل في منظور **كوسون** لدراسة جنوح الأحداث والجريمة يلاحظ أن منظوره قد عرف تحولاً مُهماً يتمثل في استعماله سابقاً لما يمكن أن نطلق عليه بمنظور علم نفس اجتماعي لَيِّن[2] ولجوءه اليوم في كتابه الحالي إلى منظور علم الاجتماع يغلب عليه التقلب . ففي كتابه «**جنوح الأحداث لماذا ؟**» يرى **كوسون** أن الطبيعة البشرية تنطوي على حاجات أساسية ذات طابع مستقر . وهذه الحاجات تظل دائماً مصادر وحوافز يمكن أن تدفع الشخص تحت ضغوط عوامل خارجية إلى الانقياد إلى الجريمة والانحراف، فالحاجات الأساسية في حد ذاتها غير قادرة على تفسير تقلُّب (الزيادة والانخفاض) نسب الانحراف والجريمة في المجتمعات **الغربية** الديمقراطية **واليابان هي** حصيلة للمتغيرات الاجتماعية (**آليات الضبط الاجتماعي**) .

إن مثل هذه المعطيات أدت بصاحب هذا الكتاب إلى قبول نوع من الحتمية الاجتماعية المفروضة عليه[3] . وهو موقف يتناقض إلى حد كبير مع رؤية كتابه : جنوح الأحداث لماذا ؟ المنشور عام ١٩٨١م ، فمفهوم التعليل الاستراتيجي L'mdyse Stratégique المطروح في هذا الكتاب يمكن أن يكون أولى ضحايا منظور الحتمية الاجتماعية الذي يتبناه **كوسون** في كتابه المُراجع هنا . فتعاطفه الجديد مع الحتمية الاجتماعية كان يمكن الدفاع عنه بطريقة أفضل لو أن المؤلف وضع النقاط على الحروف بخصوص موقفه اليوم من افتراضاته ومفهوماته ونظرياته السابقة التي لا يبدو أنها على انسجام كبير مع الرؤية الاجتماعية (السوسيولوجية) المتصلبة التي يعكسها كتاب زيادة الجريمة وانخفاظها المناقش هنا.

الهوامش

(1) Gottfredson, M., and Hirchi, T. A General Theory of Crime, Standford, Calif.[1] Standford Univ. Press 1990

(2) Cusson, H. delinquants Pourquoi0 Montreal, Hurtubise, HMH 1981

(3) Cusson, H., Le Controle Social du crime, Paris, PUF, 1983

بالإضافة إلى الكتاب موضوع هذه المراجعة .

الناشر : **Presses Universi Louise de France Paris 1990** .

الطَّبيعيَّة: قضايا ومفاهيم

إعداد: قسم الترجمة

في الوقت الذي كان فيه أبسن Ibsen يضع حجر الأساس للواقعية في المسرح العالمي بمسرحياته الرائدة، ظهر في فرنسا تيار آخر يدعو إلى إعادة النظر في مفهوم الفن والواقع، ويدعو إلى ربط الإبداع الفني بالحقائق العلمية والتزامها كما هي في الطبيعة دون تعديل أو إضافة، عرف هذا الاتجاه «بالمذهب الطبيعي» وكان رائده والداعي إليه فكرياً وفنياً الأديب الفرنسي إميل زولا Emile Zola (١٨٤٠ ـ ١٩٠٢م). الذي تأثر بالنظريات العلمية الرائجة في ذلك الوقت وخاصة نظرية أوجست كونت August Conte مؤلف كتاب «الفلسفة الايجابية» "Positive Philosophy"(١٨٤٢م)، وكتاب «مقدمة إلى الطب التجريبي» "Introduction to Experi-mental Medecine" (١٨٦٥م) لمؤلفه كلود برنارد Claude Bernard.



• زولا كما ظهر في إحدى مجالات عصره.



Cinq Centimes

L'AURORE

Littéraire. Artistique. Sociale

J'Accuse...!

ETTRE AU PRESIDENT DE LA RÉP

Par ÉMILE ZOL

زولا على صور الصفحات الأولى للصحف الفرنسيّة في زمانه.

مفهوم الفن

ولأن حقل إبداعه الأساسي كان في الرواية فإن إميل زولا لم يكتب مسرحيات إلا ما اقتبس من رواياته وأشهرها، Therese Rauquin، ولم تكن مسرحياته نفسها بذات أهمية درامية بقدر ما كانت مقدماتها هي الأهم فقد كانت تشرح نظرية هذا المذهب الجديد. وقد جمعت مقالاته في كتاب مستقل بعنوان «الطبيعية في المسرح» (١٨٨١م) وفيها وضع زولا خلاصة أفكاره في المسرح، وأعلن أن المسرح التقليدي ليس إلا مثالاً لتزييف الحقيقة والكذب على الواقع، وأن ليس هناك من خيار، «فإما أن يموت المسرح أو أن يكون حديثاً وطبيعياً». فمن ناحية الشكل دعا زولا إلى تحطيم الحيل الفنية الدرامية الموروثة عن المسرحية المتقنة الصنع Well-made play المتمثلة في مسرحيات مشاهيرها أمثال سكريب Scribe وساردو، Sardou، وأوجيه Augier ودوماس الابن Dumas fils، وقال إن هذه الوسائل مثل: الحبكة والتعقيد والحل إنما تخالف الطبيعة، عندما تجعل الأحداث في النهاية تؤدي إلى تعاطفنا مع البطل، واعتبر المسرحية المتقنة الصنع أكثر خطراً على المسرح من الرومانسية.

وظيفة الكاتب المسرحي

ويدعو زولا إلى التزام الموضوعية والمنهجية العلمية في الأدب، ففي كتابه «الرواية التجريبية» The Experimental Novel يعمل على تطبيق المنهج العلمي الذي ورد في كتاب كلود برنارد السالف الذكر، ويقارن الأديب بالطبيب الذي يعمل لمعرفة أسباب المرض ليعالجه، وبنفس الأسلوب على الكاتب أن يعرض الأدواء الاجتماعية على خشبة المسرح حتى يسهل علاجها وتجنب أسبابها. وقد جعل هذا المنهج أتباع المذهب الطبيعي يطالبون الفنان بالتعامل مع مادته الإبداعية بنفس الموضوعية التي يتعامل بها العالِم في المختبر مع مادته. لقد ظل زولا يردد بأنه لن توجد هناك مدرسة أو نظرية في الفن، إن الحياة نفسها ستبقى الحقل الكبير الذي يدرسه الأديب ويُبدع منه كما يشاء. ولهذا فالأديب في المذهب الطبيعي يجب أن يستمد موضوعه من طريقين لا ثالث لهما: إما أن يكون مستمدا من النتائج العلمية الدقيقة أو

من تسجيل صادق وأمين لجزء من الحياة اليومية. فمهمة الكاتب المسرحي هي استحضار الشخصيات والمشكلة ثم تترك الأحداث تتوالى نتيجةً لحتمية نظرية البيئة والوراثة. فالفرد عند زولا يعود إلى حياته العضوية تسيره غرائزه وحاجاته المادية. وإذ كان الكاتب المسرحي لا يريد الخضوع للتجربة المعملية، فإن زولا يقترح عليه الآتي: «بدلاً من تخيل مغامرة وتعقيدها والتخطيط للأحداث والمفاجآت التي تتدرج من مشهد إلى مشهد حتى تصل الخاتمة، فإن على الكاتب المسرحي أن يأخذ من واقع الحياة تاريخ إنسان أو جماعة من الناس وينقلها إلى المسرح نقلاً أميناً.» فالكاتب المسرحي عند زولا يجب أن يحصر نفسه في قطاعين إما أن ينقل القوانين التجريبية ونتائجها إلى المسرح نقلاً حياً ومباشراً أو أن يدرس قطاعاً من الحياة دراسة موضوعية مركزة.

الموضوع والأسلوب

وتحت شعار **الموضوعية** حيث لا يسمح الكاتب لأفكاره بالتسرب إلى عمله الفني، **والدقة** وتعني التسجيل الحرفي للواقع الحياتي المعاصر، أسهب الواقعيون في الخوض في هموم الإنسان المادية وغرائزه الحيوانية متناسين أشواقه الروحية وطموحاته المثالية. **وهكذا ابتلي المسرح الطبيعي بالاقتصار على عرض الآفات والآثام الاجتماعية للطبقات المتدنية والسوقية.** وإذا كان اتجاه الطبيعية ــ كما يرى بعض النقاد ـ هو تناول حياة الطبقات الفقيرة كرد فعل لما حدث في القرن الثامن عشر حين قصر معظم كتاب المسرح موضوعاتهم على قضايا الطبقة الوسطى فإن الطبيعية قد أساءت إلى الطبقة السفلى من حيث أرادت أن تُحسن، حين أسرفت في تناول الجوانب الدنيئة والسيئة لهذه الطبقة بينما نعمت الطبقة الوسطى بالتصوير المثالي لقضاياها من كُتَّاب القرن الثامن عشر،

الاختيار في الفن

يعتبر الاختيار في الفن من وجهة نظر **زولا** تشويهاً للحقائق وكذباً على الطبيعة. يقول **زولا**: **«إنني لا أشعر بارتياح لكلمة «فن» لأنها تحتوي على معنى إعادة صياغة ما حدث في الواقع بشيء من الإضافة والتعديل»**. لهذا يرى الطبيعيون أن المسرح بل الفن عموماً يجب أن يكون قطاعاً من الحياة Slice of Life . فالمسرحية الطبيعية لا تتبع نظاماً معيناً في بنائها مثل تحديد البداية والوسط والنهاية وهو الترتيب المعروف في المسرحية الكلاسيكية. إن الكاتب المسرحي الطبيعي يبدأ عمله الفني دون اختيار ودون تخطيط فتبدأ القصة عشوائياً بأي موقف وتنتهي بنفس الطريقة دون حتمية الوصول إلى نتائج معينة لما حدث لأنها يجب أن تكون نقلاً طبيعياً لما يجري في الحياة الواقعية دون إضافات فليست هناك حاجة للحيل الدرامية التقليدية كالعقدة والصراع والانفراج والتشويق والحل.

المنظر والتمثيل

ولأن الطبيعية الواقعية قد سلمت بنظرية التفسير المادي للحياة المتمثل في نظرية الوراثة والبيئة ونظرية النشوء والارتقاء، أصبح لزاماً عليها إظهار عوامل البيئة والوراثة على خشبة المسرح، فقد حرصت الطبيعية على أن تحضر إلى خشبة المسرح كل مكونات المشهد المسرحي كما هي في واقع الحياة لا صورها أو رموزها. ولعل أشهر عرض لمسرحية طبيعية هو عرض **أندريه أنطوان Andre Antoine** لمسرحية **«الجزارون»** The Butchers (١٨٨٨م) ذات الفصل الواحد، حيث تم إحضار كل ما يمكن أن يوجد في محل الجزار وعلقت قطعاً حقيقةً من اللحم وبالمثل كانت الملابس والأدوات والأثاث وغيرها من وسائل العرض المسرحي.

أما طريقة التمثيل في المسرحية الطبيعية فقد اشترط **زولا** أن تكون نقلاً حياً لسلوك الإنسان في الحياة، فالممثل عند **زولا** لا يمثل وإنما يعيش على خشبة المسرح. فخشبة المسرح تعد كغرفة حقيقية وعلى الممثل أن يتحرك فيها دون أن يلقي بالاً للمشاهد أو يحسب له حساباً، فمن الممكن أن يدير له ظهره وأن يمارس أي سلوك أو فعل لا يجوز فعله في حضور الآخرين لأن على الممثل أن يتصرف وكأنه وحده لا يراقبه أحد، أي أن يكون سلوكه طبيعياً وكأن الحائط الرابع للمكان الذي هو فيه لا يزال قائماً بينه وبين المشاهدين. وقد أدى هذا التصور إلى إرباك المشاهدين وإثارة تقززهم بما يعرض عليهم من مشاهد إما قذرة أو مخلة بالآداب العامة أو قبيحة تعافها النفس. وقد كان وراء هذا كله رغبة **زولا** الملحة في إزالة الفوارق بين الفن والعلم وتحويل المسرح إلى مكان مماثل للمشرحة بما فيها من مناظر مؤذية للشعور أو تحويله إلى معمل تجارب حقيقي يتعامل مع المادة الصرفة الجافة الجامدة دون أي اعتبار لشعور أو جمال أو فضيلة.

المسرحية الرائدة

لم تستطع الطبيعية أن تجتذب أدباء المسرح والجمهور وذلك بسبب الشروط الصعبة التي وضعتها لمنهج الكتابة والعرض المسرحيين ولتطرفها في نظرتها إلى الفن نفسه حين ألغت الفوارق بين المسرح والحياة وعطلت خيال المؤلف وإبداعه وحولته إلى مجرد ناقل لما يراه أمامه في بيئته. فقد عجزت النظرية الطبيعية أن تجد من يكتب لها بشروطها. ولما كان **إميل زولا** نفسه كاتباً روائياً وليس مسرحياً في الأصل فقد قام بإعداد روايته **«تيريز راكان» Thérèse Raquin** للمسرح فأصبحت أول عمل مميز في المسرح الطبيعي.

يهتم الفصل الأول من **مسرحية تيريز راكان** بإظهار تفاصيل البيئة الفقيرة التي تعيش فيها تيريز مع زوجها المريض وأمه العجوز. وظلت الحياة محتملة وهادئة حتى وقعت الزوجة في غرام الرسام صديق زوجها. وما أن يأتي الفصل الثاني حتى يكون العاشقان الآثمان قد قتلا الزوج المريض أثناء رحلة على نهر السين وعملا على أن تبدو الجريمة وكأنها حادث. وفي الفصل الثالث يتزوجان بمباركة أم الزوج القتيل التي تبقى لتعيش معهما. ولم تشعر تيريز وعشيقها بتأنيب الضمير على جريمتهما إلا ليلة زفافهما حيث أمضيا الليل يتبادلان الاتهامات فتسمعهما أم الزوج المقتول المصابة بشلل أفقدها المقدرة على الكلام فتزداد آلامها وكمدها فتظل تتوعدهما بغضبها الذي يرتسم على ملامحها. وفي الفصل الخامس تستطيع الأم تحريك يدها وتحاول الكتابة وعند نهاية المسرحية تستعيد مقدرتها على الكلام فتخاطب الزوجين الآثمين: **سأعيش لأشهد اليوم الذي أراكما فيه تدفعان ثمن جريمتكما.. في هذا المكان الذي سرقتما مني فيه سعادتي.. ولدي.. أريد أن أرى**

الندم يمزقكما كالحيوان المفترس . وتنتهي المسرحية وقد بلغ سوء العلاقة بين الزوجين المجرمين لدرجة الكراهية والمقت وتحولت حياتهما إلى جحيم فينتهيان إلى الانتحار بالسم والموت عند قدمي الأم العجوز قهراً وندماً .

أسباب الفشل

ولقد عرضت هذه المسرحية سنة ١٨٧٣م واستقبلت استقبالاً بارداً من الجمهور والنقاد معاً ولم يستمر عرضها أكثر من تسع ليال . ولقد شاركت عوامل كثيرة في هذا الفشل يأتي في مقدمتها محاولة النقل القبيح للواقع إلى خشبة المسرح . ومع ذلك فإن النص المسرحي لم يكن نموذجاً لمواصفات المسرحية الطبيعية التي تحدث عنها زولا في مقالاته ، ولعل ذلك يعود إلى أن النص المسرحي عبارة عن اختصار وتكثيف لرواية زولا بنفس العنوان فلم تخل من الشوائب التي تحدث في مثل هذه الحال فجاء النص أقرب إلى الميلو دراما منه إلى المسرحية الطبيعية . لقد حاول إميل زولا أن يجنب مسرحيته ما يسميه عيوب مسرحيات دوماس الابن ، فحاول ألا تكون في مسرحيته عقدة أو مشكلة وألا يكون هناك موقف متعاطف مع إحدى الشخصيات . ويرى النقاد الغربيون أن العيب الأساسي في مسرحية زولا يكمن في طريقة تصوره للشخصيات ، فلقد جاء تصوير الشخصيتين الرئيسيتين تيريز وعشيقها لورنت بأنهما كانا من الضعف بحيث لا يستطيعان التخطيط لجريمة فضلاً عن ارتكابها ، والعجيب أن نجدهما ينفذان جريمتهما ببرود أعصاب وليس في لحظة هياج وغضب . ومن عيوبها أيضاً أن زولا اعتمد على بعض حيل الميلودراما التي يرفضها في نظريته مثل قيام بعض الأحداث المهمة على المصادفة ، فمثلاً نجد السيدة العجوز أم الزوج الضحية تدخل في نفس اللحظة التي تتحدث فيها تيريز وعشيقها عن جريمتهما فتعرف سر مقتل ابنها ثم يلجمها الشلل عن النطق بما سمعت . وبالمثل فإن النهاية العادلة للمسرحية التي يتم فيها القصاص الإلهي من العاشقين المجرمين لا تتفق مع دعاوى نظرية زولا لأنها من سمات الميلودراما ولا تجعل مسرحيته قطاعا من الحياة يبدأ بدايةً عشوائية وينتهي نهاية عشوائية . وهذا يدلك على أن زولا نفسه قد فشل في تقديم مسرحية تنطبق على نصها وبنائها مواصفات المسرحية الطبيعية التي تحدث عنها في نظريته ناهيك عن غيره من كتاب المسرح .

النظرية والتطبيق

ولقد كتب زولا للمسرح أربع مسرحيات أخرى أولها سنة ١٨٦٥م ولكنها لم تعرض إلا في سنة ١٨٨٩ م وهي مسرحية «مادلين» Madeleine ثم قدم مسرحية The Rabourdin Heirs مستوحاة من مسرحية «فولبوني» Volpone لجونسون Jonson التي عرضت لسبع عشرة ليلة سنة ١٨٨٤م ومسرحية The Red Button . وقدمت سبعة عروض سنة ١٨٧٨م ثم مسرحية «رينيه» Renée وقدمت ثمانية وثلاثين عرضاً سنة ١٨٨٧م . هذا إضافة إلى مجموعة من الروايات والقصص القصيرة التي حُولت إلى مسرحيات . وفي جميع الأحوال فإن ما أعده زولا من قصصه للمسرح أو ما أعده غيره من بعده لم يكن يمثل المسرح الطبيعي تمثيلاً حقيقياً وإنما كان يناقض أفكار زولا نفسه وكانت معظم أحداث هذه المسرحيات ونسيجها الدرامي أقرب إلى الميلودراما منها إلى المسرح الطبيعي ولم تحرز أي نجاح يُذكر إلا في جانب المنظر المسرحي الذي تحقق فيه أثر البيئة التي تتناسب مع ما يقتضيه الحدث المسرحي والشخصية .

وهكذا كان واضحاً كما أثبتت الثمانينيات من القرن التاسع عشر أنه لم يكن بإمكان زولا أن يكون ذلك الكاتب الذي يحقق أفكاره عن الطبيعية في أعماله المسرحية ، فقد فشل في الجانب التطبيقي للنظرية ، ولكنه مع ذلك يظل ناقداً مرموقاً ومرجعاً أساسياً لدارسي المذهب الطبيعي لا يمكن تجاهل دوره ونظرياته إلى اليوم . أما الجانب التطبيقي لهذا المذهب ونظريته فقد قام به غيره فيما بعد ، وكان لابد أن يأتي أندريه انطوان André Antoine ليحقق ذلك .

□□□

فكر ابن سينا التربوي

إعداد: راتب السعود



كان لابن سينا فكر «تربوي» خاص، ولو أنه لم يُولِ الاهتمام الذي أوليتْها أفكاره في أبواب أخرى من المعرفة، ومع ذلك فإن دراسة آرائه في التربية تُبرز ما لهذا الرجل من سمو عقل وجلاء ذهن وقوة فكر، حتى إننا لنجد أن كثيراً من آرائه تتفق ونظريات علم النفس التربوي ونظريات التعلم في العصر الحديث، بحيث إننا نستطيع اعتباره مدرسة تربوية عصرية.

طرق الاكتساب

في باب الطرق التي بواسطتها تكتسب النفس الناطقة العلوم، ويقصد بها النفس الإنسانية تمييزاً لها عن النفس الحيوانية والنفس النباتية.يرى ابن سينا أن «التعلم سواء حصل من غير المتعلم أو حصل من نفس المتعلم فإنه متفاوت،فإن من المتعلمين من يكون أقرب إلى التصور لأن استعداده أقوى، فإن كان ذلك الإنسان مستعداً للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد القوي حدساً، وهذا الاستعداد قد يستشري في بعض الناس حتى كأنه يعرف كل شيء من نفسه، وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد» (١).

إن ابن سينا وهو يضع بين أيدينا هذه الآراء التربوية الفذة ليتفق مع نظريات علم النفس التربوي الحديثة والتي تقول بوجود استعداد متفاوت عند المتعلمين للتعلم، ثم كأنه يريد القول بأن نسبة ذكاء الأفراد متفاوتة وبالتالي يوصي المعلم بضرورة مراعاة التفاوت في الذكاء والاستعداد عند المتعلمين فلا يهمل الأطفال ذوي القدرات الأقل من زملائهم.

ويسمي ابن سينا الاستعداد القوي بالحدس، والمعرفة الحدسية تقتبس في نظره من العقل الفعال وهي نوع من المعرفة يفوق المعرفة الاستدلالية إذ انها تدرك مباشرة بعض الحقائق المطلقة للعقل، وهذا قريب من قول **ديكارت** في إدراكه المباشر للحقيقة التي شيد عليها فلسفته (إني أشك إذن أنا أفكر إذن أنا موجود).

التربية عند ابن سينا

أودع ابن سينا آراءه في التربية والتعليم في رسالة له سماها «**رسالة السياسة**» وهذه الرسالة لم يكتب لها كغيرها من آثار هذا الفيلسوف حظ الذيوع والاشتهار، وقلما يوردها المصنفون مع جملة آثار ابن سينا، وقد قسم ابن سينا مضامين رسالته هذه في خمسة فصول هي:

الفصل الأول: في سياسة الرجل نفسه.

الفصل الثاني: في سياسة الرجل دخوله وخروجه.

الفصل الثالث: في سياسة الرجل أهله.

الفصل الرابع: في سياسة الرجل ولده.

الفصل الخامس: في سياسة الرجل خدمه.

والرسالة بفصولها الخمسة لا تتعدى إحدى عشرة صفحة، والفصل الرابع في سياسة الرجل ولده هو الذي يهمنا في مجال آراء ابن سينا التربوية، ولابد من الإشارة هنا إلى أن ابن سينا قد حذا في تسميته رسالته حذو سلفه ـ **الفارابي** فإن له رسالة سماها «**السياسة**» أيضاً أودعها آراءه في التربية الخلقية وقسمها أربعة فصول هي: سياسة المرء مع رؤسائه، سياسة الرجل مع أكفائه وسياسته مع من دونه، وسياسته لنفسه.

تعني السياسة عند كليهما تدبير الأمر وتصريفه بالحكمة والمصلحة، وإصلاح الفاسد والخلل. وقد تطور مدلولها في هذا العصر فصارت تطلق على الاشتغال بقضايا البلاد العامة والمسائل الوطنية والشؤون والعلاقات الدولية وما يتصل بها، أما السياسة عند فلاسفة اليونان فتعني الإدارة الاجتماعية، أو إدارة المدينة، ولما كانت التربية الاجتماعية أو إدارة المدينة إدارة صالحة تتوقف على تربية الفرد وتوجيهه كانت السياسة شاملة لإعداد

فكر ابن سينا التربوي

مواطن صالح في الوقت نفسه الذي تشمل شكل الحكم ودساتير الحكومة.

آراؤه التربوية

تناول ابن سينا في الفصل الرابع من رسالة السياسة تربية الولد من مولده حتى خروجه إلى ميدان العمل والكسب ، فأشار إلى أهم ما يُؤخذ به الناشيء من أنواع التربية الجسمية والخلقية والعقلية ، ولتأثره بفلاسفة اليونان والرومان ومذاهبهم في الأخلاق والنفس ممن عرفوا في عصره واشتهروا ، نجده يتفق في طائفة من فلسفته الأخلاقية معهم مثل **أرسطو** ، **و شيشرون**، **وكونتليان** .

«ويرى ابن سينا أن من حق الولد على والديه حسن تسميته أولاً ثم اختيار ظئره (مرضعته) وذلك بألا تكون حمقاء ولا ورهاء ولا ذات عاهة، فإن اللبن يعدي كما يقول»(٢)

وفي هذا نجده يتفق مع **الإمام الغزالي** حيث دعا إلى العناية بتربية الطفل منذ ولادته وألا توكل حضانته إلا لامرأة صالحة متدينة ، كما نجده يتفق مع الفيلسوف الروماني كونتليان (٣٥ ـ ٩٥م) الذي يرى ضرورة اختيار المرضع من الصالحات الفصيحات حتى يقتبس الطفل منها ماهو صالح في اللسان والأفعال . ولما كانت فترة الرضاعة تقضى في البيت وبرفقة الوالدين وجدنا أن ابن سينا يحملها العبء الأكبر في تربية وتهذيب طفلهما . وهو بهذا يتفق مع الفيلسوف **روسو** الذي يقول «**إن الأب هو المعلم الطبيعي، كما أن الأم هي المربية الطبيعية وهذان المربيان مكلفان بتربية ابنهما في أثناء هذه المدة**».

كما يرى ابن سينا أن يُبدأ بتأديب الطفل ورياضة أخلاقه بعد فطامه، وذلك قبل أن تهجم عليه مساوىء الأخلاق وذميم الصفات ، فتتمكن منه فيصعب بعد ذلك انتزاعه منها ، إذ تصبح عادة راسخة . وهو في هذا يتفق مع الكثيرين من فلاسفة التربية القديمة والحديثة .

كما أنه يرى أن خير الوسائل لإبعاد الطفل عن مساوئ الأخلاق، وذميم الصفات، إنما يكون بالترغيب تارة، والترهيب أخرى، وبالإيناس حينا وبالإيحاش حينا آخر، وبالإعراض عنه والإقبال عليه وبالحمد والتوبيخ، فإن لم تُجْدِ هذه الوسائل لم يحجم عن الاستعانة باليد، بالضرب القليل الموجع بعد الإرهاب الشديد، لأن الضربة الأولى إذا كانت موجعة ساء ظن الصبي بما بعدها، واشتدّ خوفه منها، والعكس.

أما الوسيلة الأخرى وهي **العقوبة البدنية** ، أوما يدعى بسياسة العصا في التربية فإن معظم قدماء المربين وجميع المربين المحدثين ينكرونها ولا يقرونها وهو في هذا يتفق مع الفيلسوف الروماني **شيشرون** الذي يرى أنه لا يلجأ إلى العقوبة البدنية إلا إذا لم تنجح كل وسائل التأديب الأخرى على ألا يكون العقاب مذلاً للصبي ، ماساً بكرامته .

والتربية الحديثة تحاول ما أمكن وقاية الولد من سوء السلوك بأن تزيل من أمامه الأسباب التي تؤدي أو قد تؤدي إلى ذلك ، لكنها لا تضمن وقاية جميع الأولاد من الاتجاهات الخاطئة في مختلف الظروف والأحوال فلابد إذن في الحالات الضرورية من الاستعانة بالطرق العلاجية كالقصاص ، وإذا قرن الولد الألم الناجم عن **القصاص** بسوء تصرفه فإنه قد يمتنع عن مثل هذا التصرف في المستقبل ، وكذلك إذا أيقن أن عملاً من الأعمال المذمومة يعقبه القصاص لا محالة فإنه قد يبتعد عن ذلك العمل ويعمد إلى غيره مما لا حرج فيه .

للعقوبة أسس

ومهما يكن نوع القصاص الذي يفرض على الولد فإن له غرضا جوهرياً واحداً وهو العلاج والإصلاح، من هنا كانت **هناك قواعد أساسية يجب على المعلم مراعاتها في العقوبة ، وهي** :

أولا : أن يتحقق المؤدب من وقوع الذنب .

ثانيا : أن يشعر المؤدب الولد أن ذنبه يستوجب القصاص ، وأن يحمله على قرن القصاص بالذنب .

ثالثا : أن لا تظهر على المؤدب امارات الغضب عند إيقاع القصاص ، فليس **موقفه موقف غضب وإنما هو موقف حزن وأسف.**

رابعاً : أن يكون القصاص من نوع الذنب الذي يتبعه كما لو كان نتيجة طبيعية له .

خامساً : أن يكون القصاص مع إيلامه خالياً من الأذى الجسمي .

سادساً : أن يكون القصاص سرياً ومما يتلاءم مع طبع الولد ومزاجه(٣) .

وعليه فإننا نجد ابن سينا يحدد لنا متى تستعمل العقوبة ، فحين لا تفلح القدوة ولا تفلح الموعظة فلا بد من علاج حاسم يضع الأمور في وضعها الصحيح والعلاج الحاسم هو **العقوبة**.

وبعض اتجاهات التربية الحديثة تنفر من العقوبة وتكره ذكرها على اللسان، ولكن العقوبة ليست ضرورة لكل شخص. فقد يستغني شخص بالقدوة وبالموعظة فلا يحتاج في حياته كلها إلى عقاب ، لكن الناس ليسوا سواء ، ففيهم من يحتاج إلى الشدة مرة أو مرات .

«**وليست العقوبة أول خاطر يخطر على قلب المربي ولا أقرب سبيل فالموعظة هي المقدمة والدعوة إلى عمل الخير والصبر الطويل على انحراف النفوس لعلها تستجيب ، والموعظة وسائل مختلفة ولكن الواقع المشهود أن هناك أناساً لا يصلح معهم ذلك كله أو يزدادون**





انحرافاً كلما زيد لهم في الوعظ والارشاد ، وليس من الحكمة أن نتجاهل وجود هؤلاء أو نتصنع الرقة الزائدة فنستنكر الشدة عليهم .

إن التربية الرقيقة الحانية كثيراً ما تفلح في تربية الأطفال على استقامة ونظافة واستواء ، ولكن التربية التي تزيد في الرقة واللطف والحنو تضر ضرراً بالغاً لأنها تنشيء كياناً ليس له قوام»(٤) .

التربية العقلية

«يرى ابن سينا أن يؤخذ بمبادىء التربية العقلية متى اشتدت مفاصل الصبي واستوى لسانه ووعى سمعه ، وتهيأ للتلقين ، وأول ما يبدأ به من ذلك تعلم **القرآن** ، فتصور له حروف الهجاء ويلقن مبادىء الدين ، ويروى الشعر ، ويختار له من بحوره ما خف وزنه كالرجز والقصير ، مما يعين في التأديب والتهذيب وفيه بيان فضل الأدب والحث على البر وعمل المعروف وكل ما فيه من مكارم الأخلاق»(٥) .

وهذه المرحلة من التعليم تكون المرحلة الأولى في الثقافة العامة ، وتكاد تكون طابع التربية الابتدائية في العصور الإسلامية على اختلافها ، ولا يكاد ابن سينا يختلف فيها عن غيره من فلاسفة المسلمين كثيرا لأن تعليم القرآن والتزود من أدب العرب هما أهم مصادر الثقافة العربية الإسلامية .

ويرى بعضهم تأخير مدارسة القرآن وحفظ آياته إلى ما بعد هذه المرحلة من التعليم إذ يكون الصبيّ أكثر فهماً لما يقرأ ، وتدبراً لما يحفظ ، وهو يتفق مع الإمام الغزالي في بعض هذا الآراء ، إذ يرى الغزالي أن يعلم الطفل في المكتب القرآن وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار لينغرس في قلبه حب الصالحين ، وأن يصيب من الشعر الذى فيه العشق وأهله .

كما نجده يتفق مع الفيلسوف الروماني كونتليان وشيشرون أيضاً، في تحفيظ الطفل في هذه المرحلة مختارات من أقوال الشعراء والحكماء المأثورة شحذاً لذاكرته ، وتقوية لملكة الحفظ عنده ، هذا ما يراه **فردريك فروبل** (١٧٨٢ ـ ١٨٥٣) من كبار المربين المحدثين ، وأن تقوى في رياض الأطفال المشاعر الدينية ، ويحفظوا أقوالا في الدين وأناشيد يرتلونها في حياتهم .

وبصدد **تعليم حروف الهجاء** وصوره فإن كافة المربين يرون أنه من الخطأ أن تحفظ للأطفال أسماء الحروف الهجائية غير المقرونة بصورها ، إذ متى عرف الطفل الحروف أخذ بكتابتها .

ويقول **بستالوزي** ، من المربين المحدثين،بضرورة ربط دراسة اللغة بالملاحظة واستعمال الحواس ، وكذلك يرى فروبل مثل هذا .

التعلم الجمعي أو الصفي

وفي هذا المجال فإن ابن سينا يرى «فضل التعليم الجمعي على الفردي لأنه أدفع لسآمة المؤدب وملل الطفل معاً ، ولأن اختلاط الصبي بأقرانه ادعى إلى انشراح عقله وتفتح فهمه بالمحادثة والمرافقة وما في ذلك من إثارة المحاكاة والمساجلة والمباراة وما فيه تحريك هممهم ، وابتعاث نشاطهم»(٦) .

وقد نص على فضل التعليم الجمعي معظم رجال التربية قديماً وحديثاً حيث يرون أن للتعليم الجمعي محاسن عديدة أهمها :

أولا : يحقق مبادىء الاقتصاد إذ يحتاج لأقل عدد من المدرسين بعكس التعليم الفردي .

ثانيا : يربي في التلاميذ روح المناقشة ، ويحملهم على الدخول في ميادين المناقشات العلمية .

ثالثا : ينفث في الأطفال روح الجماعة ، ويساعد على تربية كل فرد منهم تربية اجتماعية حقيقية .

رابعا : يوجد بين التلاميذ الألفة والمحبة ، كما أنه يعودهم على النظام والتعاون .

خامسا : والمدرس المتوسط يفضل التعلم الصفي على التعلم الفردي إذا كان الصف جيداً لأن طبيعة هذا التعليم تساعد على النشاط وبذل الجهد فيذوب التعب الذي يلاقيه المدرس .

التعليم الثانوي والتوجيه

«ويرى ابن سينا بعد فراغ الصبي من المرحلة الأولى أن ينظر إلى ما يراه أن تكون صناعته ، فيوجه بحسب ذلك ، فإن أريد به **الكتابة** مثلاً أضيف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومساجلات الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك ، وأن يعلم **الحساب** ويدخل به الديوان ، ويعني بخطه ، وإن أريد به وجهة أخرى أخذ فيها»(٧) .

ويرى أن على المؤدب في هذه المرحلة أن ينظر إلى استعداد الطالب وما يصلح له من الصناعات والأعمال فيوجهه بحسب ميوله واستعداداته ، ويضرب لنا الأمثلة في تباين الملكات واختلاف المواهب ، وأن الذي لا يعينه استعداده على صناعة من الصناعات أو علم من العلوم يتعذر توجيهه إليه مهما بذل في سبيله من جهد وأنفق من مال .

وهذا ما دعت إليه التربية في القديم والحديث ، يقول **جان جاك روسو** من المربين المحدثين أن التربية الصحيحة ما قامت على معرفة غرائز الانسان أو ميوله وعلى ذلك يجب أن يخرج الانسان في صناعة من الصناعات .

إن ما قصده ابن سينا في هذا المجال هو ما نسميه اليوم **بالتوجيه المهني** الذي يهدف إلى توجيه المتعلم إلى المهنة التي تناسب إمكاناته وتكون له في ممارساتها لذة حقيقية . ولما عرفنا ان ابن سينا يضع هذا العبء على المعلم ، فما ذلك إلا لأنه من أقدر الناس على معرفة المتعلم.

الغاية من التربية

«يرى ابن سينا أن الغاية من التربية **هي** العمل واستثمار المعارف في الكسب والارتزاق ليتذوق الناشىء حلاوة الكسب بالصناعة ويعتاد طلب الرزق بالجد، ولا يركن إلى ما لأبيه فيجد فيه المقنع والكفاية لأن في ذلك مفسدة له»(٨). وجاء في القرآن الكريم في الحض على العمل قوله تعالى:«**فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون**» (الجمعة/ ١٠). وفي هذا المعنى حديث الرسول ﷺ «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل الناس فيعطوه أو يمنعوه» رواه مسلم.

وهذا ما ترمي إليه فلسفة التربية اليوم ومن قبل.

الهـــــوامش

(١) البير نصر نادر. النفس البشرية عند ابن سينا ـ بيروت: دار المشرق، ١٩٦٨م، ص (٦٧).

(٢) جامعة الدول العربية. الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكرى ابن سينا. القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٥٢م. ص (٣٣٧).

(٣) جورج شهلا وآخرون. الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية. بيروت: مكتبة رأس بيروت، ١٩٧٢م. ص (٨٥).

(٤) محمد قطب. منهج التربية الإسلامية. بيروت. دار الشروق، ١٩٧٦م. ص (٢٣٤).

(٥) جامعة الدول العربية. المصدر السابق، ص ٣٣٩.

(٧.٦) السابق، ص ٣٤٠. (٨) السابق، ص ٣٤١.

قصة قصيرة

يوم انتظار

بقلم : إرنست هيمنجواي ● ترجمة : محمد فكري أنور

دخل الغرفة لإغلاق النوافذ ، بينما كنا لا نزال في الفراش. نظرت إليه ، رأيته مريضاً .. كان يرتجف .. وجهه شاحب .. يسير بطيئاً كأن الحركة تؤلمه .

● **«ماذا بك يا «شاتز»** ؟.

ـ «أشكو الصداع» .

● **«ليتك تعود إلى الفراش»** .

ـ «لا داعي . أنا بخير» .

● **«بل اذهب إلى الفراش ، وسأعود إليك بعد أن أرتدي ملابسي»** .

لكن ما أن هبطت الدَّرج ، حتى كان قد ارتدى ملابسه ، وجلس بجوار المدفأة ، يبدو أكثر ما يكون طفلٌ في التاسعة إعياءً وشقاءً . فعندما لمست بيدي جبهته ، عرفت أنه مصاب بالحمى .

ـ قلت : «عُد إلى السرير ، فأنت مريض» .

● **قال : «أنا بخير»** .

جاء الطبيب واختبر درجة حرارة الطفل .

ـ سألته : «كم حرارته» ؟

● قال : **«مائة واثنتان»** .

في الدور السفلي، ترك الطبيب ثلاثة أدوية مختلفة ، على هيئة كبسولات متباينة الألوان ، ومعها توجيهات بطريقة تعاطيها . واحد منها لتخفيض الحرارة ، والثاني مطهِّر ، والثالث للتخلص من الحموضة . «جراثيم الإنفلونزا لا تعيش إلا في البيئة الحمضية» .. هكذا أفهمني . «يبدو أنه يعرف كل شيء عن الإنفلونزا ، لذا لا داعي للقلق ما لم تزد درجة الحرارة عن مائة وأربع .. فهذه إصابة خفيفة بالإنفلونزا ، ولن تشكل خطورة ما لم تصب بالتهاب رئوي» .

عدت إلى الغرفة . سجلت درجة حرارة الولد على ورقة ، وكتبت عليها مواعيد إعطائه مختلف الكبسولات .

● **«أتريدني أن أقرأ لك ؟»** .

ـ قال الولد : **«لا بأس ، إذا رغبت ذلك»** .

كان وجهه شاحباً جداً ، وتحت عينيه هالتان غامقتان . كان يرقد على السرير دون حركة ، وبدا معزولاً عما يجري حوله .

قرأت بصوت عال من **«كتاب القراصنة» لـ : «هاورد بايل»** ، لكنني لاحظت أنه لا يتابع ما أقرأ .

ـ سألته : «كيف الحال يا شاتز» ؟

● قال : **«كما هي»** .

جلست على السرير عند قدميه ، ورحت أقرأ لنفسي في انتظار موعد إعطائه كبسولة أخرى . قد يكون من الطبيعي له أن ينام ، لكن عندما نظرت إليه رأيته ينظر إلى أقصى السرير ، وبطريقة غريبة للغاية .

● **«لماذا لا تحاول أن تنام ؟ سوف أوقظك عند موعد الدواء»** .

ـ «أفضل أن أظل صاحياً» .

بعد فترة قال لي : **«بابا .. لا داعي لبقائك هنا ، إن كان ذلك يزعجك»** .

● «ذلك لا يزعجني» .

ـ **«كلا .. بل أقصد أنه لا داعي لأن تبقى هنا ، إن كان في ذلك إزعاج لك»** .

ظننت أنه ربما أصيب بالدوار . وبعد أن أعطيته الكبسولات الموصوفة له ، عند الساعة الحادية عشرة ، خرجت من الغرفة فترة ..

كان اليوم مشمساً .. بارداً .. الأرض مغمورة بطبقة من المطر المتجمد ، يبدو وكأن جميع الأشجار المتساقطة الأوراق ، والشجيرات ، والعشب كله ، والأرض العادية ، قد جرى تلميعها جميعاً بالثلج . أخذت الكلب الإيرلندي لنزهة معي على الأقدام على امتداد الطريق ، وبطول الجدول المتجمدة مياهه ، لكن السير أو التوقف على الأرض العشبية كان



صعباً ، فانزلق الكلب وتدحرج ، وسقطت أنا مرتين ، وفي إحداهما سقطت بندقيتي وانزلقت متدحرجة على سطح الجليد .

أزعجنا سرباً صغيراً من **طيور السمَّان** عند نهاية ضفة **الجدول** ، واستطعت قتل اثنين أثناء طيران الطيور بعيداً عن مرمى البصر عند أقصى الضفة . بعض الطيور لاذت بالفرار بين فروع الشجر ، لكن أغلبها تشتت في أكوام الأعشاب في الدُّغل ، ومن ثم كان عليها أن تقفز عدة مرات على الأكوام المغطاة بالجليد قبل أن تستطيع الطيران من جديد . ومع خروجها من الأكوام ، وأنت لا تستطيع الوقوف باستواء على الأرض المغطاة بالثلج ، الكثيرة الينابيع ، كان من الصعب التصويب عليها ، لكنني قتلت اثنين وأخطأت خمسة ، ومن ثم استرجعت سعادتي إذ عثرت على كوم آخر قريب من المنزل ، وازدادت سعادتي لأن العثور على كثير من الطيور سيكون متاحاً في يوم آخر .

وفي المنزل قالوا إن الولد رفض السماح لأحد بدخول الغرفة .

قال : «**لن تدخلوا . يجب أن لا ينالكم مما عندي**» .

صعدت إليه ، فوجدته تقريباً على نفس الحال التي تركته عليها .. شاحب الوجه ، لكن أعلى خديه كانا أحمرين بسبب الحمى ، ساكناً ما يزال .. يحملق إلى أقصى السرير .

قست درجة حرارته .

● «**كم هي**» ؟

ـ قلت .. «ما يقارب المائة . كانت حرارته مائة واثنتين ، وأربعة أعشار» .

● قال : «**كانت مائة واثنتين**» .



● «من قال ذلك» ؟

● «**الطبيب**» .

قلت : «درجة حرارتك لا بأس بها .. لا تدعو للقلق» .

● قال : «**أنا لست قلقاً .. لكنني لا أستطيع الامتناع عن التفكير فيها**» .

ـ قلت : «لا تفكر .. هوِّن عليك» .

● **قال** : «**من ناحيتي ، المسألة هينة**» . **ثم شخَص ببصره إلى الأمام** .

كان واضحاً أنه يكتم في نفسه شيئاً ما .

ـ «خذ هذه مع قليل من الماء» .

● «**أتظن أنها ستُحدث أي تحسن**» ؟

ـ «مؤكد ستفعل» .

جلست ، وفتحت كتاب «**القراصنة**» وبدأت القراءة ، لكن لاحظت أنه لا يتابع ، لذا توقفت .

تساءل : «**متى تعتقد أنني سأموت** ؟» .

ـ «مـــاذا ؟» .

● «**كم من الوقت سيمضي قبل أن أموت** ؟» .

ـ «سوف لا تموت . ما حكايتك ؟» .

● «**أوه ، بلى .. سأموت . سمعته يقول مائة واثنتان**» .

ـ «الناس لا يموتون من حمى بدرجة حرارة مائة واثنتين . تلك طريقة سخيفة للكلام» .

● **أعرف أنهم يموتون من ذلك . في المدرسة في فرنسا ، أخبرني الأولاد أنك لا يمكن أن تعيش ودرجة حرارتك اثنتان وأربعون.. أما حرارتي فمائة واثنتان**» .

ظل طوال النهار ، منذ التاسعة صباحاً ، في انتظار الموت .

قلت : «أنت مسكين يا شاتز . مسكين شاتز العجوز . هي كالأميال والكيلو مترات . سوف لا تموت من الحمى . هذا الترمومتر مختلف . في ذلك الترمومتر ، سبع وثلاثون درجة تعد طبيعية . أما في هذا فهي تعادل ثمانيا وتسعين» .

وقلت : «على الإطلاق .. هي كالأميال والكيلومترات . أنت تعرف .. كم من الكيلومترات نقطع عندما نسافر سبعين ميلاً بالسيارة ؟» .

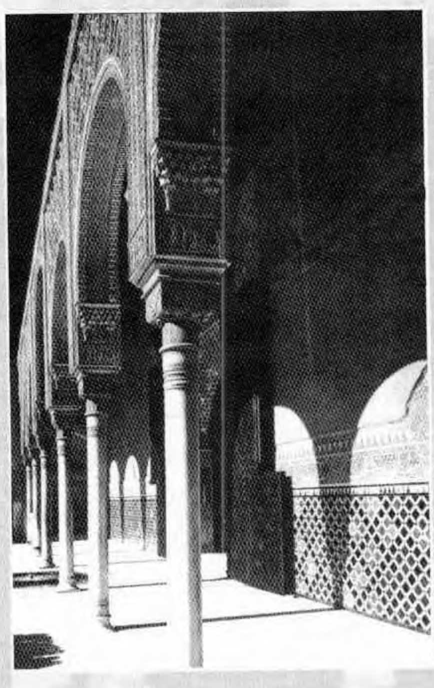
● **قال** : «**أوه**» .

بيد أن حملقته إلى أقصى السرير تضاءلت ببطء . أيضاً تراخت سيطرته على نفسه في النهاية . وفي اليوم التالي ، كان الجو معتدلاً جداً ، وكان يبكي بسهولة للغاية لأتفه الأشياء مما لم تكن له أية أهمية .

جنة العريف

شعر: د. ناول عبدالهادي

«نظمت هذه القصيدة في غرناطة الأندلس في ثنايا (جنة العريف) ذات الغرف الخضر .. أثناء إقامتي في اسبانيا خلال بضع سنوات في مهام دبلوماسية» .



أيّ سِفـر هـذا الجـلال حيـالي ! ... مـا أطقتُ احتـمال مـا قـد بـدالي
أيقـظوني من سحر (هـاروت) إني ... غـارق خاطـري ببحـر المُحَـال
إن قلبـي ومـا تُكِنُّ ضُـلوعـي ... من شـديـد الأسى شجيّ المقـال
إيـه غرنـاطـة **الليالـي** الـطوالِ ... حـدثيني عن أهـل تلك الـليـالي
حـدِّثيني عـن الشمـوخِ تَهَـاوَى ... في جـلالٍ.. وعـن جبـاهٍ عـوالي
حـدِّثيني عن الـرجـال سيـوفـاً ... في ميـاديـن نـخـوة وصِيَـال
حـدِّثي النَّفسَ عن مـواكبِ مجـدٍ ... قـد تَخَطَّتْ عـلى طريقِ المعـالي
عن هوى من عرائس الشعـر غنيَّ ... لابن زيـدون فـوق جيـد حـالي
عن عيـون يَـزدْنَ زهْـوَكِ سحراً ... وجـوارٍ يَبْعَثْنَ سحـرَ الجَمـال
وريـاض يَنْضِخْنَ في كـلِّ وجـهٍ ... عبقـاً عـاطـراً.. رضيّ الـدَّلاَل
هـذه (جنـة العـريـف).. خيـالٌ ... في ضمـير الـزمـان أي خيـال
إنها مـوكـب الـعـروس تجـلَّت ... في زفـافٍ محفـوفـةٍ بـالجَـلاَل
فعلى الدرب من شـذاها عبـيرٌ ... والنَّـدى العبقـريّ ريـح الشَّمـال
غُـرَفٌ لـلهـوى النـقـيّ تُـواري ... في الـزوايـا رفيق حسن المقـال
إيـه يـاجنـةَ العَـريـفِ تعـاليْ ... أقـنعيـني فـالشَّـك فيَّ مُغـالي
أفأنتِ الفـردوس في الأرضِ حقـاً ... لست أدري ! أم بنت عمّ وخـال
كـل تغـريـدةٍ تـطل عليـنـا ... من أعـاليـك لحن قـرنٍ خـالي
كـل نبتٍ عـلى تـرابـك جـاثٍ ... فهـو غرس رعتـه أيدي الـرِّجـال
كيـفَ أسْلَمتِ للزمـانِ قِيَـاداً ... وجـرعتِ الـرَّدى بغـير قِتـال
كنتِ أمنـاً بـل كـان لـلأمنِ مهـدٌ ... بـين أحـضـان جـدولٍ ودوالي
أيـن أوْدَتْ زُنـودُ تلك الـرجـال ... كيف بـادت معـاقـلُ الأبـطال ؟
ولِمَ السُّؤل !؟ قـد تـزول جبـالٌ ... فسـوى الله ـ كلنـا للزَّوال .. !

دائرة المعارف

في الفلك والفيزياء الفلكيّة

أ

الاشعاع الكهرومغناطيسي electromagnetic radiation :

إشعاع يتألف من حقلين متناوبين كهربائي ومغناطيسي . يتضمن **أشعة جاما** ، **والأشعة السينية** ، والضوء المرئي ، والاشعاعين فوق البنفسجي ، وتحت الأحمر ، والموجات اللاسلكية والموجات المتناهية القصر .

الأشعة الكونية cosmic rays :

نوى ذرّية غالباً ما تتألف من **البروتونات** ، تصدر عن **المجرّات** وتنتشر بسرعة عالية جداً .

الافتراس المجرّي galactic cannibalism :

اصطدام بين مجرتين مختلفتين في الحجم يُؤدي إلى احتواء المجرّة الكبيرة للصغيرة .

الألبيدو albedo :

الكسر من ضوء **الشمس** الذي يعكسه الكوكب ، أو **القمر** ، أو أي تابع آخر **للنظام الشمسي** .

الأنغستروم angstrom :

وحدة لقياس الأطوال تساوي ١٠ $^{-١٠}$ متر = ١٠ $^{-٨}$ سنتيمتر .

الانفجار الأعظم Big Bang :

نظرية عن انفجار شامل نشأ عنه الكون منذ نحو ٢٠ بليون سنة.

الأوج aphelion :

نقطة من مدار الكوكب السيَّار يكون عندها أبعد ما يمكن عن **الشمس** .

ب

البرج (أو الكوكبة) constellation :

مجموعة من النجوم ذات ترتيب معين غالبا ما تُعطى أسماء أشياء، أو أشخاص، أو حيوانات.

بود ، قانون (قانون بود) Bode's Law :

متوالية حسابية محدودة تفيد في حساب المسافات التقريبية بين **الكواكب والشمس** بالوحدات الفلكية وفق ترتيبها حسب البعد عن الشمس.

ت

التابع الجاليلي Galilean satellite :

أي من الأقمار الأربعة الكبرى لكوكب المشتري ، **أيو أو يوروبا أو غانيميد أو كاليستو** .

التحبّب granulation :

تعبير يطلق على التركيب الخاص الذي يشبه حبّات الأرز والذي يصادف على سطح الشمس المضيء **(الفوتوسفير)** .

تحلّل ألفا alpha decay :

تحلّل نظير نشيط اشعاعيا مصحوب بإصدار دقائق ألفا (نوى ذرات الهليوم) .

التراكم accretion :

التجمع التدريجي للمادة في مكان ما من الكون بفعل قوة الجاذبية .

التسارع acceleration :

معدل تغيّر السرعة مع الزمن.

التواتر frequency :

هو عدد الاهتزازات في وحدة الزمن. يقاس بوحدة **(الهرتز)**.

التوازن المائعي الثابت hydrostatic equilibrium :

توازن بين وزن إحدى طبقات النجم والضغط الذي يحملها .

ث

الثقب الأسود black hole :

جسم كوني بلغت جاذبيته درجة من الشِّدة جعلت سرعة الانفلات منه تتعدى سرعة الضوء .

د

دقيقة ألفا alpha particle :

نواة ذرة **الهليوم** التي تتألف من **بروتونين ونيوترونين** .

ذ

الذرّة atom :
أصغر دقيقة من العنصر تحمل الخصائص التي تميزه عن غيره من العناصر .

ش

الشّفق aurora :
ضوء تصدره الذرّات والأيونات (**الشوارد**) في الغلاف الجوي الأعلى للأرض ، وغالبا ما تلاحظ هذه الظاهرة في المنطقتين القطبيتين الشمالية والجنوبية .

الشمس النشيطة active sun :
تعبير يطلق على **الشمس** خلال فترات نشاطها المتكرر ، كما في فترات ظهور **البقع الشمسية** sunspots والانفجارات الحرارية النووية وباقي الظواهر المرتبطة بها .

ع

علم الفلك astronomy :
علم يهتم بدراسة الأجسام الواقعة خارج الغلاف الجوي الأرضي بالإضافة للظواهر التي تتعرض لها .

علم الفيزياء الفلكية astrophysics :
فرع من علم **الفلك** يهتم بدراسة الخصائص الفيزيائية للأجسام والظواهر الفلكية .

علم القياس الفلكي astrometry :
فرع من علم الفلك يهتم بالتحديد الدقيق لمواقع وحركات وأبعاد الأجسام الفلكية.
الفلكية .

علم الكون cosmology :
علم يهتم بدراسة تركيب الكون وتطوّره .

عنقود المجرّات cluster of galaxies :
مجموعة من المجرّات تشكّل نظاما تجاذبيا مغلقا . ويتراوح عدد مجرّات العنقود الواحد بين **بضع عشرات وبضعة آلاف** .

غ

الغلاف الأيوني ionosphere :
طبقة في أعلى الغلاف الجوّي للأرض تتألف من ذرّات متأيّنة (متشردة) بشكل شبه تام .

الغمامة المظلمة dark nebula :
غيمة من الغاز والغبار بين النجوم تحجب الضوء المنبعث عن النجوم الأبعد.

ف

الفناء annihilation :
العملية التي يتم خلالها تحوّل كتلتي الدقيقة ومضاد الدقيقة إلى طاقة إشعاعية.

ق

القطر الزاوي angular diameter :
الزاوية المقابلة لقطر الجسم الفلكي ، أو هو الزاوية المحصورة بين قطر الجسم الفلكي ونقطة الرصد . ويستخدم هذا الوسيط لتحديد أقطار الأجسام الفلكية البعيدة ذات البُعد المعروف عن الأرض ، أو لتحديد بُعدها عن الأرض بمعرفة أقطارها .

ك

كاليستو Callisto :
أحد الأقمار **الجاليلية** الأربعة **للمشتري** ، نصف قطر مداره الوسطي (١٨٨٠٠٠٠) كم ، ودوره (زمن دورة كاملة) ١٦,٧ يوما .

الكويكب asteroid :
واحد من عشرات الآلاف من أجسام صخرية صغيرة تشبه الكواكب وتتخذ لنفسها مدارا حول **الشمس** .

الكثافة الحرجة critical density :
أصغر كثافة لمادة الكون بأجمعه تكون كافية لإيقاف التمدد الكوني.

الكروموسفير chromosphere :
طبقة في الغلاف الشمسي تقع بين **الفوتوسفير والهالة** .

كيبلر ، قوانين = قوانين كيبلر Kepler's Laws :
ثلاثة نصوص وضعها **جوهانس كيبلر** (١٥٧١ ـ ١٦٣٠م) وتصف حركات الكواكب .

- **القانون الأول: (مدار الكوكب حول الشمس قطع ناقص تقع الشمس في أحد محرقيه).**
- **القانون الثاني :(المستقيم الذي يصل بين الكوكب والشمس يمسح سطوحاً متساوية خلال فواصل زمنية متساوية).**
- **القانون الثالث : (تتناسب مربعات الفترات الدورية للكواكب طرديا مع مكعبات أنصاف أقطار دورانها الوسطى حول الشمس)**

م

متغيّر سيفيد Cepheid variable :
نجم أو مجموعة نجوم صفراء عملاقة تومض ضوءًا تتغير شدته وفق فترة دورية ثابتة.

مجرّة التلولب المحوري barred spiral galaxy :
مجرة لولبية تنبثق فيها الذراعان اللولبيتان من نهايتي محور مستقيم يعبر **نواة المجرّة** بدلاً من انبثاقها من مركز المجرّة نفسه .

المجرّة اللامنتظمة irregular galaxy :
مجرّة غير متناظرة لا تتضمن الأذرع اللولبية وليس لها شكل اهليلجي .

المذنّب comet :
جسم صغير نسبياً يتألف من جليد الماء والغبار **ويدور حول الشمس.**

مضاد المادة antimatter :
مادة تتألف من مضادات الدقائق كمضاد البروتون ومضاد الالكترون **(البوزيترون)** ومضاد **النيوترون** .

مفعول البيت الأخضر greenhouse effect :
حجز الأشعة تحت الحمراء قريباً من سطح الكوكب بسبب وجود غلافه الجوّي .

الميكانيكا السماوية celestial mechanics :
فرع من **علم الفلك** يهتم بدراسة حركات الأجسام المتوزعة في **النظام الشمسي.**

ن

النجم الثنائي binary star :
نجمان يدور كل منهما حول الآخر .

النسبية العامة ، نظرية ـ نظرية النسبية العامة general theory of relativity :
وصف للجاذبية صاغه ألبرت **اينشتاين** مبني على أن الجاذبية تؤثّر على هندسة الفضاء وانسياب الزمن.

نقطة الأوج apogee :
نقطة من مدار التابع أو **القمر** يكون عندها أبعد ما يمكن عن **الأرض** .

النموذج الكوني cosmological model :
نظرية تشرح تركيب الكون وتطوره.

النواة المجرّية النشيطة active galactic nucleus :
مركز **المجرّة** الذي يشع مقادير كبيرة من **الطاقة** .

هـ

هابل، ثابت ـ ثابت هابل Hubble constant :
ثابت التناسب في العلاقة التي تربط بين سرعات **المجرّات** البعيدة والمسافات التي تفصلها عن مجرتنا.

هابل ، قانون = قانون هابل Hubble law :
قانون **تجريبي** ينص على أن الانزياحات الحمراء لطيوف المجرات البعيدة تتناسب طرديا مع المسافات التي تفصلها عن مجرتنا.

الهالة (أو الاكليل) corona :
الطبقة الخارجية من الغلاف الجوّي للشمس . تتألف من **الهيدروجين والهليوم** وبعض الشوائب من العناصر الأثقل ذات درجة التأين **(التشرّد)** المرتفعة . ويؤدي تدفق هذه الأيونات في الفضاء إلى تشكيل **الرياح الشمسية** .

و

الوامض burster :
مصدر غير دوري للأشعة السينية **(أشعة اكس)** يصدر ومضات عنيفة من هذه الأشعة .

الوحدة الفلكية (وف) astronomical unit (AU) :
وحدة لقياس الأبعاد والمسافات الفلكية وتساوي المسافة الوسطى التي تفصل الأرض عن الشمس (١,٤٩٦ × $١٠^{٨}$ كيلو متر) .

وحدة الكتل الذرّية (و ك ذ) atomic mass unit (amu) :
وحدة لقياس الكتل تساوي (١,٦٧ × $١٠^{-٢٤}$ غرام) ، كما تساوي بالتقريب كتلة ذرة عنصر **الهيدروجين** العادي .

الوسط البينجمي interstellar medium :
توزع لدقائق من الغاز والغبار في الفراغ الكائن بين النجوم .

الوسط البين كوكبي interplanetary medium :
توزّع لدقائق متناثرة من الغاز والغبار في الفراغ الكائن بين الكواكب .

مسابقة مجلة «الفيصل»

١ - قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ - الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالاً.
ب - الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال.
جـ - الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالاً.
د - سبع جوائز قيمة كل منها ٢٠٠ ريال سعودي.
هـ - عشر جوائز كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة «الفيصل».

٢ - شروط المسابقة :

أ - المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة، وإرفاق الإجابات مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

ب - ترسل الإجابات على العنوان التالي :
مسابقة مجلة «الفيصل»
ص. ب ٣ الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

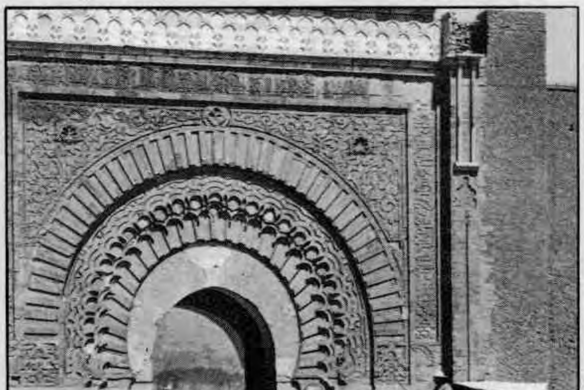
جـ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها.

د - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

هـ - ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة.

● أسئلة مسابقة العدد (١٨٠) ●

● **السؤال الأول :**
الصورة المنشورة تمثل أحد الأبواب التاريخية في مدينة عربية عريقة، ما الاسم الذي يطلق عليه؟ وأين يوجد؟ ومن الذي بناه؟ ولماذا؟



● **السؤال الثاني :**
يتعرض مريض السرطان لبعض الاضطرابات النفسية ومن ضمنها «الهذيان»، فما هي مسببات حدوثه لدى المريض؟

● **السؤال الثالث :**
يتجه العالم اليوم لجعل أنظمة المعلومات المتكاملة تطبيقاً شائعاً في العمل بالمكاتب والمصانع. اذكر - باختصار - أربعة من أهم الأنظمة الحديثة في خدمات الاتصالات السلكية واللاسلكية.

● **السؤال الرابع :**
الخمر، من المحرمات القطعية بصريح الكتاب وصحيح السنة، والكحول هو أحد المكونات الرئيسية للخمر. اذكر تأثيره على بنكرياس الشخص الذي يدمن شربه.

● **السؤال الخامس :**
مبايض، والنِّسار، والتحالق، من أيام العرب المشهورة قبل الإسلام. ماذا تعرف عن كل منها؟

● أجوبة مسابقة العدد (١٧٣) ●

ج ١ : توجد مكتبات السليمانية وآيا صوفيا وأحمد الثالث في مدينة اسطنبول، علماً بأن الأخيرة تتبع متحف طوب قبو، أما مكتبة يوسف آغا فتقع في مدينة قونية .

ج٢ : الأديبان السعوديان اللذان انتقلا إلى رحمة الله بعد أن تركا مجموعة من المؤلفات ذكر بعضها في السؤال .أحدهما الأديب أحمد عبد الغفور عطار ـ يرحمه الله ـ، والآخر الأستاذ محمد سعيد العامودي ـ يرحمه الله ـ.

ج ٣ : الدولتان هما المملكة العربية السعودية، ودولة الكويت . أما علم المملكة العربية السعودية فهو مستطيل الشكل، أخضر اللون، تتوسطه شهادة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» مكتوبة باللون الأبيض، تحتها سيف مواز لها باللون الأبيض كذلك .

وأما علم دولة الكويت فمستطيل مقسم إلى ثلاثة أقسام أفقية متساوية أعلاها لونه أخضر يليه الأبيض فالأحمر ويتعامد عليها من ناحية السارية شبه منحرف أسود اللون، وهذه الألوان مستوحاة من بيت شعر لصفي الدين الحلي يقول فيه :

بيضٌ صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمـر مواضينا

وقد التقطت الصورة عند دخول طلائع القوات العربية مدينة الكويت بعد تحريرها من يد الغاصب .



ج ٤ : من الأسماء القديمة لمدينة نيويورك : نيوامستردام، نيوإنجلاند، يورك (نسبة لدوق «يورك»، وهو جيمس شقيق الملك تشارلز الثاني) .

ج٥ : أصدرت «هيئة البريد البريطانية» أول «براءة» بتصنيع تجاري لنظم الهاتف اللاسلكي، في عام ١٩٤٧م .

● نتائج مسابقة العدد (١٧٣) ●

● فازت بالجائزة الأولى، وقيمتها (٧٥٠) سبعمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخت عطيات عبده محمد عبده محمد إسماعيل ـ الشرقية ـ جمهورية مصر العربية .

● وفاز بالجائزة الثانية، وقيمتها (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، الأخ محمد حسين عبد الله الشهري ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

● وفازت بالجائزة الثالثة، وقيمتها (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخت مجد محمد مروان مراد ـ دمشق ـ الجمهورية العربية السورية .

□ □ □

● وهناك سبع جوائز مالية قدر كل جائزة منها (٢٠٠) مائتا ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم :

من المملكة العربية السعودية، رجال ألمع، الأخ محمد السيد محمد الرفاعي .

من المملكة العربية السعودية، الرياض، الأخت مرام سعود الدايل .

من المملكة المغربية، الصحراء المغربية، الأخ الصحراوي سيد أحمد .

من الجمهورية التونسية، تونس، الأخ عبد العزيز أحمد محمد .

من جمهورية مصر العربية، كفر الزيات، الأخ محمد أحمد محمد نصر .

من الجزائر، المسيلة، الأخت سليمة سلطاني .

من الأردن، عمّان، الأخ محمود عبد الغني محمود

● إلى جانب عشر أخرى قيمة كل منها اشتراك مجاني لمدة عام (١٢ عدداً) في مجلة «الفيصل» فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم :

من المملكة العربية السعودية، الرياض، الأخ عبد الحميد حسانين حسن علي فرج .

من الباكستان، بشاور، الأخ فضل الرحمن قربان محمد الأفغاني .

من تونس، ولاية القصرين، الأخ محمد علي الزروقي بن محمد الكامل .

من تونس، المنستير، الأخ نبيل بن علي بن محمد البواب .

من الأردن، عمّان، الأخ زياد محمد خميس شاكر إدريس .

من المغرب، وجدة، الأخ زيرار العيد يحيى .

من المغرب، الرباط، الأخ سعيد توري .

من مصر، الفيوم، الأخت شفيقة شعبان علي .

من مصر، القاهرة، الأخ صهيب أحمد قدري .

من مصر، كفر الزيات، الأخت وفاء أمين الشيخ .

مع تمنياتنا بحظ أوفر للإخوة والأخوات المشتركين في المسابقات القادمة .

في ظلال سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

تأليف **السيد أحمد المخزنجي** . يتحدث الكتاب عن **سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته ، مبيناً منهج القرآن الكريم** في الدعوة .

كما يتناول الكتاب دور الإسلام في إعداد الشباب المسلم . ويختتم المؤلف بالحديث عن المستشرقين ودحض افتراءاتهم المختلفة . صدر الكتاب ضمن سلسلة **(دعوة الحق)** التي تصدرها **رابطة العالم الإسلامي** بمكة المكرمة ويقع في (١٣٦) صفحة من القطع الصغير .

□ □ □

صلاة الجماعة

تأليف **الدكتور عبدالله محمد سعيد** . يضم الكتاب دراسة فقهية مقارنة تناولت أحكام صلاة الجماعة من خلال عرض مذاهب الفقهاء حولها وأدلتهم المبنية على الكتاب والسنة . صدر الكتاب ضمن سلسلة **(دعوة الحق)** التي تصدرها **رابطة العالم الإسلامي** بمكة المكرمة ويقع في (١٨٤) صفحة من القطع الصغير .

□ □ □

منهج الإسلام في تربية الأطفال: تصور إسلامي لدور الحضانة

تأليف الأستاذ جودة محمد عواد . يضم الكتاب تصوراً لمنهج إسلامي صالح لإنشاء وتطوير دور الحضانة ، تُراعى فيه أهمية القدوة الحسنة وكيفية إعداد الدروس والحصص التعليمية التي تساعد على غرس العقيدة والآداب الإسلامية في الأطفال وتنمية القدرات الابتكارية لديهم .

صدر الكتاب عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير بالقاهرة ، ويقع في (٨٨) صفحة من القطع المتوسط .

□ □ □

الفطرة وقيمة العمل في الإسلام

تأليف الأستاذ عبدالسلام عبدالفتاح عبدالكافي . يتحدث الكتاب عن علاقة الإسلام بالفطرة الإنسانية وتعامله معها في مخاطبته لجميع الأجناس البشرية وتمجيده للعقل البشري وكفالته لحرية العمل ورعاية حقوق الطاقات العاملة ، صدر الكتاب عن رابطة العالم الإسلامي ضمن سلسلة «دعوة الحق» ويقع في (١٥٢) صفحة من القطع الصغير .

□ □ □

أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق

تأليف **الدكتور أحمد محمد كنعان** . يضم الكتاب دراسة عن كيفية خروج المسلمين من أزمتهم الحضارية من خلال الاهتداء بالسنن الربانية في الخلق ، لارتباط نجاح الجهد البشري بالفهم الصحيح لهذه السنن . صدر الكتاب ضمن سلسلة «**كتاب الأمة**» التي تصدرها **رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر** ويقع في (١٧٦) صفحة من القطع الصغير .

□ □ □

التاريخ الإسلامي (مصر والسودان)

تأليف **الأستاذ محمود شاكر**. وهو **الجزء الثالث عشر** ويتحدث عن **التاريخ المعاصر لكل من مصر والسودان** .. ويبدأ - بالنسبة لمصر ، منذ احتلال إنجلترا حتى عهد **حسني مبارك** مروراً بالعهد الملكي وعهود **محمد نجيب وجمال عبدالناصر وأنور السادات** مع لمحة تاريخية عن الفترة التاريخية التي سبقت ذلك . وبالنسبة للسودان يبدأ من الاحتلال الإنجليزي حتى الانقلاب العسكري الرابع مروراً بالحكومات المدنية والعسكرية التي سبقت ذلك فضلاً عن الصراع بين شمال السودان وجنوبه . ويقع الكتاب في (٥٢٨) صفحة من القطع المتوسط وصدر عن **المكتب الإسلامي** .

□ □ □

التاريخ الإسلامي (بلاد المغرب)

تأليف **الأستاذ محمود شاكر** .. وهو **الجزء الرابع عشر** ويستعرض التاريخ المعاصر لكل من **ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا** فيورد لمحة عامة عن تاريخ كل بلد قبل إلغاء الخلافة ثم الأحداث التي مرت بها بعد **الاحتلال الفرنسي** (الإيطالي بالنسبة لليبيا والفرنسي الإسباني بالنسبة للمغرب) وما حدث في هذه البلاد من تطورات داخلية وخارجية . والكتاب يقع في (٥١٨) صفحة من القطع المتوسط وصدر عن **المكتب الإسلامي** .

□ □ □

المخدرات .. مضارها على الدين والدنيا

يضم الكتاب تحقيقاً **لمخطوطة** ألفها العلامة **عبدالكريم بن عبدالله الخليفتي المدني مفتي الحنفية في المدينة المنورة** المتوفى سنة ١١٣٣هـ ، وعنوانها **(السهام المريشة لمنع تعاطي الحشيشة)** .

وهي تتناول أضرار تعاطي الحشيش المخدر وفتاوى الفقهاء بحرمته . قام بتحقيق المخطوطة **الدكتور ياسين الخطيب** . يقع في (٩٦) صفحة من القطع الصغير ، وقد صدر ضمن سلسلة **(دعوة الحق)** التي تصدرها **رابطة العالم الإسلامي** بمكة المكرمة .

□ □ □

التاريخ الإسلامي (تركيا)

تأليف **الأستاذ محمود شاكر** . وهو **الجزء السابع عشر** ، ويتحدث عن **التاريخ المعاصر لتركيا** فيورد أولاً لمحة عامة عنها بعد **الحرب العالمية الأولى** حتى إلغاء الخلافة ثم يستعرض ما مرّ به من أحداث مثل **قادة الاتحاد والترقّي وحكم مصطفى كمال (أتاتورك)** والقتال مع **اليونان وتغيير الأبجدية** حتى الانقلاب العسكري الثاني بقيادة **كنعان ايفرين** ويقع الكتاب في (١٩٠) صفحة من القطع المتوسط وصدر عن **المكتب الإسلامي**.

□ □ □

كتابات مختارة في العروبة والإسلام

تأليف الأستاذ محمود رداوي . يضم الكتاب دراسة عن الصحوة الفكرية القومية الدينية التي تمثلت في كتابات بعض الصفوة من المفكرين العرب حول أهمية التلاحم العربي الإسلامي كأساس لقوة الأمة العربية . صدر الكتاب عن دار الخضرمة للنشر والتوزيع بالرياض ويقع في (١٣٤) صفحة من القطع المتوسط .

□ □ □

مفهوم الأدب

يضم الكتاب ترجمة لمختارات من كتاب **(مفهوم الأدب)** للأديب والناقد اللساني الفرنسي **تزيفتان تودوروف** ، قام بترجمتها **الدكتور منذر عياشي** . كما يضم كذلك ترجمة لدراسة أخرى أعدها تودوروف

بعنوان (**العلاقات المجازية**) . صدر الكتاب ضمن سلسلة (**كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة**) . ويقع في (١٦٠) صفحة من القطع الصغير .

□ □ □

مساجلات

تأليف **د. عبده عبدالعزيز قلقيلة وهو مزيج من البلاغة والنقد والمساجلات** . ففي **الفصل الأول** يتحدث عن بعض قضايا البلاغة ، وفي **الفصل الثاني** يعرض وينقد كتاب **«الحصري القيرواني وكتابه زهر الآداب» للدكتور محمد بن سعد الشويعر** فضلاً عن قضايا نقدية أخرى ، وخصّص **الفصل الثالث** للمساجلات التي دارت بينه وبين بعض النُقّاد . ويقع الكتاب في (١٩٧) صفحة من القطع المتوسط وصدر عن **مكتبة الأنجلو المصرية** .

□ □ □

نظرية الأدب عند العرب

تأليف **الدكتور حمادي صمود** . يضم الكتاب دراسة حول نظرية **الأدب عند العرب** تناول فيها **نظرية المعنى في التراث العربي** ومفهوم الشعر وصفته عند العرب مع مقارنته بالنثر كما بينت الدراسة أهمية المناهج اللغوية في معرفة وتحديد خصائص النصوص الأدبية . صدر الكتاب عن **النادي الأدبي الثقافي** بجدة ، ويقع في (٢٥٢) صفحة من القطع الصغير .

□ □ □

التغيير الثقافي والتربية في المملكة العربية السعودية

تأليف **الدكتور لطفي بركات أحمد** . يضم الكتاب دراسة حول التغيير الثقافي ومفهومه والعوامل المؤثرة فيه مع تناول أثر التربية في الوطن العربي ودورها في إحداث التغيير الثقافي المطلوب ، وذلك من خلال اختيار المملكة العربية السعودية كنموذج للدراسة . صدر الكتاب **عن دار النهضة العربية للطبع والنشر بالقاهرة** ويقع في (١٧٨) صفحة من القطع المتوسط .

□ □ □

أمريكا وإسرائيل: دراسة لدور الفكر الديني في دعم إسرائيل

تأليف **الدكتور محمد معروف الدواليبي** . يضم الكتاب دراسة عن **الموقف الأمريكي من إسرائيل وبيان أثر الفكر الديني ودوره الأساسي في استمرار التأييد والمساندة الأمريكية لإسرائيل**. صدر الكتاب **عن دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع** بدمشق **والدار الشامية** ببيروت ، **ويقع في (١٠٠) صفحة من القطع المتوسط** .

□ □ □

ملخصات رسائل الماجستير والدكتوراه

دليل يشمل ملخصات رسائل الماجستير والدكتوراه التي أجيزت بكلية التربية للبنات بمكة المكرمة منذ بدء برنامج الدراسات **العليا عام ١٤٠٠ / ١٤٠١هـ إلى رجب ١٤١٠هـ . وذلك في أقسام** الدراسات الإسلامية ، اللغة العربية وآدابها ، اللغة الإنجليزية وآدابها ، علم النفس ، والاقتصاد المنزلي . صدر الكتاب عن كلية التربية بمكة **المكرمة** ويقع في (١٠٧) صفحات من القطع الكبير .

□□□

ردود قصيرة

● **الأخ عبد الله «قارئ الفيصل» السعودية** : شكراً على رسالتك عبر الفاكس ومتابعتك لأعداد المجلة .

هذا وقد وضعت المسابقة أساساً للمنافسة في التفكير والجهد في البحث ودقة القراءة وعلى هذا الأساس تعتذر المجلة عن أي حل عن الأسئلة ولك الشكر .

● **الأخ لوسي محمد عبد الله - اتحاد طلاب تشاد بالسودان - الخرطوم** : شكراً على مشاعرك الطيبة تجاه «الفيصل» . أما ملاحظتك بشأن توزيع المجلة في تشاد وطلبك الاشتراك فيها فهما محل اهتمامنا . وبالنسبة لثمن الاشتراك السنوي فهو مبيّن داخل المجلة . وشكراً .

● **الأخ محسوب عبد الرزاق عبد الكريم - أسيوط - مصر** : وصلتنا مشاركاتك المعنونة بـ «خشوع» و«يا سعودية» و «حجاج بيت الله» . ومع شكرنا وتقديرنا لهذه الإسهامات إلا أننا نأمل أن تكون مشاركاتك القادمة على مستوى طموحات المجلة وقرائها . نأمل المواصلة وشكرا .

● **الأخ عمار حريري - حلب - سوريا** : تساؤلاتك التي حملتها رسالتك الكريمة موضع اهتمام المجلة . نرجو المتابعة وستلقى كل ما يرضيك إن شاء الله .

● **الأخ ناجي بن علي بن رقيقة - صفاقس - تونس** : سعدنا بالإسهام الذي أرسلته إلينا ، وسيأخذ المناسب منه طريقه إلى النشر عما قريب إن شاء الله . أما تعاونك مع «الفيصل» في المجال الذي ذكرته فسوف ننظر فيه ونبلغك بالرد في الوقت الملائم . وشكرا على اهتمامك بمجلتك .

● **الإخوة محمد يعقوب جوباتي - المدينة المنورة، مكسالي سيدي محمد، أحفيفة محمد - الجزائر -، منذر الحجاج - ألمانيا - لبيب عبد الله (سورية)، رمضان حسن إبراهيم خلاف - مصر** : عذراً لعدم تمكننا من تلبية رغباتكم في الوقت الحاضر وشكراً .

● **الأخ حملاوي أحمد - الجزائر** : بإمكانك الكتابة مباشرة إلى فضيلة الشيخ محمد الغزالي، وطلب ما تريد منه شخصياً . وشكرا على ثقتك في المجلة .

● **الأخ ارمايول عبد الله أحمد محمد - نيجيريا** : بإمكانك التوجه بطلبك مباشرة إلى وزارة الإعلام - بالرياض، ولك تحياتنا .

● **الأخ غربي جوعي - الجزائر** : تلقينا رسالتك الرقيقة، ونشكر لك طيب ثنائك وجميل مشاعرك التي نبادلك إياها وداً بود، ومرحباً بك صديقاً للمجلة .

● **الأخ عماد الدين عبد الفتاح عبد الله رحمة - السودان** :

اقتراحاتك الخاصة بالمسابقة نشكرك عليها، ولكن هناك اعتبارات فنية بحتة تحكم تنفيذها الآن . وعموما هي مأخوذة في الاعتبار والمجلة تقدر لك اهتمامك بها .

لماذا لا تدوّن المصادر الإنجليزية بأحرف عربية؟

يسوؤني ما أراه يوميا في الكتب والمقالات العلمية المكتوبة باللغة العربية من احتوائها على أسماء العلماء والباحثين والمصادر مكتوبة بالحروف اللاتينية. وهذه كما نعلم ضرورة حتمتها المرحلة الحالية التي نعيشها، إذ بيننا العالم المتقدم يعج بالحركة والنشاط والإبداع فإننا نعيش فترة بيات نأمل أن نصحو منها قريبا بإذن الله. ولم أكن في يوم من الأيام من الذين يتهربون من واقعهم ويحاولون طمس الحقائق لأني أؤمن بأن مواجهة المشكلة والاعتراف بها هي الخطوة الأولى والأساسية لمعالجتها والقضاء عليها، وإلا فكيف يعالج الإنسان مشكلة لا وجود لها في خياله وعرفه وواقعه؟

وفيما يختص بهذا الموضوع بالذات نحن أمام مشكلة جوهرية تتعلق ببناء اللغة وأساسها، ولا بد من إيجاد الحلول الأساسية لها بطريقة تنسجم مع ألفيّة لغتنا وقالب موضوعاتها. ولهذا **أقترح إيجاد حرف عربي مرادف لكل حرف في اللغة الإنجليزية، على الأقل لأن أسماء الأعلام والمخترعات والمناهج لها مرادفات عالمية في اللغة الإنجليزية مهما كانت اللغة التي تأسست بها.** وعليه فإنه سيكون بمقدور كل كاتب أن يدوّن مصادره ومسميات مراجعه بالأحرف العربية المرادفة وبذلك نحفظ للغتنا وحدة الشكل مع احتوائها على المضمون.

وأرفق لكم جدولا بذلك (مع بيان قواعد الاستعمال) مقترحا اعتماده، مع ترك الباب مفتوحا للتحسينات والتعديلات التي تأتي من القراء وتكون وجيهة، وخاصة من المختصين في هذا المجال، كما أقترح أن تطلقوا عليه «طريقة الفيصل في المرادفات الأبجدية»، واختصارا «الأبجدية المرادفة».

محمد عبد الله الوابل

الرياض

قواعد الاستعمال:

١ - تُكتب تهجية الكلمة من اليمين إلى الشمال حتى تكون منسجمة مع اللغة العربية ومع المطبعة العربية وإذا أعيدت إلى أصلها اللاتيني فتكتب من الشمال إلى اليمين. مثال: سمث (س م آ ت هـ)SMITH.

٢ - تُكتب كل كلمة منفصلة عن الأخرى وكذلك كل اسم كما هو في اللغة الإنجليزية. مثال: المصرف البريطاني الأمريكي (ت هـ اِ ب ر آ ت آ س هـ ام اِ ر آ ح ا ن ب ا ن ك)THE BRITISH AMERICAN BANK.

٣ - **يجب أن لا تتخذ حروف هجاء الكلمة باللغة العربية أساسا في النطق،** والغرض منها هو تسجيل المرادف الإنجليزي، فاللغة الإنجليزية ذاتها لا تمثل حروفها أصواتها في كثير من الحالات. وإذا ما أريد نطقها فيجب العودة إلى قواعد النطق في اللغة الإنجليزية. أما إذا رأى الكاتب أهمية النطق فيمكنه كتابته باللغة العربية قبل حروف الهجاء التي تحتويها الأقواس مثل: اندرو كوبر (ان دراوِك ووبِ اِر) ANDREW COOPER.

٤ - تكتب العبارة من اليمين إلى الشمال وإذا أعيدت إلى أصلها اللاتيني تكتب من الشمال إلى اليمين مثل الآتي وهو تسجيل لمرجع:
وِىَ ن ن اِ - اِدوِاردس، فِـ. ح. ، ان آ م ال دآس بِ اِ ر س آ و ن آن رال ا ت آون ت و س و ح آ ال ب اِ هـ ا فِ آ و ى ر (آد آن ب ى ر غ هـــ: ول آفِ اِر & ب و ىَ د، ١٩٦٢)، بِ. ١٣١.
WYNNE-EDWARDS, V.C., ANIMAL DISPERSION IN RELATION TO SOCIAL BEHAVIOUR (IDINBURGH: OLIVER & BOYD,1962), P.131.

ويُلاحظ أن النقطة والفاصلة والشرطات والأقواس تسجل كما هي حتى لا تتغير إذا نقلت لتعطي معنى آخر.

٥ - للتغلب على مشكلة الحروف الرئيسية (الاستهلالية) التي تبدأ بها الجمل والأسماء العلم وما قد تحدثه من خلط عند النقل من الحروف العربية إلى الإنجليزية فإن الكتابة ستكون كلها بالحروف الاستهلالية.

جدول المرادفات الأبجدية عربي - إنجليزي
(أو الأبجدية المرادفة)

المرادفات العربية	الحروف الإنجليزية		المرادفات العربية	الحروف الإنجليزية
ا	A		ن	N
ب	B		و	O
ح	C		بِ	P
د	D		ق	Q
اِ	E	و	ر	R
ف	F	=	س	S
غ	G	&	ت	T
هـ	H		ى	U
آ	I		فِ	V
ج	J		وِ	W
ك	K		ص	X
ل	L		ىَ	Y
م	M		ز	Z

«الفيصل» : ننشر هذا الاقتراح وما يصحبه من إيضاحات مرحبين بأية مناقشات حوله يرغب فيها الإخوة القراء.

ترجيح لقب «النديم» سبق إليه باحثون إيرانيون

قرأت ببالغ الشكر والتقدير ما كتبتموه في عدد شعبان ١٤١١هـ عن كتيب «الوراقة والوراقون». وإنني إذ أشكر لكم حسن ظنكم بالكتيب ومؤلفه، لأود التعليق على العبارة الأخيرة التي وردت في نهاية العرض اللطيف، راجيا أن يكون في المعلومات التي أذكرها فائدة للقارىء إن شاء الله.

تقول العبارة: «ويبدو أن المؤلف من أنصار الدكتور بدوي طبانة في تسمية (ابن النديم) بالنديم». وأنا لا أعدو كوني في سن تلاميذ الدكتور طبانة ومقامهم، إلا أن ترجيح لقب «النديم» كان قد سبق إليه باحثون إيرانيون هم مجتبى مينوي ومحمد جواد مشكور ومحمد رضا تجدد.

فالأول - أي **مجتبى مينوي** - هو الذي اكتشف سنة ١٩٣٨م مخطوطة أصلية لكتاب «الفهرست» يوجد نصفها في إيرلندة، والنصف الآخر في اسطنبول. وقد نقلت تلك النسخة من المسودة الأصلية التي كتبها المؤلف بخطه. **وكان مينوي أول عالم «نبّه إلى خطأ تكنية محمد بن إسحق بابن النديم»** حسب تعبير **الدكتور مشكور** الذي كتب بحثا قيّما نشر في جزءين في مجلة «الإخاء» الإيرانية سنة ١٩٧٢م، ثم أعيد نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٧م.

وفي سنة ١٩٦٦م تقريبا نشر كتاب «الفهرست» مترجما إلى الفارسية بقلم **رضا تجدد** الذي اعتمد على النسخة الأصلية المذكورة بالإضافة إلى الطبعة الأوروبية الجيدة التحقيق التي صدرت سنة ١٨٧٢م. ثم طبع الكتاب بالعربية بتحقيق تجدد في طهران سنة ١٩٧١م، وأعيد نشر هذه الطبعة سنة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م بإضافة مقدمة بالإنجليزية كتبها مجتبى مينوي. ثم نشرت مصورة دون ترخيص من قبل الناشرين التجاريين في لبنان، وهي في نظري أجود طبعات الكتاب حتى الآن. وذلك برغم محاولتين تاليتين لإعادة تحقيق الكتاب في كل من قطر وتونس.

وفي سنة ١٩٧٠م نشر الكتاب مترجما إلى الإنجليزية ومحققا على النسخ المذكورة من قبل **المستشرق بايارد دوج** في نيويورك. وقد اعتمد كل من تجدد ودوج لقب النديم بدلا من ابن النديم بناء على الأدلة التالية:

١ - ورد اسمه هكذا «محمد بن إسحق النديم المعروف إسحق بأبي يعقوب الوراق «وبصيغ مشابهة أخرى في النسخة الخطية المذكورة.

٢ - كتب المؤرخ المقريزي بخطه على صفحة الغلاف بنسخة إيرلندة عبارة ورد فيها: «مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق ابن محمد بن إسحق الوراق المعروف بالنديم».

٣ - ورد اسمه عند العديد من المؤرخين العرب بلفظة «النديم» أو «محمد ابن إسحق النديم». ومن هؤلاء ياقوت الحموي وخليل بن أيبك الصفدي وابن حجر العسقلاني وغيرهم.

ولذلك اعتمدت لقب «النديم» في مقالة لي بمجلة «الهلال» المصرية سنة ١٩٧٣م، ثم في بحث موسع قدمته للمؤتمر السنوي الثالث عشر لتاريخ العلوم عند العرب بسورية سنة ١٩٨٩م. حيث احتفل في ذلك المؤتمر بالذكرى الألفية لتأليف كتاب «الفهرست».

مع خالص التحيات والتقدير.

لطف الله قاري

ص ب ٣٠٣٤٤ - ينبع الصناعية

التبغ واليهود

كتب الدكتور عبد المنعم شحاته محمود عن مشكلة التدخين، وتناولها من النواحي الصحية والاقتصادية والتربوية، واقترح لها بعض الحلول، وأنهى مقالته التي نشرتها **الفيصل** في العدد ١٧٩ لشهر جمادى الأولى ١٤١٢هـ بإبراز أهمية معرفة الناس بحكم التدخين شرعا. وقد كان الكاتب موفقا فيماكتب.

وبما أن الشيء بالشيء يُذكر - كما يقولون - وبعد أن عرفنا حكم الإسلام في التدخين، ماذا عن علاقة التدخين باليهود أو العكس؟!

أضرار التبغ واليهود وشرورهما جمعها الطبيب الجزائري الأستاذ توفيق عبدالباقي حواس في كتاب بعنوان **كشف القناع عن حقيقة الدخان واليهود**. وهذا الكتاب الذي نفدت نسخه - على حد علمي - طريف كما تلاحظون، برغم جديته ونهجه العلمي، فهو مثلا يكشف لنا حقائق هي واضحة وقريبة، ولكنّا نغفل عنها. فقد ذكر المؤلف أن المدخنين لا يؤمنون بمبدأ منطقي عقلي هو أن «الوقاية خير من العلاج». وإلا فكيف يدخنون؟ وذكر أيضا أن الدخان قاتل ومفسد وهاتك وهالك، كما أن اليهود قتلة ومفسدون وضارون وهاتكو أعراض ومهلكون للناس.

وهناك صلة وثيقة بين التبغ واليهود، فهم الذين يروجونه وهم الذين يصنعون لفائفه من ورق خاص وهم الذي يديرون شركاته.

إن من الكتابة ما يغذي العقل ويثري العاطفة، ومن الكتابة ما هو سمّ زعاف، يهبط بالعقل ويزري بالخيال. وكتاب الأستاذ توفيق حواس من النوع الفاخر الطريف. وقد بلغني أن مَنْ قرأه تأثر به، لدرجة أن سبعة من كل عشرة من قراء الكتاب يتركون التدخين.

ولستُ أعرف عاقلاً يمكن أن يدافع عن التدخين وأضراره، فقد علم الجميع هذا الضرر.

محمد علي الجفري
جدّة

على موعد

بمعنى الكلمة

سألني صديق في نغمة ساخرة:

هل في بلادنا العربية صحافة أدبية بمعنى الكلمة؟

أجبته في دهشة من سؤاله:

ألا تكفيك تلك الأعداد الهائلة من الدوريات الشهرية والفصلية التي تصدر في هذا البلد العربي أو ذاك، في ورق متواضع أو صقيل وألوان باهتة أو زاهية وأحجام متنوّعة، ويملأ مادتها كُتّاب متخصّصون يحملون أرقى الدرجات العلمية، أضف إلى ذلك العدد الكبير من الصفحات اليومية والملاحق الأسبوعية التي تخصّصها الصحف السيّارة للحديث عن الأدب والأدباء مع نشر صورهم الملونة بأحجام متفاوتة، وأخبارهم العامة والخاصة بأكثر من طريقة وأكثر من أسلوب. ولكن صاحبنا قطع استطرادي قائلاً:

ـ على رسلك، فإني أعرف ما تقول وأكثر، ولكنك نسيت جزءاً مهمّاً من سؤالي وأخذت تتحدث عن الجزء المباشر فحسب.

قلت له:

ـ لا أفهم ماذا تقصد؟

قال:

ـ يا أخي الكريم إنني سألتك عن صحافة أدبية بمعنى الكلمة، وضع خطا أو خطين تحت الجار والمجرور والمضاف إليه. أعني «بمعنى الكلمة»، ولكنك رحت تحدثني عن الصحافة الأدبية القائمة في أرض الواقع.

قلت:

ـ أفهم من هذا أن الصحافة الأدبية الراهنة لا تعجبك ولا ترضيك؟

قال:

ـ القضية ليست أن تعجبني أو لا تعجبني، وترضيني أو لا ترضيني. إنني أسأل: هل تؤدي هذه الصحافة دوراً حقيقيًّا في خدمة الأدب، وترقيته، وربط الأمة بهويتها وشخصيتها الحضارية كما ينبغي؟

قلت:

ـ الكمال لله يا أخي. وما نراه فيه بالتأكيد إيجابيات عديدة. ووجود السلبيات أمر طبيعي، فما الذي يحملك على استنكار الواقع الصحفي الأدبي؟

قال:

ـ من فضلك، لا تحمل الأمور أكثر مما تحتمل. أنا لا أستنكر، ولكني أسأل كما سألت في البداية: هل هناك صحافة أدبية بمعنى الكلمة؟ سأوفر عليك الكثير من الكلام وأسألك سؤالا بسيطا: لماذا نعيش حتى الآن على الزاد الثقافي الذي قدمته مثلاً مجلة مثل الرسالة، ونرجع إليه كلما بحثنا في قضية أدبية أو ثقافية، بينما لا نفكر في الرجوع إلى دوريات أخرى قريبة العهد بنا؟ أليس في ذلك إدانة للصحافة الأدبية المعاصرة بالقصور والتقصير؟

قلت: كلامك فيه صواب كثير فالرسالة كانت مدرسة بذاتها، وكان تلامذتها أعلام الأمة في العصر الحديث، قاموا بالبناء الأدبي والثقافي في كافة الأجناس الأدبية من شعر وقصة ورواية ومسرح ونقد ودراسة أدبية وترجمة، فضلاً عن تناول قضايا الصراع الحضاري بيننا وبين التخلف والجهل وقوى الشرّ.

ـ لدينا الآن من يفعل مثلما فعلوا وأكثر، ولكنك تغفل عن شيء مهم في المسألة.

ـ ما هو؟

ـ كان القوم جادّين، ويتحركون بإخلاص ورغبة صادقة في بناء الأمة و..

ـ عفوا. يبدو أنك يا صديقي ميال للإدانة، بل والتيئيس.

انفعل صاحبي غاضباً، معتقداً أنني أُسفّه آراءه؛ وقال بحدّة:

ـ قل لي لماذا فشلت الهيئات والمؤسسات حتى الآن في إصدار مجلة أدبية أسبوعية تستمر ولو عشر سنوات فقط؟ لقد استمرت الرسالة عشرين عاماً وكان يصدرها شخص واحد. وظلت «الأديب» اللبنانية تصدر أكثر من هذه المدة وكان يصدرها شخص واحد، وكذلك مجلات أخرى صدرت في الزمن البعيد. يا أخي انظر إلى مجلاتنا الحاضرة وصفحاتنا الأدبية الراهنة وتأمل الكمّ الهائل من أخطاء اللغة والإملاء والعروض. وقارن ذلك بأخطاء «الرسالة» النادرة، والتي كان يتم التنبيه عليها بمجرد حدوثها. ألا يعني ذلك أن القوم كانوا جادين حقا، ويَعُدّون مهمتهم مهمة حضارية بل جهاداً مقدساً؟

ـ لا تغضب يا أخي، وهوّن عليك، فظروف القوم غير ظروفنا. لقد كانوا ينظرون إلى قيمة العمل لا إلى قيمة قائله أو انتمائه.. و..

ـ تقصد ما يسمّى بالفرز الفكري والتصنيف الأيديولوجي؟

ـ ربما. وأستأذنك في استكمال الحوار في وقت آخر، فإنني على موعد مع طُلّابي بعد قليل.

د. حلمي محمد القاعود